



من تاريخ بلاد النوبة

# تاريخ دولة الكنوز الإسلامية

تأليف

الدكتور عطية القوصي

الطبعة الثانية

١٩٨١



دار المغاري بمطز



## الفهرست

الصفحات	
٨ - ٥	١ - مقدمة
١٤ - ٩	٢ - عرض لأهم المصادر
٣٧ - ١٥	٣ - الباب الأول : بنو الكنز وسياستهم في إقامة دولتهم :
	- الهجرات العربية إلى مصر - قبيلة ربيعة وهجرتها إلى مصر
	- اختلاط ربيعة بقبائل الجعم - إمارة ربيعة الأولى في وادي العلاقي
٤٤ - ٣٨	٤ - الباب الثاني : علاقة بني الكنز بمصر الفاطمية :
	- بلاد النوبة كما عرفها المؤرخون المسلمون - صلة النوبيين بالعرب
	- علاقة ربيعة بالنوبة - بنو ربيعة والفاطميون - ثورة أبي ركون
	- لقب كنز الدولة - علاقة بني الكنز بالخلفاء الفاطميين
	بعد الخليفة الحاكم بأمر الله - موقف بني الكنز من ثورة مؤمن
	الخلافة وثورة السودان ضد صلاح الدين
١٠٩ - ٦٥	٥ - الباب الثالث : علاقة بني الكنز بالأيوبيين والمماليك :
	- علاقة بني الكنز بالأيوبيين - علاقتهم بالسلطان صلاح الدين
	- علاقة بني الكنز بسلطين الأيوبيين بعد صلاح الدين
	- علاقة بني الكنز بالمماليك - بنو الكنز يقيمون إمارتهم الثانية
	في دنقلة ويرثون عرش مقرة سنة ١٢٢٣هـ / ١٣١٩م
	- نهاية دولة بني الكنز سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م ووضعهم السيلسي
	بعد هذا التاريخ

الصفحات

١١٠ - ١٤٣

## ٦ - الباب الرابع : مآثر بني الكثر :

- دور بني الكثر في تنمية موارد إمارتهم - ازدهار مدينة أسوان  
في عهد إمارة بني الكثر الأولى - دور بني الكثر في نشر  
الإسلام بين قبائل البجة الوثنية وقبائل النوبة المسيحية  
- ما ذكره الكتاب والشعراء في مآثر بني الكثر - قائمة بلسماء  
أمراء بني الكثر التي وردت في المصادر - قبائل الكنوز  
الحالية وعاداتها وتقاليدها .

١٤٥ - ١٥٤

## ٧ - الملاحق :

١٥٥ - ١٧٤

## ٨ - المصادر والمراجع :

- المصادر الخطية - المصادر المطبوعة - المرجع العربية  
- المرجع الأوردية .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة

شبه الجزيرة العربية مستودع بشري هائل ، خرجت منه جماعات عربية كثيرة على مدى التاريخ الطويل . وكانت الأحوال الاقتصادية السيئة التي تعرضت لها شبه الجزيرة من وقت لآخر ، بسبب الجفاف وبسبب قسوة الظروف الطبيعية ، هي العامل الرئيسي في تفسير هذه الظاهرة التاريخية الكبرى . ونتيجة لهذه الظروف الاقتصادية السيئة كانت تخرج من شبه الجزيرة من وقت لآخر موجات متتابعة من المهاجرين العرب وتتجه إلى بلاد الخصب والنعاء المحيطة بها ، وهي : منطقة الهلال الخصيب ووادي النيل .

ومع قيام الدعوة الإسلامية استجد عامل آخر من عوامل هجرة القبائل العربية إلى هذه المناطق الخصبة المجاورة . وتمثل هذا العامل أولاً في حركة الفتوح العربية التي دفعت بالعرب خارج شبه الجزيرة العربية مجاهدين في سبيل الله ومن أجل نشر رسالة الإسلام السامية في مختلف بقاع الأرض ، وفيما ترتب على ذلك من استقرار الجند العرب في كل مصر من الأمصار التي قاموا بفتحها . ثم مالخ ذلك من هجرات عربية إلى هذه الأمصار .

وفيما يختص بمنطقة وادي النيل ، فقد سلكت الجماعات العربية المهاجرة إليه ثلاثة طرق : عبر سيناء ، وعبر البحر الأحمر ، وعبر باب المندب .

وقبل الفتح العربي لمصر بزمان طويل شهدت أرض مصر وفود جماعات عربية إليها من شبه الجزيرة العربية ، جاء معظمها تحت تأثير الأحوال السيئة . وجاء الباقون من أجل التجارة وأكثر بعض الذين جاءوا البقاء على أرض النيل زاهدين في حياة الصحراء القاسية .

أما بعد الفتح فقد ازدادت أعداد الجماعات العربية التي وفدت على مصر ، وجاءت مجاهدة في سبيل الله ، واستقرت هذه الجماعات على أرض وادي النيل لتحقيق الرسالة التي خرجوا من أجلها . وفضلاً عن الجند العرب الذين فتحوا مصر واستقروا بها فإن جماعات

أخرى من قبائل العربية تبعهم فيها بعد وهاجرت إلى مصر ، إما بدافع القرابة التي تربطهم بهؤلاء الجند أو رغبة في الاستقرار على أرض النيل . كما أن بعض الولاة كان يفد معه جماعات من رجال قبيلته وعشيرته لتكوين له في البلاد مستدأ وعوناً .

وفي سنة ٢١٩ هـ أسقط الخليفة المعتصم العرب من ديوان العطاء . وأدى ذلك إلى ترك العرب الجندية واستقرارهم في الأرض وزراعتها ، وترتب على ذلك تنشيط حركة التعريب وحركة انتشار الإسلام بين المصريين .

وقبيلة ربيعة - التي كانت تسكن البامة - واحدة من هذه القبائل العربية التي هاجرت إلى مصر ، وأسهمت في تعريب أهالي البلاد التي نزلت بها ، في عهد الخليفة العباسي المتوكل على الله ( ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ ) ، وعلى وجه التحديد بعد سنة ٢٤٠ هـ ، قدمت أعداد كبيرة من ربيعة إلى مصر واستقرت في أنحاء كثيرة منها . فنزلت طائفة منهم بالحوف الشرق عند بلبيس ، ونزلت طائفة ثانية بأعلى الصعيد وحدود بلاد النوبة الشمالية ، كما نزلت طائفة أخرى منهم بين قبائل البجة في الصحراء الشرقية . واختلط أبناء ربيعة مع أهالي تلك البلاد التي نزلوا فيها وصاهروهم واندمجوا معهم اندماجاً تاماً . بل إن الفرع الذي نزل بوادي العلاقي في الصحراء الشرقية استطاع أن يستفيد من نظام الوراثة عند قبائل البجة ، ونجح في نهاية الأمر أن يقيم إمارة حاكمة له هناك . ثم مالئ أبناءه أن نقلوا مركز هذه الإمارة من العلاقي إلى مدينة أسوان ، التي شهدت عصرها الذهبي أيامهم .

• • •

وقد قمت في بحثي هذا بدراسة تاريخية لبني الكثر ، وقسمته إلى أربعة أبواب :  
الباب الأول : وفيه تحدثت عن هجرة القبائل العربية إلى مصر عامة ومناطق استقرار هذه القبائل . ثم عرضت لقبيلة ربيعة ولهجرات بطونها إلى مصر ومناطق استقرارها ، وخاصة بين قبائل البجة التي كانت تسكن جنوبي صحراء مصر الشرقية . وهذا يقتضي التحدث عن علاقة البجة بمصر قبل الفتح الإسلامي وبعده ثم علاقتها بريبيعة . وفي هذه الدراسة تبين لنا كيف سيطرت ربيعة على البجة وكيف نجحت في إقامة أمارتها العربية الأولى في بلادهم . كما كانت لربيعة علاقة بأهالي المنطقة عند أسوان وما جاورها من بلاد النوبة الشمالية ، وقد انتهت أيضاً هذه العلاقة بسيطرة ربيعة على تلك المنطقة .

لذلك تحدثت في الباب الثاني عن بلاد النوبة الشمالية وصلتها بالتاريخ الإسلامي وعلاقة ربيعة بها ، وكيف نجحت إمارة ربيعة في نقل مركزها من منطقة العلاق بالصحرَاء إلى مدينة أسوان في النصف الأول من القرن الرابع الهجري . ثم تحدثت عن الدور الهام الذي قام به شيخ ربيعة « أبو المكارم هبة الله » في القبض على « أبي ركون » الناصر الأموي ضد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٧ هـ . وفي هذا الباب عالجته ظروف تلقيب بني ربيعة ببني الكتر كما تناولت بالدراسة علاقة بني الكتر بالخلفاء الفاطميين بعد الخليفة الحاكم بأمر الله . ومن هذه الدراسة اتضح لنا أنها كانت علاقة إخلاص وولاء . وأن هذا الولاء انقلب إلى عداوة للدولة في عهد الخليفة المستنصر بالله ( ٤٢٧ - ٤٨٧ هـ ) . وعلى وجه التحديد في سنة ٤٦٣ هـ . فقد استغل أمير بني الكتر حالة الضعف التي تعرضت لها البلاد في أعقاب الشدة المستنصرية ( ٤٤٧ - ٤٥٤ هـ ) وأعلن استقلال إمارته التام عن الخلافة الفاطمية . غير أنه ما كادت الأمور تستقر في البلاد بعد مقدم بدر الجمالي إليها . حتى قضى على هذه المحاولة الاستقلالية سنة ٤٦٩ هـ . وبعدها عادت العلاقات بين بني الكتر والخلفاء الفاطميين إلى ما كانت عليه من قبل ، كما عاد لبني الكتر نفوذهم ثانية عند أسوان بسبب وساطة ملك النوبة ثم عند بدر الجمالي غير أن المصادر التاريخية صمتت عن ذكر أية أخبار عن بني الكتر وعلاقتهم بالفاطميين في الفترة الأخيرة للخلافة الفاطمية . وعلى الرغم من هذا التقصير ، فقد حاولت بحث العلاقات بينهم وبين الفاطميين في هذه الفترة ، وما يحتمل أن تكون عليه .

وفي الباب الثالث : تحدثت عن علاقة بني الكتر بالأيوبيين والمماليك بادئاً ببيان علاقتهم بالسلطان صلاح الدين وتطور هذه العلاقة التي انتهت بالصدام والحرب بينهما . وفي هذا الصدد تحدثت عن محاولة بني الكتر إعادة الخلافة الفاطمية وعن الأسباب الحقيقية لهذه المحاولة التي أدت إلى قيام الحرب بين بني الكتر وبين صلاح الدين ، والتي انتهت بهزيمة بني الكتر وبنهاية إمارتهم الأولى عند أسوان . وهذا أدى إلى رحيلهم إلى بلاد النوبة الشمالية واندماجهم هناك اندماجاً تاماً مع أهلها . وكانت نتيجة ذلك الاندماج أن وصل بنو الكتر إلى عرش دنقلة ، بعد أن سقطت مملكة مقره المسيحية ، مستفيدين في تحقيق ذلك من نظام الوراثة عند النوبيين وقد عارض سلاطين المماليك وصول بني الكتر إلى عرش دنقلة ، وأرسلوا الحملات لإقصائهم عن هذا العرش ، ودخلوا معهم في حروب



متصلة أدت في النهاية إلى ضعف بني الكثر وسقوط دولتهم سنة ٨١٥ هـ . وفي نهاية هذا الباب أشرت إلى الفوضى التي عمت صعيد مصر في بداية القرن التاسع الهجري بسبب هجرة القبائل العربية إليه ، كما أشرت إلى دور هذه القبائل في القضاء على إمارة بني الكثر . وأخيراً تحدثت في شيء من الإنجاز عن حالة بني الكثر بعد سقوط دولتهم حتى الفتح العثماني لمصر .

وفي الباب الرابع : تحدثت عن مآثر بني الكثر . وفي هذا البحث حاولت جهدي أن أجمع كل أسماء حكام بني الكثر وأن أضع قائمة بأسمائهم وسنى حكم كل منهم وأهم أعمالهم ، غير أن جميع المصادر التي في متناول يدي لم تساعدني على تحقيق ذلك . وذلك لغلبة لقب « كثر الدولة » على كل منهم واكتفاء معظم المؤرخين بذكر القب دون الاسم . هذا فضلاً عن أن تاريخ بني الكثر لم يمتد إلى دراسته — حتى الآن — القدر الكافي من اهتمام المؤرخين لذلك جاءت هذه القائمة ناقصة . وآمل أن يتم من يبحث بعدي في تاريخ بني الكثر هذه القائمة إذا ما حالفه الحظ يوماً ما في التوصل إلى مصادر جديدة توضح الثغرات الغامضة في تاريخ بني الكثر وتاريخ إمارتهم .

وفي نهاية هذا الباب أوجزت الحديث عن عادات بني الكثر وتقاليدهم . هذا وأرجو أن أكون قد وفقت في كتابة هذا البحث وإخراجه على هذا النحو ، مع تقديري بوافر الشكر والعرفان لكل من قدم لي يد العون في إنجازه وأخص بالذكر أستاذي الدكتور أحمد السيد دراج رئيس قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة القاهرة .

والله ولي التوفيق

عطية القوصي

## عرض لأهم المصادر التي اعتمدت عليها في هذا البحث

اعتمدت في بحثي هذا على عدد وافر من مصادر التاريخ الإسلامي ، المخطوطة كما اعتمدت أيضاً على عدد كبير من المراجع الحديثة ، العربية والأوربية . وسأقتصر في هذا العرض على أهم المصادر والمراجع التي تتصل اتصالاً مباشراً بموضوع البحث ، والتي برزت أهميتها من خلال معالجتي لهذه الدراسة . ويأتي على رأسها المصادر الخطية ، وفيما يلي عرض لكل منها :

١ - الجزء الذي ما زال مخطوطاً من كتاب « سير الأبياء البطارقة » ، المعروف « بسير البيعة المقدسة » المؤلف أسقف الأشمونين ، ساويرس بن المقفع ، المتوفى في أواخر القرن الرابع الهجري .

وتظهر أهمية هذا الكتاب بالنسبة لبحثي في الجزء الذي أورده عن الولاة والأمراء الذين حكموا مصر حتى زمن الدولة الفاطمية ، وما كان من علاقة البطارقة بهم وبالنبوة والحليشة حتى زمن الخليفة الأمر بأحكام الله .

٢ - كتاب « مرآة الزمان في تاريخ الأعيان » لمؤلفه سبط ابن الجوزي ، المتوفى سنة ٦٥٤ هـ . وتأتي أهمية هذا الكتاب في الجزء الأخير منه لتناوله الحديث عما وقع في الفترة ما بين سنتي ٤٩٥ و ٦٥٤ هـ وهي فترة هامة في تاريخ إمارة بني الكثر الأول وتاريخ علاقتها بالدولة الفاطمية في أواخر أيامها وبالدولة الأيوبية .

٣ - كتاب « زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة » لمؤلفه يبيرس الدوادار ، المتوفى سنة ٧٢٥ هـ . والجزء الوحيد ، الموجود بمصر ، من هذا الكتاب هو الجزء التاسع الذي يتناول الأحداث التاريخية في الفترة ما بين سنتي ٦٥٦ و ٧٠٩ هـ ، ويبدأ بالكلام عن سلطنة الظاهر يبيرس وينتهي بالحديث عند أوائل سلطنة الملك الناصر محمد الثالثة . وهذه المخطوطة على جانب كبير من الأهمية ، نظراً لأن مؤلفها كان شاهداً عياناً للأحداث التي أوردها في كتابه ، وكان يعمل في ديوان الإنشاء .

٤ - الأجزاء التي ما زالت مخطوطة من كتاب « نهاية الأرب في فنون الأدب » لمؤلفه

التويرى الذى تولى سنة ٧٣٣ هـ . وثأتى أهمية هذا الكتاب فى الجزء الخاص بعصر دولة المماليك ، وخاصة عصر الملك الناصر محمد ، ذلك لمعاصرته له وتوليته كثيراً من المناصب فى عهده . وقد حدثنا التويرى فى كتابه هذا عن النوبة وعن تاريخها وعن بنى الكتر وعلاقتهم بالدولة المملوكية فى مصر .

٥ - كتاب « مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار » لمؤلفه شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمرى ، المتوفى سنة ٧٤٩ هـ . والكتاب يقع فى ١٦ جزءاً ، لم يحقق منه إلا الجزء الأول حتى الآن . وثأتى أهمية ما كتبه العمرى لما كان عليه من مكانة سامية فى عهد السلطان الملك الناصر محمد . فقد كان يقرأ البريد على السلطان وينفذ المهمات إلى سنة ٧٣٢ هـ ، وكان يساعد والده فى رئاسة ديوان الإنشاء حتى سنة ٧٣٨ هـ . وفى كتابه هذا حدد لنا العمرى طبيعة العلاقة بين بنى الكتر ، فى عهد إمارتهم الثانية ، وبين السلطنة المملوكية فى عهد الملك الناصر محمد .

وأما المصادر المطبوعة فبأتى فى مقدمتها بالنسبة لموضوع البحث :

أولاً - كتب الرحلات :

١ - ومن أهمها كتاب « البلدان » لليعقوبى ، المتوفى سنة ٢٩٢ هـ والذى أفادنى كثيراً بمحدثه عن البجة وعن مواضع الذهب والزمرد فى بلادهم .

٢ - كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى ، المتوفى سنة ٣٤٦ هـ - والمسعودى استقى معلومات كتابه من مشاهداته خلال أسفاره العديدة ، فقد كان يكثر خلالها الاستئصاء والبحث فجمع الحقائق التاريخية والجغرافية ما لم يسبقه إليه أحد .

وثأتى أهمية كتاب المسعودى بالنسبة لبخنى ، فى أنه كان معاصراً لبشر بن إسحق مؤسس إمارة بنى الكتر الأولى فى وادى العلالق وأنه تحدث فى إسهاب عن ظروف نشأة هذه الإمارة وقيامها فى أراضى البجة بالصحراء الشرقية .

٣ - ويستوى فى الأهمية مع مروج الذهب ، كتاب « صورة الأرض » لابن حوقل ، الذى عاش فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى وكان معاصراً للمسعودى ومعاصراً لقيام إمارة بنى الكتر الأولى فى وادى العلالق . وكان ابن حوقل من كبار الرحالة العرب

الذين جابوا الأمصار الإسلامية . واستمر في تجواله ثلاثين عاماً ، وأمدنا بمعلومات شيقة وهامة عن الشعوب التي زار بلادها . كما أمدنا بمعلومات طيبة عن قبائل البجة وعن ظروف اختلاط قبيلة ربيعة بها وكيفية وصولهم إلى رئاستها .

٤- ويأتى بعد ذلك كتاب « سفرنامه » لمؤلفه الرحالة الفارسي ناصري خسرو ، المتوفى سنة ٤٧٦ هـ . وقد جاب ناصري خسرو كثيراً من البلاد الإسلامية وخاصة الشام وفلسطين ومصر والحجاز ، وأودع كتابه هذا كل ما شاهدته في تلك البلاد . وكانت زيارته لمصر سنة ٤٣٩ هـ في أيام الخليفة المستنصر بالله الفاطمي ، واستمرت هذه الزيارة لمدة ، ستين استطاع خلالها التعرف على الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لمصر في عهد هذا الخليفة .

هذا وقد زار ناصري خسرو أسوان وعيذاب وقدّم لنا وصفاً طيباً لما في عهد ازدهار إمارة بنى الكثر الأولى .

٥- وتلى رحلة ناصري خسرو في الأهمية « رحلة ابن جبير » ، الذي رحل إلى مصر من الأندلس ثلاث مرات ، ثم أدركته الوفاة بالإسكندرية سنة ٦٠٤ هـ ، أثناء رحلته الثالثة . وقد زار ابن جبير الوجه القبلي في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وسافر من قوص إلى عيذاب بطريق الصحراء ومن عيذاب ركب البحر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج .

وأمدنا ابن جبير بمعلومات هامة عن عيذاب وعن أهميتها بالنسبة للتجارة والحج ، كما أمدنا بمعلومات هامة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في مصر زمن صلاح الدين وحدتنا أيضاً عن قبائل البجة في الصحراء الشرقية وفي ثغر عيذاب .

٦- ومن الرحالة الذين حدثونا عن حانة مصر السية في عهد السلطان الأيوبي الملك العادل ، الرحالة عبد اللطيف البغدادي ، المتوفى سنة ٦٢٩ هـ والذي وصف لنا الفترة السية التي مرت بمصر بين سنتي ٥٩٥ - ٥٩٧ هـ . وأفادنا عن نضوب معادن الذهب والزمرد في الصحراء الشرقية في أوائل العهد الأيوبي ، الأمر الذي شجع بنى الكثر على الرحيل من منطقة العلاق والهجرة إلى بلاد النوبة الشمالية .

٧- أما الرحالة ابن بطوطة ، المتوفى سنة ٧٧٩ هـ ، فيعتبر من أعظم الرحالة المسلمين ومن أكثرهم طوافاً في الآفاق . وقد وصف لنا ابن بطوطة في رحلته ، مشاهداته أثناء

رحلاته الثلاثة وقد أتيح له وصف مشاهداته عن قبائل البجة وعيذاب ، أثناء رحلته الأولى سنة ٧٢٦ هـ ، ورحلته الثانية سنة ٧٤٩ هـ <sup>(١)</sup> .

#### ثانياً - المصادر التاريخية المطبوعة :

١ - فن المصادر الأصلية التي أفدت منها في بحثي هذا ، كتاب « كنائس وأديرة مصر » المعروف بتاريخ أبو صالح الأرمي ، المتوفى سنة ٩٠٦ هـ . وقد زار أبو صالح مصر بعد سقوط دولة الفاطميين بقليل وشاهد أديرتها وكنائسها ووقف على أحوال الدولة الفاطمية في أواخر أيامها عن طريق ما سمعه من الرهبان والقسس وما شاهده هو بنفسه أثناء زيارته . ويعتبر تاريخ أبو صالح أيضاً من أهم مصادر تاريخ التوبة المسيحية وتاريخ علاقتها بالدولة الفاطمية والأيوبيية ، كذلك يعتبر من أهم مصادر تاريخ إمارة بني الكتر الأولى نظراً لأنه كان معاصراً لهذه الإمارة في أواخر أيامها .

ولا تناول في بحثي هذا علاقة بني الكتر بدولة الأيوبيين كان لزاماً على أن أرجع لأهم مصادر التاريخ الإسلامي المعاصرة للأيوبيين . وأعني بهؤلاء المؤرخين كل من : ابن الأثير ، وابن شداد ، وأبي شامة ، وابن واصل .

وفي حديثي ، في الباب الثالث ، عن علاقة بني الكتر بدولة المماليك اعتمدت على ، مصادر هذا العصر الأصلية المعاصرة ، فرجعت إلى ما كتبه كل من : ابن فضل الله العمري وابن خلدون ، والقلقشندي ، والمقرئ ، وابن حجر ، والعيني ، وأبي الحسن ، والسخاوي والسيوطي ، وابن أبياس .

ولا يفوتني أن أشير إلى مؤلفات المقرئ - على وجه التخصيص - الكبيرة منها منها والصغيرة . فقد استفدت منها جميعها ، وفي مقدمتها كتاب « المواعظ والاعتبار بذكر

(١) خرج ابن بطوطة في أول رحلة له من بلده طنجة سنة ٧٢٥ هـ واتجه إلى مصر ، ووصل إلى عيذاب في منتصف شعبان سنة ٧٢٦ هـ فاصعد أداء فريضة الحج لكنه لم يكمل رحلته منها إلى الحجاز وعاد أدراجه إلى تونس ومنها إلى الشام . عاد ابن بطوطة إلى مصر عن طريق الشام سنة ٧٤٩ هـ في رحلته الثانية واتجه إلى عيذاب ونجح في هذه المرة في الوصول إلى جده عبر البحر الأحمر ، وأدى فريضة الحج . وقام ابن بطوطة برحلته الثالثة إلى مصر في أوائل سنة ٧٥٠ هـ وتركها في نفس العام عائداً إلى بلاده .

انحطط والآثار ، نظراً لأهمية ما جاء به عن بلاد النوبة وقبائل البجة نقلاً عن كتاب . أخبار النوبة والمقرّة وعلوه والبجة والنيل ، مؤلفه ابن سليم الأسواني ، المتوفى في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري . فهذا الكتاب المفقود الذي لم يعثر على نسخة منه بعد ، يعتبر من أهم الكتب التي كتبت عن تاريخ النوبة والبجة . وكان ابن سليم قد كتبه بعد سفارة قام بها إلى بلاد النوبة بتكليف من القائد الفاطمي جوهري الصقلي إلى ملكها جورج الثاني ، واستقى معظم المعلومات التي دونها به عن النوبة من سيمون ولي عهد النوبة آنذاك . وقد أهدى ابن سليم هذا الكتاب ، بعد الفراغ منه ، إلى الخليفة الفاطمي العزيز بالله .

وفيما يختص بالباب الرابع ، الذي تحدث فيه عن مآثر بني الكتر ، فقد اطلعت على كتاب وخريدة القصر وخريدة أهل العصر ، الذي كتبه عماد الدين الأصفهاني ، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . وكتاب الخريدة يحوي تراجم مستفيضة للشعراء ورجال الأدب الذين عاشوا في أواخر العهد الفاطمي وأوائل عهد الأيوبيين . وما يجعل لهذه التراجم أهمية خاصة أن الأصفهاني قابل معظم هؤلاء الأدباء والشعراء وأخذ عنهم تاريخ حياتهم وشيئاً كثيراً من أشعارهم ، وبهنا الجزء الخاص بشعراء مصر .

وكذلك كتاب « الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد » للأدفي ، المتوفى سنة ٧٤٨ هـ . وهذا الكتاب تحدث عن مآثر بعض أمراء بني الكتر المعاصرين له ، وعن صدى هذه المآثر في أشعار عدد كبير من الشعراء الذين مدحوا بني الكتر .

هذا ويجب أن نشير - ونحن في صدد حديثنا عن المراجع الحديثة التي أفدت منها في بحثي - إلى ما كتبه المستشرقون عن بلاد النوبة والسودان عموماً ، وأشاروا خلال كتاباتهم عن هذه البلاد إلى تاريخ بني الكتر . ويأتي في مقدمة هؤلاء المستشرق ماك مايكل : Mac Michael, H. A. الذي قدم لنا أهم الكتب الحديثة التي كتبت عن تاريخ السودان وهو كتاب :

— تاريخ العرب في السودان

A History of the Arabs in the Sudan

وأهمية هذا الكتاب مستمدة من أن مؤلفه استقى معلوماته من كتب الأنساب التي وجدها في السودان وبلاد النوبة ، ذلك لأن ماك مايكل عاش في السودان مدة طويلة كان

يشغل خلالها وظيفة حكومية هامة سهلت له الاطلاع على المصادر النادرة ويسرت له الاتصال بكبار رجال القبائل الذين زودوه بأهم المعلومات عن تاريخ النوبة والسودان . هذا فضلا عما قام به مالك مايكل من دراسة دقيقة لمصادر التاريخ الإسلامى متبعاً في هذه الدراسة أدق أساليب البحث العلمى .

ويأتى بعد مالك مايكل فى الأهمية كل من : آركل Arkell ، وبديج Budge ، وهاميلتون Hamilton ، وبول Paul وكترمير Quatremère ، فقد انصبت دراساتهم بصفة أصلية على ميدان البحث .

وأما عن المراجع العربية الحديثة التى استفدت منها فى دراستى هذه ، فيأتى على رأسها ما كتبه السادة الأساتذة الأفاضل : نعم شقير ، والدكتور محمد عوض محمد ، والدكتور مصطفى محمد مسعد .

## الباب الأول

بنو الكنز وسياستهم فى إقامة دولتهم

- ١ - الهجرات العربية إلى مصر .
- ٢ - قبيلة ربيعة وهجرتها إلى مصر .
- ٣ - اختلاط ربيعة بقبائل البجة .
- ٤ - إمارة ربيعة الأولى فى وادى العلاق .





## ١ - الهجرات العربية إلى مصر

عرف العرب منذ القدم ، الطريق إلى مصر وإلى وادي النيل طلباً للتجارة عبر مسالك سيناء ودروبها ، أو عبر البحر الأحمر . كما تسببت الأحوال الاقتصادية السيئة التي تعرضت لها شبه جزيرة العرب من وقت لآخر طوال حقب التاريخ المختلفة ، في دفع أعداد من سكانها على الهجرة إلى وادي النيل سالكين الطرق ذاتها . وقد تمت هذه الهجرات بأعداد متفاوتة وعلى مراحل متباعدة عبر القرون . غير أن هذه الهجرات التي ترجع إلى عصور التاريخ القديمة لم يترتب عليها تغيير جذري في تكوين شعب وادي النيل مطلقاً حدث بعد الفتح العربي لمصر . ويمكن - في هذا المجال - أن نشير إلى ما تمخض عنه هذا التغير الجذري من تعريب مصر واعتناق الغالبية العظمى من أهلها الإسلام . فبعد أن تم للعرب فتح مصر سنة ٦٤٠ هـ ، استقرت القوات الفاتحة فيها ، كما تلته قوات أخرى بعد الفتح <sup>(١)</sup> . وكان الجند العرب الذين استقروا في مصر عقب الفتح يتسبون إلى قبائل مختلفة ، قبطانية وعدنانية . هذا ويتصل على الباحث معرفة أسماء القبائل العربية التي ينسب إليها هؤلاء الجند الذين اشتركوا في فتح مصر ، وذلك نظراً لاختلاف الروايات بين من أرخ الفتح من المؤرخين العرب <sup>(٢)</sup> . غير أن الباحث يمكنه أن يخرج - على الرغم من هذا الاختلاف في الروايات - بحقيقة هامة ، وهي أن معظم القبائل التي اشتركت في الفتح أو هاجرت إلى مصر في أعقابها ، كانت قبائل ،

(١) كان عدد قوات حملة عمرو الأول يتراوح ما بين ٤٠٠٠٠ و ٣٥٠٠٠ رجل ولقت بهم بعد ذلك قيادة الزبير بن العوام قوامها ٤٠٠٠ رجل ، وإن كان هناك من يذكر أنها ١٢,٠٠٠ رجل ( ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، نشر تشارلز توري ، لندن ١٩٢٠ ، ص ٥٦ ) .

(٢) يقول ماكايكل : في كتابه *A History of the Arabs in the Sudan*, New York 1967, Vol. I, P. 132. أن أول من كتب عن الفتح العربي لمصر كان كتاباً من الأنياب ، وأن العرب لم يكتبوا عن الفتح إلا في القرن الثالث الهجري ولم يهتموا في كتاباتهم على ما كتبه الأنياب وذلك لشكهم في هذه الكتابات . وأن كتابي فتوح مصر لابن عبد الحكم وفتوح البلدان لابن خلدون هما السجلات الرئيسيتان عن الحملة ، وأن هذين السجلين يختلفان بعض الاختلاف في ذكر أسماء وأعداد القبائل التي اشتركت في الحملة . ويرغم هذا الاختلاف فقد اعتمد المقرئ على كتابه « البيان والإعراب » ما بأرض مصر من الأعراق ، على مصالح موضوع القبائل العربية في مصر .

قحطانية<sup>(١)</sup> . ويأتى على رأس هذه القبائل :

١ - قبيلة بل : وكانت في البهاهلية تستقر بالشام وجاءت إلى مصر وقت الفتح بأمر الخليفة عمر بن الخطاب<sup>(٢)</sup> وعند مقدمهم إلى مصر حدث خلاف كبير بينهم وبين أقربائهم من جهة ، وتم أخيراً الاتفاق بينهما على أن تستقر بل في منطقة ميناء عذاب على البحر الأحمر .

٢ - جهة : قبل أن تهاجر جهة إلى أفريقية ، كانت تسكن الحجاز جنوبي ينبع . وكان رجالها من أوائل البدو الذين دخلوا في الإسلام وأوائل من هاجروا إلى مصر واستقروا في أعلى الصعيد<sup>(٣)</sup> .

٣ - علك : وبلادهم تهامة اليمن جنوبي الجزيرة العربية . اشتركوا في فتح مصر وكانوا يمثلون جزءاً كبيراً من جيش عمرو بن العاص<sup>(٤)</sup> .

٤ - همدان : كانت تسكن مكة وشهدت فتح مصر وبذل رجالها جهداً كبيراً في فتح حصن بابلين<sup>(٥)</sup> .

٥ - كندة : كانت قبل الإسلام تسكن غربي حضرموت وشهد عدد كبير منها فتح مصر<sup>(٦)</sup> .

٦ - نغم : كانت قبائل منها تقيم عند العريش وقت أن سار عمرو إلى مصر ، وانضمت أعداد منها إلى جيشه ودخلت معه مصر واستقرت فيها بعد الفتح<sup>(٧)</sup> .

وهناك أسماء قبائل أخرى قحطانية دخلت مصر مع الفتح ، من بينها : الأزد ،

(١) عن حرب الجنوب وأشهر قبائلهم انظر : البكري ، معجم ما استعجم ، نشر مصطفى السقا ، القاهرة ١٩٤٥

ص ١٧ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، نشر حنري ماسيه ، لندن ١٩٢٠ ، ص ١١١ .

(٣) المقرئى : البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، نشر عبد المجيد حابدين ، القاهرة ١٩٦١ ،

ص ٣٢ .

(٤) ابن عبد الحكم : نفس المصدر السابق ، ص ٥٦ .

(٥) ابن عبد الحكم : نفس المصدر السابق ، ص ٦٢ .

(٦) الكتندى : ولاية مصر ، تحقيق حسين نصار ، بيروت ١٩٥٩ ، ص ٧٠ .

(٧) ابن عبد الحكم : نفس المصدر السابق ، ص ٥٨ .

جنداء . خولان ، تنوخ ، مذجع ، وكندة<sup>(١)</sup> .

وتركز استقرار هذه القبائل بعد الفتح في منطقة الحوف الشرقى . في بلاد : أهناس طحا . وسيم ، بيا ، بوسير ، أنزيب ، طريه ، وقريبط . هذا فضلا عن استقرار البعض منها في بلاد أخرى مثل : منف ، منف ، بيا ، عين شمس ، النجوم ، البهنا القيس . سخا ، وخربتا<sup>(٢)</sup> .

وتشير الروايات إلى أن أعداد قليلة من القبائل العدنانية اشتركت في حملات ، الفتح<sup>(٣)</sup> ، وكانت من قريش أهم بطون كنانة ، وخاصة من بني عزموم وبني أمية<sup>(٤)</sup> . كذلك اشتركت أعداد من فهم وعدوان<sup>(٥)</sup> . وازدادت أعداد القبائل العدنانية انقادة إلى مصر في العهد الأموى ، ابتداء من عهد عبد العزيز بن مروان الذى استقدم سنة ٦٥ هـ أعداداً كبيرة منها<sup>(٦)</sup> .

كذلك نقلت أعداد من القبائل القيسية إلى مصر في عهد ولاية الوليد بن رفاعه النهشى على مصر ( ١٠٩ ط ١١١ هـ )<sup>(٧)</sup> من قبل أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك . وكان ذلك حين وفد عبيد الله بن الحبحاب - متولى خراج مصر - على هشام وسأله أن يقل إلى مصر أبياتاً منها . فأذن له الخليفة في إلحاق ثلاثة آلاف منهم وتحويل ديوانهم إلى مصر على ألا يتزعم القسوط . فقدم ابن الحبحاب بألف وخمسمائة بيت وأنزلم الحوف الشرقى وفرقهم فيه . وقد تم هذا في فترات تقع ما بين أعوام ١٠٩ و ١١٤ هـ<sup>(٨)</sup> . واكتسل العدد الذى

(١) ابن عبد الحكم : نفس المصدر السابق ، ص ١٠٨ - ١٣٨ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ١٤١ ، ١٤٢ .

(٣) عن قبائل العدنانية وبطونها انظر : محمد الحضرى : محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ، القاهرة ١٩٢٢ ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٤) القلقشنى : نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٣٣٠ .

(٥) الكنتى : ولاية مصر ، ص ٩٨ .

(٦) الكنتى : ولاية مصر ، ص ٦٩ .

(٧) تولي الوليد بن رفاعه النهشى على مصر من سنة ١٠٩ - ١١١ هـ ، وتوفي سنة ١١٧ هـ ( زاباور مجسم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامى ، ترجمة وتحقيق : زكى حسن وحسن أحمد محمود ، القاهرة ١٩٥١ ، ص ٣٨ .

(٨) مات هشام وببليس ألف وخمسمائة أهل بيت من قيس - انظر : الكنتى ، ولاية مصر ص ٦٨ .

أمريه الخليفة هشام سنة ١٣١ هـ في عهد ولاية الحوزة بن سهيل الباهلي ، من قبل الخليفة مروان بن محمد . ويوم أن مات مروان كان في الحوف ثلاثة آلاف أسرة من قبس كانت غالبيتها من فزارة وبني هلال وبني سليم وبشر وهوازن<sup>(١)</sup>.

ولم يستمر استقرار هذه القبائل في الحوف الشرقي ، فقد تحركت أعداد منها واتجهت إلى صعيد مصر . وجاوز بعضها الصعيد إلى بلاد النوبة ، كما واصل البعض الآخر المسيرة إلى السودان ، وكان ذلك نتيجة لعوامل اقتصادية وسياسية تعرضت لها مصر . وقد تمثلت هذه العوامل في إلزام العرب بدفع الخراج عن الأرض الزراعية التي سمح لهم في العهد الأموي بملكيتها وزراعتها ، ثم ازدياد حصة هذا الخراج في العهد العباسي وتعتت الولاة في جمعه ، الأمر الذي دفع عرب الحوف إلى الثورة لرفع العن عنهم . فتار عرب الحوف سنة ١٦٨ هـ في عهد الخليفة المهدي ، ضد الولي موسى بن مصعب الخثعمي ، لتشدده معهم في جباية الخراج . كذلك ثاروا عدة مرات في عهد الخليفة هارون الرشيد ، في سنة ١٧٨ هـ أيام ولاية إسحاق بن سليمان ، وفي سنة ١٨٢ هـ أيام ولاية الليث بن الفضل ، وفي سنة ١٩٠ هـ أيام ولاية الحسين بن جميل . وثاروا أيضاً في عهد الخليفة المأمون ، في سنة ٢١٢ هـ أيام ولاية عيسى بن يزيد الجلودي ، وفي سنة ٢١٦ هـ أيام ولاية عيسى بن منصور<sup>(٢)</sup>.

ولم تنجح كل هذه الثورات في تحقيق أغراضها ، بل إنها زادت من تعتت الولاة مع العرب . لذا لم يكن أمام العرب إلا أن يهجروا أرض الحوف ويبحثوا لهم عن مورد آخر للرزق ، فالتجعت أعداد كبيرة منهم إلى الصعيد وإلى الصحراء الشرقية بحثاً عن المعادن . وازداد انتشار هذه القبائل في صعيد مصر وازداد اختلاطها بأهالي البلاد المصريين في عهد الخليفة المتعصم بالله العباسي (٢١٨ - ٢٢٧ هـ) بسبب قراره الخاص بإسقاط العرب من الديوان ، وحرمانهم من العطاء المقرر لهم ولأسرهم ، والذي نفذته في مصر وإليه كيدر بن نصر الصفدي<sup>(٣)</sup> . ونتيجة لهذا القرار فقد العرب مورد رزقهم فانتشروا في

(١) الكندي : نفس المصدر السابق ، ص ٩٨ .

(٢) سيدة إسماعيل كاشف : مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية ، القاهرة ١٩٤٧ ، ص ٢٥٣ - ٢٥٦ .

(٣) كانت ولاية كيدر على مصر من سنة ٢١٧ حتى سنة ٢١٩ هـ (سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ص ٢٨٢ .

أنحاء مصر يسمون وراء الرزق عن طريق آخر غير طريق الجهاد والحرب : فاحترقوا ، الزراعة والتجارة وغيرها من الحرف التي كان العرب يترفع عن العمل بها . وأدى ذلك إلى اختلاطهم بالمصريين ونشر الإسلام بينهم ومصاهرتهم ، وأدى اعتناق المصريين للإسلام إلى اندماجهم التام مع العرب وإلى تعريب بلادهم<sup>(١)</sup> .

( ١ ) يقول المقرئ ( الملاحظ والاحتمار بذكر الخطط والآثار ، طبعة بولاق ١٢٧٠ هـ ، ج ١ ، ص ٨١ ) : « إن العرب منذ أن نزلوا ريف مصر واستوطنوا فيه هم وأهاليهم انقلوا الزرع سائرًا وكسبًا واعتطوا بالآداب وتزويروا من بناتهم فانتقد الرجال من الآداب إلى إظهار الإسلام ليتزويروا من المسلمات ، فاعتطت بذلك أنسابهم بأنساب المسلمين » .

## ٢ - قبيلة ربيعة وهجرتها إلى مصر

وقبيلة ربيعة واحدة من هذه القبائل التي هاجرت إلى مصر وشقت طريقها إلى منطقة وادي حوف بالصحراء الشرقية ، ثم اتجهت بعد ذلك إلى وادي العلاق جنوب هذه الصحراء . وتعد هذه القبيلة من أكبر القبائل العدنانية ؛ فهي تنسب مع قبائل مضر ، وأنمار ، وإباد ، إلى نزار بن معد بن عدنان<sup>(١)</sup> . وكانت مساكن ربيعة الأولى تحتل من مرتفعات نجد من مهبط الجبل إلى الغور من تهامة<sup>(٢)</sup> ومن بطونها : أسد ، وغلب ، وشيبان ، وحنيفة ، وعزرة ، ولجيم ، وعبد القيس والنسر ، وزحل ، وبنو يونس<sup>(٣)</sup> .

وقد ظلت هذه البطون تقيم في بلادها حتى وقعت الحرب بينها بسبب مقتل « جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان كلب بن ربيعة » ، وهي الحرب التي استمرت بينهم فترة طويلة انتهت بانتصار بكر على تغلب ، في واقعة يوم التحالف<sup>(٤)</sup> . وبسبب هذه الحرب تشتت بطون ربيعة وانتشرت في البلاد<sup>(٥)</sup> . فانتشرت بكر بن وائل وعزرة وضيعة في اليمامة ، فيما بينها وبين البحرين إلى أطراف سواد العراق ، واتجهت تغلب من نجد إلى إقليم الجزيرة في الشمال الغربي . وسارت عبد القيس مع بكر من تهامة شرقاً إلى البحرين ، هذا وكانت قبيلة ربيعة تمتنع المسيحية حتى مطلع القرن السابع

(١) تنسب قبيلة ربيعة إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، وكان يعرف بريبة القرية . ( ابن حيد ربه : لصفه القريه ، تحقيق محمد سيد المرينان ، القاهرة ١٩٥٣ ، ج ٢٢ ، ص ٢٥٧ - البكري : معجم ما تسمي ، ج ١ ، ص ٥ ) .

(٢) مرزوق كحالة : معجم قبائل العرب ، طبع دمشق ١٩٤٩ ، ج ٢ ، ص ٤٢٤ ، ٤٢٥ .  
(٣) ابن الحنبل : الأئثار الرقيقة في ما تروى ربيعة ، مخطوطة مصورة بمعهد المخطوطات العربية ، رقم ٢ .

ورقة ٢ ، ٢ .  
- ابن أبيكار الأدي : نهاية الأرب في أخبار العرب ، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٤٩٠ ح ٥ .

ورقة ١ .  
(٤) يقلد البكري من ربيعة ( معجم ما تسمي ، ج ١ ، ص ٨٥ ) : « ولم تزل (الحرب) تنقلهم من بلد إلى بلد حتى فتحهم من أرض إلى أرض » وفي النهاية انتصرت بكر على تغلب في واقعة يوم التحالف .  
(٥) ابن الحنبل : نفس المصدر ، ورقة ٤ .

الميلادى ثم تحولت بعد ذلك إلى الإسلام<sup>(١)</sup>.

وجاءت أعداد قليلة من بطون ربيعة إلى مصر ، ضمن الجيش العربى الفاتح ، كما تلاهم فى القدوم إلى مصر إخوة لهم فى أعقاب الفتح . غير أن هجرة بنى ربيعة إلى مصر فى أعداد كبيرة لم تحدث إلا فى عهد الدولة العباسية. فإن ابن عبد الحكم يذكر أنه كان لعنة - وهى إحدى بطون ربيعة - بفسطاط مصر نحو من عشر دور مجتمعة ، ومسجد فى أصل العقبة عند دار ابن صامت<sup>(٢)</sup>.

ثم تضى فترة طويلة لا تحدثنا فيها المراجع عن قبيلة ربيعة إلى أن تأتى سنة ٢٠٧ هـ . فى هذه السنة يحدثنا الكندى عن مجيء جيش من بطن بنى شيبان من ربيعة مع خالد ابن يزيد الشيبانى . الذى ولاه الخليفة المأمون ولاية مصر سنة ٢٠٦ هـ ، وبعثه على رأس هذا الجيش من ربيعة. ومن انضم إليه من جماعات أخرى ليقتضى على عبيد الله بن السرى . وإلى مصر<sup>(٣)</sup> . وكان الجند فى مصر قد بايعوا ابن السرى بالولاية ( يوم الثلاثاء التاسع من شعبان سنة ٢٠ هـ ) دون الرجوع إلى الخليفة<sup>(٤)</sup> . وجرى حروب بين قوات خالد من ربيعة وقوات ابن السرى ، انتهت بهزيمة قوات ربيعة ووقوع خالد أسيراً فى يد القوات المنتصرة ( ٥ شوال سنة ٢٠٧ هـ ) . إلا أن ابن السرى عفى عن خالد ، وعرضه عما فقد ، وخيره بين المقام عنده أو الذهاب أنى شاء . فاختار خالد الرحيل وركب البحر من القلزم إلى مكة . وأما جنده من بنى ربيعة فقد آثروا البقاء فى مصر وطأب لهم المقام بها<sup>(٥)</sup>.

وفى خلافة المتوكل على الله العباسى ، وعلى وجه التحديد سنة ٢٣٨ هـ ، هاجرت أعداد كبيرة من ربيعة ، من بنى حنيفة وبنى يونس ، ومعهما أعداد من مضر بعيالهم

(١) — Mac Michael: A History of the Arabs in the Sudan, Vol. I, P. 148.

(٢) ابن عبد الحكم : فتح مصر ، ص ١١٥ ، ١١٦ .

(٣) ول عبيد الله بن السرى مصر من سنة ٢٠٦ هـ إلى سنة ٢١١ هـ ( ٨٢١ - ٨٢٦ م ) ( سيرة كاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ٣٨٠ ) .

(٤) الكندى : ولاية مصر ، ص ١٩٨ .

(٥) الكندى : ولاية مصر ، ص ١٨٩ - ٢٠١ .

— المقرئى : القلط ، طبعة بولاق ، ج ١ ، ص ١٧٨ .



وذكرتهم من اليمامة إلى مصر<sup>(١)</sup>. وكان ذلك بسبب نزول بني الأخيضر بها<sup>(٢)</sup>. ونزلت أعداد بني حنيقة وادى العلاق، في الصحراء الشرقية بين النيل وبحر القزم، وابتنا هناك أكثر من بلدة لهم. واستقر بنو يونس في ثغر عيذاب<sup>(٣)</sup>. كما نزلت جماعة أخرى من بني حنيقة بأسوان. وابتنا لهم بظاهرها بلدة أخرى عرفت بالحدثة<sup>(٤)</sup>.

• • •

(١) يذكر القموني (البلدان، طبعة ليدن ١٨٩١، ص ٣٣٤) أن حجرة ريبة الكبرى إلى مصر كانت

سنة ٢٣٨ هـ.

- وابن حوقل (صورة الأرض، نشر كرامرز، ليدن ١٩٣٨، ص ٥٣) يذكر نفس تاريخ القموني.

- بينما يذكر القموني (البيان والأعراب) أن حجرة ريبة الكبرى كانت في أعوام بفتح وأربعين ومائتين.

- ونحن نرجح رأي القموني وابن حوقل لقرب عهدهما للأحداث التي ذكروها.

(٢) بنو الأخيضر نسبة إلى محمد الأخيضر بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجوني بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب، الذي نصح في أن يقيم باليمامة دولة علوية عرفت باسم دولة بني الأخيضر، استقل بها عن الخلافة العباسية. ولم يزل بنو الأخيضر يتولون الملك باليمامة حتى طبع قرامطة البحرين في وسط سلطانهم على جزيرة العرب، فتطلبوا على اليمامة في أوائل القرن الرابع الهجري، وبذلك زالت دولة بني الأخيضر (محمد جمال الدين سرور: سيرة الفاطميين الخارجيين، القاهرة ١٩٦٧، ص ٥٥ و ٥٦).

(٣) القموني: البيان والإعراب، ص ٤٤ (يقول القموني إن بني يونس وهم بطن من ريبة ظلوا في

ثغر عيذاب حتى طردهم منه بنو حنيقة في مطلع القرن الرابع الهجري، ومن ثم رحل بنو يونس من الثغر إلى الحباز).

(٤) يقول ابن حوقل (صورة الأرض، ص ٣١ و ٤٤) كانت اليمامة قراراً لريبة وبصر، فلد نزل عليها بنو الأخيضر حلت العرب منها إلى جزيرة مصر فسكنوا بين النيل والقلمزم، وقرت ريبة وبصر هناك وصارت لهم ولتسم كالدائر التي لم يزلوا بها. وابتنا بها غير منير كالحديثة التي بظاهر أسوان، وبصيف ابن حوقل تسمى هذه الحديثة بقوله وهي الحديثة التي لريبة بحدة لأسوان.

### ٣ - اختلاط. ربيعة بقبائل البجة

البجة قبائل حامية كانت تسكن الصحراء الشرقية بين النيل والبحر الأحمر<sup>(١)</sup> ، وقد عرفها المؤرخون المسلمون الأول وتحدثوا عنها . فاليعقوبي يذكر أن لبجة عدة ممالك لكل مملكة منها ملك مستقل ، وأن أول هذه الممالك من جهة مصر تبدأ من حد أسوان إلى حد بركات ، وأن شعبها من الجنس الذي يقال له نقيس . وعاصمة هذه المملكة بلدة هجر . ويضيف اليعقوبي أن لبجة بطوناً وقبائل كما تكون للعرب ، ومن هذه البطون : الحنرات - وحجاب - والعنائر ، وكرفار ، ونامه . وريسة ، وعربريه ، والزناج<sup>(٢)</sup> .

ويذكر الأصطخري أن بوادي العلاق خلفاً كثيراً من البجة ، وأنه مجتمع أهلها ومقصد التجار منها . وإلى هذا الوادي يند أهل الصعيد وسائر البجة ، وهو لهم كالحقيرة الجامعة<sup>(٣)</sup> .

ويحدد المنريزي أول بلاد البجة بقرية تعرف بالحربة ، وهي معدن الزمرد في صحراء قوص ، وآخر بلادهم أول بلاد الحبيشة<sup>(٤)</sup> .

ويستقى هؤلاء البجة إلى جماعات حامية سكنت الصحراء الشرقية من قديم الزمن . وتم اختلاطها على مراحل طويلة مع جماعات عربية من قبيلة بلي ، كانت قد هاجرت إلى

(١) تحت لوطان البجة الحالية من محافظة أسوان في الشمال إلى الأطراف الشمالية لغصبة الحبيشة في الجنوب ، ومن البحر الأحمر في الشرق إلى النيل ونهر عطبرة . وهم ينقسمون في الوقت الحاضر إلى أربع قبائل كبيرة هي : البشاريين في الشمال ، يليهم جنوباً الأكرار ، ثم المندومة ، ثم بنو عامر . وتزيد بالإضافة إلى ذلك قبائل صغيرة مثل : الأشراف والأيتقا ، الخانقا ، وغيرهم وكثهم يفتنون بالإسلام ، ولم يبق من يتنسى الآن بالبجة إلا طائفة صغيرة مختلطة في الصحراء الشرقية في بنو عامر (نوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث والجغرافيته ، القاهرة ١٩٠٣ ، ج ٢ ، ص ٦٧) .

- محمد عوض محمد : السودان الشمال ، سكانه وقبائله ، القاهرة ١٩٥١ ، ص ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ .

(٢) تاريخ اليعقوبي : طبعة بيروت ١٩٦٠ ، ج ١ ، ص ١٩٢ .

(٣) مسالك الممالك : نشر في غزوة ، لندن ١٩٢٧ ، ص ٥٤ .

(٤) الخلط ، نشر جاستون فييت ، القاهرة ١٩٢٢ ، الجزء الثالث ، القسم الثاني ، ص ٢٦٧ .

تلك المنطقة . واستطاعت هذه الجماعات العربية المهاجرة ، التي أصبحت تعرف باسم البليسين أو البليين ، أن تسيطر على البجة وأن تنبؤاً مركز الزعامة فيهم<sup>(١)</sup> .

ومن عادات البجة أنهم لا يورثون البنات ، إنما يورثون ابن الأخت وابن البنت دون ولد الصلب<sup>(٢)</sup> . وقد ذكر ذلك عنهم ابن بطوطة ، الرحالة العربي ، الذي مر ببلادهم أثناء رحلته الأولى في سنة ٧٢٦ هـ ورحلته الثانية سنة ٧٤٩ هـ . فهم يقولون : إن ولادة ابن الأخت وابن البنت أصح وأن يكون من زوجها أو من غيره فهو ولدها على كل حال<sup>(٣)</sup> . - ومن ثم فإن شأن القتي يعلو عندهم بعلو شأن خاله<sup>(٤)</sup> .

وذكر المقرئ الشىء الكثير عن حياة البجة وعن عاداتهم وتقاليدهم ، وذكر أيضاً أنهم كانوا يقومون بنقل الحجاج من ثغر عيذاب إلى مكة المكرمة عبر البحر الأحمر<sup>(٥)</sup> وأنهم كانوا يستخدمون في ذلك ( الجلاب ) التي كانوا يصنعونها بأيديهم<sup>(٦)</sup> .

ولبلاد البجة أهمية كبرى نظراً لوجود المعادن بأرضها وخاصة معدن الذهب ، فضلاً عن وجود الأحجار الكريمة بها ، وخاصة أحجار الزمرد<sup>(٧)</sup> .

هذا عن البجة . أما عن علاقتهم بالعرب ، فلقد هاجر العرب إلى بلادهم قبل الإسلام وبعده ، غير أن هجرتهم إليها بعد الإسلام كانت أعم وأشمل . والأمر الذي

(١) الرابع أن هؤلاء البليسين طبقاً أرستقراطية عربية استطاعت بما لديها من خبرات آلية وصفات حرية منازرة أن تسيطر على مجسوة كبيرة من البجة الشبانين مدة ثمانية قرون على الأقل وأن تستعين بهم على تحقيق مصالحها الاقتصادية والحربية التوسعية نهن البطالمة والرومان . ولما تخلخل سلطان هذه العلية الحاكمة في القرن السادس الميلادي عاد اسم البجة القديم إلى هذه القبائل وبه عرفوا فيما بعد ( مصطلح محمد سميد : البجة والعرب في التصور الوسطي ، مقال بمجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، المجلد ٢١ - العدد الثالث - ديسمبر ١٩٥٩ ، ص ٧ )

(٢) يقول ابن حوقل ( صورة الأرض ، القسم الأول ، ص ٥٧ ) : « ومن سنة جميع السودان إذا هلك الملك أن يقدم ابن أخته دون كل قريب وحسيم من ولد وأهل » .

(٣) رحلة ابن بطوطة ، طبعة القاهرة ١٣٢٢ هـ ، ج ١ ، ص ٣٦ .

(٤) محمد عوض محمد ، السودان الشال ، ص ٤٤ .

(٥) الخطط ، نشرقيت ، القسم الثالث - الجزء الثالث ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(٦) الجلاب ويقردها جلبة ، وهي سفن صغيرة كان يستخدمها البجة في نقل الحجاج من ميناء عيذاب إلى ميناء جدة عبر البحر الأحمر ، ولقد وصف لنا الرحالة ابن جبير طريقة عمل هذه الجلاب ، ولمعرفة هذه الطريقة انظر : رحلة ابن جبير ( تذكره بالأخبار عن اتفاقات الأسفار ) تحقيق حسين نصار ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٦٨ .

(٧) سنود الكلام عن معادن البجة في والباب الرابع من هذا البحث .

لاشك فيه هو أن عرب ربيعهم وغيرهم من النازحين من الجزيرة العربية إلى تلك البلاد بعد الإسلام قد استفادوا من خبرات من سبقهم إليها ، وبمعرفتهم بأحوالها وبعمالها وبأخلاق أهلها .

فقد كانت قبيلة بلي اليمنية مختلطة بالبجة أيام حكم البطائفة لاهمر ، وكان البطائفة يعتمدون عليها في مشروعاتهم التجارية عبر البحر الأحمر . كما كان رجالها يقومون ، ينقل المناجر من شاطئه الآسيوي إلى شاطئه الأفريقي ويحمون التجارة من غارات قبائل البجة . ويبدو أن أعدادا من قبيلة بلي تركت الاشتغال بالتجارة وآثرت الاستقرار في بلاد البجة ، ثم اختلطوا بأهلها وتصاهروا معهم . كما استفادوا من نظام الوراثة عند البجة كما أسلفنا ، وكونوا من أنفسهم طبقة حاكمة لهم . وكان عرب بلي من القوة والكثرة العددية بمكانة حتى أن اسمهم غدا في لغة البجة الأصلية ( التبادوية ) مرادفاً للفظ عرب أو عربى <sup>(١)</sup> .

وما يدل على أن هناك انتقالات من بلاد العرب إلى مصر قبل الإسلام ، تلك الأخبار التي وردت في القصص العربي القديم ، عن قيام الحميريين بحملات عسكرية في وادي النيل الأوسط وشمال أفريقية . وأن هذه الحملات تركت وراءها جماعات استقرت في بلاد النوبة وأوطان البجة وشمال أفريقية <sup>(٢)</sup> .

كذلك تلك الرواية التي أوردها ابن خلدون عن حملة قادها « أبرهة ذى المنار ابن ذى القرنين الحميرى » على السودان وبلاد النوبة ، حوالى أوائل القرن الأول ، الميلادى <sup>(٣)</sup> .

وهناك أيضاً رواية تحكى قصة حملة أرسلت إلى بلاد البجة في القرن الأول الميلادى بقيادة رجل يدعى « أبو مالك » ، ذكر بأنه آخر الملوك الحميريين وأن هذه الحملة جاءت للبحث عن الزمرد في صحراء البجة ، ولكن أفرادها ماتوا عطشاً بعد أن ضلوا الطريق في الصحراء <sup>(٤)</sup> .

(١) مصطلح مسند : البجة في المصور الوسطى ، ص ١٣ ( نقلاً عن ابن خلدون ) .

(٢) مصطلح مسند : البجة والغرب في المصور الوسطى ، ص ١١ .

(٣) مصطلح مسند : نفس المصدر السابق ، ص ١١ ( نقلاً عن ابن خلدون ) .

(٤) — Mac Michael: Op. Cit., Vol. I, P. 9:

( يذكروا ما كمل أن أباً مالك هذا ولد سنة ٣١ م وأن اسمه بالكامل هو : أبو مالك بن شمس برعش الحميرى .

أما عن علاقة العرب بالبجة بعد الإسلام ، فمن الثابت أن جماعة من عرب هوزن عبرت البحر الأحمر في أعقاب فتح مصر واستقرت في أرض البجة وعرفوا هناك باسم « الحلائقة » وأن هؤلاء الحلائقة أول من استقر من العرب المسلمين في الوطن البجوي<sup>(١)</sup> . وثلت هذه الجماعة جماعة أخرى قدمت من حضرموت أيام ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي ، سنة ٧٣هـ<sup>(٢)</sup> . واستقرت هذه الجماعة بين البجة وأصبحت جزءاً منهم وعرفت باسم « الحداربة »<sup>(٣)</sup> . أو « الحدارب »<sup>(٤)</sup> .

كما أن جماعات من الأمويين لجأت إلى بلاد البجة في منتصف القرن الثاني الهجري هرباً من مذابح العباسيين ، واستقر عدد منهم في ميناء باضع ( جزيرة الريح )<sup>(٥)</sup> . وعلى الرغم من استقرار بعض جماعات من العرب في أرض البجة بعد الفتح . العربي لمصر ، فإن علاقة البجة بولاية مصر الإسلامية كانت تنسم بالعداء . ذلك لأن

(١) المقرئ : القلط ، نشرقيت ، القسم الثاني ، الجزء الثالث ، ص ٢٧ .

— Mac Michael: Op. Cit., Vol., II, P. 105.

(٢)

يعتد ماكمايكل في إيراد ذلك على ما وجدته في كتاب النسبة الذي يمتلكه « الشيخ إسحق محمد شداد » وهو من أمثال كردغان ، نقلاً عن كتاب النسبة الذي كتبه « الشيخ عبيد شكل الكاويج » الذي عاش قرب دنقلة في القرن الحادي عشر الهجري ( ١٧ م ) ونقله عن كتاب السرقنتي . وهو يقول : « سمعت من الشيخ عبد الله بن الوزير الحفص أن الحداربة جاءوا من حضرموت وهاجروا وتركوا ديارهم أيام ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي ، وأنهم استقروا مع البجة حتى أصبحوا جزءاً منهم » .

(٣) تحدث القلقشندي عن الحداربة في كتاب ( صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، طبعة دار الكتب ١٩١٥ ، ج ١ ، ص ٢٧٣ ) . وذكر أنهم عرب كانوا يملكون ميناء سواكن ، وكان رئيسهم مكانة من الأيواف السلطانية بالبحار المصرية .

كذلك أورده المقرئ في كتاب خطته ( نشرقيت ، الجزء الثالث - القسم الثاني ، ص ٢٧٢ ) أنهم شركة القوم في أرض المدن ووجوبهم ، وأنهم يرأسون من لم يسلم من البجة .

(٤) يقول الشيخ أحمد بن القفي معروف في كتاب النسبة الذي كتبه سنة ١٢٧٧ هـ : « لقد أخبرني سيدي عبد الله برعيز الحفص ، أن الحدارب جاءوا من حضرموت وهاجروا إلى السودان أيام ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي وأنهم استقروا عند ميناء سواكن ، وذكر أنهم كانوا يسمون الحصارم ولكنهم قبلوا الفصاد دالا واليه بما فاصحوا يسمون الحدارب » .

(Mac Michael: Op. Cit., Vol. II, P. 349).

(٥) السمووي : التنبيه والإشراف ، نشرقيت ، ص ٣٠ ، ليدن ١٨٩٧ .

— Bloss, J. F. E., The Story of Suakin, S.N.R., XIX, II, 1936, P. 279.

بذكر بلوس في مقاله أنه مَثَر في ميناء باضع على مقابر للأمويين أثناء تيماء بحفريات هناك .

البجة بطبيعتها الصحراوية الجافة كانت عنصراً من عناصر التمرد ضد مصر . فكثير ما كانت تنير على جنوب البلاد وتقوم بالنهب والإفساد ، الأمر الذى أدى إلى أن يجرّد لإبهم ولاية مصر الحملات لردعهم<sup>(١)</sup> .

هذا وقد اشترك بنو ربيعة في إحدى هذه الحملات بأعداد كبيرة ، وكان اشتركهم فيها فرصة لهم استغلوها في الوصول إلى بلاد البجة والاستقرار فيها .

وقاد هذه الحملة « عبد الله بن الجهم » سنة ٢١٦ هـ ، بأمر الخليفة المأمون لتأديب البجة بسبب هجومهم على أسوان . وبعد أن نجحت هذه الحملة في مهمتها عقد ابن الجهم مع « كنون بن عبد العزيز » رئيس البجة معاهدة تعهد فيها بوقف غاراتهم على جنوب البلاد . وتعهد أيضاً بالسماح للعرب بالعمل في المناجم على أن يقاسم البجة من يعملون في المعادن ١٠ يحصلون عليه ، بشرط أن يؤدوا إلى عامل مصر عن معادنتهم في كل عام أربع مائة مثقال تبر<sup>(٢)</sup> .

وآثر بنو ربيعة الذين اشتركوا في الحملة البقاء في العلاق والعمل في مناجم الذهب الذى يهرم بريقه . وفي سنة ٢٣٨ هـ لحقت بهم أعداد كبيرة من إخوانهم من سكان اليمامة ، ومعهم جماعات من عرب جهينة<sup>(٣)</sup> .

وفي نفس هذا العام رفض البجة دفع الجزية المقررة عليهم ، وهاجموا الصعيد عند مدينتي إسا وإدفو ونهبوهما وطردوا أهلها منهما . فكتب بذلك « عنبسة بن إسحق الضبي » وإلى مصر آنذاك<sup>(٤)</sup> ، إلى الخليفة المتوكل على الله العباسي — ولما تفاقم

(١) في عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥ هـ) أغارت البجة على جنوب البلاد ، فأرسل هشام خريجه «عبد الله الحبش» الذى انتصر عليهم وقصد هفنة معهم (عن هذه الحملة وشروط الهدنة — انظر : ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٨٩) .

— وفي سنة ٢٠٤ هـ عايذت البجة المهجوم على أسوان وقطعت خبرت لإبهم حملة بقيادة « الحكم الثاني » انتصرت عليهم (عن هذه الحملة — انظر : ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥١ ، ٥٢) .

(٢) بجرس النواذر : زينة الفكرة في تاريخ الهجرة ، ( مخطوطة ) مصورة بمكتبة جلسة القاهرة رقم ٢٤٠٧ ، ٤ ج ، ورقة ١٨١ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٣ .

(٤) ولما عنبسة بن إسحق مصر سنة ٢٣٨ هـ حتى سنة ٢٤٢ هـ ، وكان آخر لولاية لعرب على مصر . ( سيرة كاشف : مصر في غير الإسلام ، ص ٣٨٤ ) .

أمرهم وزاد ضررهم على أهل الصعيد أرسل الخليفة إليهم حملة كبيرة بقيادة « عبد الله القمي » ، وإلى أسوان وقفت وإستا في ذلك الوقت . وكان عدد قوات القمي عشرين ألف رجل ، وانضم إليها ثلاثة آلاف رجل أخرى من العرب العاملين في المعادن من ربيعة ومضر واليمن ، من كل بطن ألف رجل<sup>(١)</sup> . وكان عدد قوات البجة مائتي ألف رجل ، وكان معها ثمانون ألف نجيب<sup>(٢)</sup> .

واستطاع القمي ، باستخدامه الحيلة ، أن يوقع الخزيمة بقوات البجة وأن يقتل أعداداً كبيرة منها<sup>(٣)</sup> ، وقتل في المعركة كبيرهم « علي بابا » ، فبعث ابن أخته ، الذي حل محله ، يطلب الهدنة والصلح على أن يدفع الخراج عن المدة التي فاتته وأن يتنظم في دفع الإتاوة واليقط مستقبلاً<sup>(٤)</sup> . فصالحهم القمي بعد أن أدى كبيرهم خراج أربع سنين ، وبعد أن قبل شرطه بأن يسطر أمير المؤمنين ، وصار إلى بغداد وقدم على الخليفة المتوكل على الله بسامرا سنة ٢٤١ هـ ، فصولح على أداء الإتاوة واليقط ، واشترط على البجة ألا يمنحوا المسلمين من العمل في المدن<sup>(٥)</sup> .

وول الخليفة المتوكل سعد الخادم الإيتاني على بلاد البجة ، وقد استتاب سعد بدوره القمي عليها . وقام القمي بمصادرة « أشهب » رئيس ربيعة ، وجرده من ساطته بالمعلاق ، وجبهه بعد ذلك وقتاً طويلاً ثم أطلق سراحه<sup>(٦)</sup> . فأحفظ هذا العمل قلب أشهب ضلعه ، وأوعز رجال ربيعة إليه بقتل القمي . فقتله سنة ٢٤٥ هـ ، مستنداً في ذلك إلى قوة قبيلته وعلى ازدياد نفوذها في المنطقة<sup>(٧)</sup> .

(١) ابن حوقل : نفس المصدر والصفحة .

(٢) ابن خلّون : الجريد يوان المنيخا والتبر ، طبعه بولاق ١٢٨٤ هـ ، ج ٣ ، ص ٢٧٧ .

(٣) وضع القمي الأجراس التي كانت في أعناق إبل السكركي وقاب التيل وحمل على البجة فلما سمعت الإبل أسوات الأجراس فرمت وعزلت في الأودية والجبال فركب المسلمون لتفتيحهم وقتلوا منهم مائة عطفة ( البلاذري : فتوح البلدان ) طبعه القاهرة ١٩٠١ هـ ، ص ٢٤٧ .

(٤) منطوح المراد من كلمة اليقط في الجلب التل .

(٥) يجرس النوادر : زينة الفكرة ، مطبوعة ، ج ٤ ، ورقة ١٨٢ .

(٦) هو أشهب بن ربيعة بن حنيفة بن زليم بن صعب ، ظل رئيساً لربيعة حتى قتله عبد الرحمن المبري سنة ٢٥٥ هـ تقريباً .

(٧) المقريزي : التاريخ المغني ، تحقيق خليل صاكر ومصلح مسند ، القاهرة ١٩٦٤ هـ ، ص ١٦ ، ١٩ .

(٨) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٤ .

أما عن البجة فإن الصليح الذي عقده معهم القسى كفل وقف غاراتهم على الصعيد فترة من الوقت استطاع العرب خلالها مواصلة العمل في مناجم الذهب ومعادن الزمرد دون خوف من تعرض البجة لهم . واجتذب هذا السلام جماعات عربية أخرى جاءت تبحث عن الثروة ، الأمر الذي انتهى بمخالطتهم البجة وإسلام عدد كبير من رجال البجة ، والتزواج منهم <sup>(١)</sup> .

هذا ومن جهة أخرى فقد ساعدت الأحوال الداخلية في مصر على نزوح القبائل العربية المقيمة بها على الهجرة إلى المناطق النائية بالبلاد ، ومن هذه المناطق النائية التي هاجروا إليها بلاد البجة . فترسخت أعداد كبيرة من القبائل العربية إلى الصعيد وإلى بلاد البجة ، بسبب الإتاوات والضرائب التي فرضها ابن المدبر ، وإلى الخراج في مصر في عهد الخليفة العباسي المعتصم بالله ( ٢١٨ - ٢٢٧ هـ ) <sup>(٢)</sup> .

غير أن أكبر الهجرات العربية إلى بلاد البجة كانت تلك التي حدثت عقب تأسيس الدولة الفولانية في مصر على يد أحمد بن طولون سنة ٢٥٤ هـ . وكانت هذه الهجرة بقيادة أبي عبد الرحمن عبد الله بن عبد الحميد العمري <sup>(٣)</sup> . وقد اتخذت هذه الهجرة مظهراً عسكرياً ، في بادئ أمرها ، لأن ابن طولون أعلن عن عزمه على إرسال حملة عسكرية إلى بلاد النوبة والبجة ليكون جنودها من أعداد القبائل العربية التي تريد الهجرة إلى تلك البلاد . وكان يهدف من وراء إعداد هذه الحملة على هذا النحو تحقيق هدفين :

= (عثرت بمكة المهدي القريش ، أثناء قيامها بإبهره . حفريات في جبانة أسوان سنة ١٩٠٢ ، على شاهد قبر ابنه القسى هذا وكانت تسمى عائشة ، وورد في هذا الشاهد أنها توفيت سنة ٢٤٧ هـ ، أي بعد وفاة والدها بعامين .

— Georges Salmon: Notes D'Epigraphie Arabe, II, Les Stèles funéraires D'Assouan, Le Caire (1902) PP. 5-6.

(١) المقرئ : الخط ( تشرقيت ) ، ج ٣ ، القسم الثاني ، ص ٢١٢ .

(٢) من هذه الضرائب التي ابتاعها ابن المدبر ، ضريبة المواشي وضريبة الصيد ( سيده كاثف : مصر في فجر الإسلام ، ص ٥٨ ) .

(٣) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الحميد بن عبد الله الناسك بن عبد العزيز بن الحر بن الخطاب رضي الله عنه . ولد بالمدينة ونشأ بها ، وقدم مصر وسبع الناس منه الحديث ثم مضى إلى إبراهيم بن الأخطب بالقاهرة ، وجاء في سنة ٢٤١ هـ إلى مصر ، وولاه غير المدن وإثارة الناس فخير ، فاشترى عبيد للعمل في المعادن وأغار إلى أسوان ( المقرئ : الخط ، ص ٤ ) .



أولها التخلص من عدد كبير من هذه القبائل وإبعادها إلى تلك البلاد النائية وثانيها ، تأديب النوبة والبجة وكف هجومهم على بلاد المسلمين . وكانت البجة قد أقبلت يوم عيد يقدم رجل أعور مارد زاكبين التجب وكبسوا الناس في مصلاهم عند بلدة إستا وقتلوا أعداداً منهم وبيروهم<sup>(١)</sup> .

وفي هذه الحملة اشتركت أعداد كبيرة من قبيلة ربيعة وجهينة ، وكانوا يرغبون في الهجرة إلى أرض المعادن أملاً في الاستقرار بها وفي الحصول على المزيد من ثروتها<sup>(٢)</sup> . وسار العمري بجيشه سنة ٢٥٥ هـ إلى بلاد النوبة أولاً حتى وصل إلى إقليم شنتير - ما بين أبي حمد وبربر - وتغلب هنالك على قوات «جوزج الأول» ملك النوبة ، وصي من النوبيين سيلاً كبيراً<sup>(٣)</sup> .

وبعد نجاح حملات العمري في بلاد النوبة سار إلى بلاد البجة وتغلب عليها ، وجعل نفسه نفوذاً عظيماً فيها ، حتى إنه بعد انتصاره على البجة كتب إلى أسوان يسأل التجار الخروج إليه بالهواز والمزونة فخرج إليه رجل يعرف بعثمان بن حنجلة التميمي في ألقي راحلة محملة بالزاد والطعام . هنا وقد ازداد العمران ببلاد البجة بعد مقدم العمري إليها حتى صارت الرواحل التي تحمل الميرة إليهم من أسوان ستين ألف راحلة غير الخلاب التي تحمل من القلزم إلى عيلاب<sup>(٤)</sup> .

وكان من أهم النتائج التي ترتبت على نجاح حملات العمري وسيطرته على البجة أن تمت اتفاقات بين عرب ربيعة وجهينة من جهة ، وروساء البجة من جهة أخرى ، أعطت الحق للقبائل العربية النازحة في الاستقرار الدائم بين البجة وصحت لهم بالزواج منهم .

(١) البلي : سيرة أسد بن طوحي ، نشره كزحل ، طبع دمشق ١٣٥٨ هـ ، ص ٦٤ .

(٢) يوسف فضل : المعالم الرئيسية في الهجرة العربية إلى السودان ، مقال في المجلد الثالث عشر من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ١١٦ .

(٣) من الأعداد الكبيرة التي سبها العمري من النوبيين في هذه الحملة ، انظر :

- البلي : المرجع السابق ، ص ٦٤ .

- المقرئ : للفق ، ص ٧ .

(٤) المقرئ : المخطوط ، نشر في : القسم الثاني - الجزء الثالث ، ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، نقل عن ابن

سليم الأسواني .

ومن أهم هذه الزيجات التي تمت نتيجة لهذه الإنفاقات تزوج رؤساء ربيعة من بنات رؤساء البجة<sup>(١)</sup>.

ويروى المسعودي ، وهو مؤرخ معاصر لهذه الأحداث قصة اندماج ربيعة بالبجة . فيذكر أنه لما سكن عرب ربيعة ديار البجة اشتدت شوكتهم وتزوجوا من بنات الحدادية . فقامت الحدادية بهم على سائر قبائل البجة الأخرى ، كما قامت ربيعة بالبجة على من نأواها وجاورها من عرب قحطان وغيرهم من مضر الذين سكنوا ديار البجة<sup>(٢)</sup>.

وكانت نتيجة هذه المصاهرة هامة بالنسبة لمصر ، فقد أدت إلى وقف الهجمات المستمرة من البجة على حدود مصر الجنوبية . وكانت نتيجةها هامة أيضاً بالنسبة لربيعة . فقد أدت إلى اتساع نفوذها وزيادة ثروتها . كما صارت لهم ببلاد البجة ملاق . واختلطوا لهم بها قرية تعرف « بالنامس » حضروا بها آباراً<sup>(٣)</sup>.

ولعل أهم نتائج هذه المصاهرة هو إقبال البجة على اعتناق الإسلام وعلى التزود بالثقافة العربية . بل ترتب على هذه النتيجة نتيجة أخرى سياسية أهم . ألا وهي سيطرة من أسلم من البجة ، وهم الحدارب ، على غيرهم ممن لم يسلم من سائر البجة . وهم الزناتج<sup>(٤)</sup> . فأصبح الحدارب شوكة القوم وجوهم ، وأصبح الزناتج تبعاً لهم وخفراءهم يحمونهم ويرعون لهم المواسي ، بعد أن كانوا أسياداً عليهم . وتملك كل رئيس من الحدارب قوماً من الزناتج ، وصاروا يتوارثونهم كالعبيد<sup>(٥)</sup>.

وعلى الرغم من هذه النتائج الطيبة التي حققها العمري على أثر نجاح حملاته في بلاد البجة ، فإن ابن طولون بدأت تساوره المخاوف والشكوك من جهة العمري بعد أن ذاع صيته في صعيد مصر. وبلاد البجة يخاف أن يدفع به طموحه إلى الاستئلال عن

(١) المقرئزي : نفس المصدر السابق ، ص ٢٧٧ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ومادن البحر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٨ ، ج ١ ، ص ٢٤٥ .

(٣) المقرئزي : البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، تحقيق عبد الحميد عابدين ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٤٤ .

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٧٣ .

(٥) المقرئزي : الملط ، نشر فيفت ، القسم الثالث - الجزء الثالث ، ص ٢٧٢ .

تاريخ دولة الكونز

الدولة ، خاصة وهو يملك أدوات التمرد وهي المال والرجال . فهو صاحب مناجم الذهب وقائد عناصر عربية ساخطة ، وعناصر مجاوية تهوى القتال .

وإزداد خوف ابن طولون حين بلغه أن قوات العمري تزيد عن مائة ألف رجل من رجال القبائل المختلفة ، من ربيعة وبني بكر وائل وجهينة<sup>(١)</sup> . لذلك صمم على القضاء عليه قبل أن يستفحل أمره . فأرسل لقتاله جيشاً بقيادة «صباح بن حركام البابكي» ، غير أن قوات العمري تمكنت من أن تلحق بهذا الجيش هزيمة قاسية<sup>(٢)</sup> . وتقدم العمري بقواته لمواصلة الانتصار ، فسار شمالاً حتى وصل إلى القرب من قوص ، ولكنه عاد إلى المعادن دون أن يستغل ثمرة نصره على ابن طولون .

ولو تساءلنا عن سبب إحجام العمري عن مواصلة الحرب ، نجد لذلك سببين هما : أولاً : خوف العمري من هزيمة قواته أمام قوات ابن طولون آخر الأمر ، خاصة وأنه كان يعلم أن ابن طولون لم يستخدم ضده كل قواته .

ثانياً : خوف العمري من غدر القبائل التي معه ، وخاصة ربيعة أقوى هذه القبائل وكان العمري يعلم طموح هذه القبائل ورغبتها الشديدة في تملك مناجم العلاقي .

وقد تحققت مخاوف العمري حين خرجت عن طاعته قبيلة ربيعة بمجرد عودته إلى العلاقي ، وأعلنت أنها فقدت الثقة في قيادته لعدم مواصلته الحرب ضد قوات ابن طولون . ومن ثم وقعت الحرب بينهما ، وفي هذه الحرب انضمت أعداد من قبائل مضر وتميم للعمري بينما انضمت البجة إلى ربيعة<sup>(٣)</sup> . وجرت بين الفرقة بين موقتان شهيرتان في موضعين

(١) كان يرأس قوات ربيعة ريعلان هما : أشهب بن ربيعة بن حنيفة بن بلعم بن صعب ولياس بن دوح . وكان على بني قيس بن ثعلبة بن بكر وائل وسلفاتهم : محمد بن صريع . وكان على الجهنين رجل يعرف بسمان ابن سمدان . وكان على الثلثين رجل من سدة المشيرة ، وروضاء دين هؤلاء ( المقرئ : الملق ، ص ١٦ ) .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٠٢ . - المقرئ : الملق ، ص ١٤ ( يذكر المقرئ أن اسمه شعبة بن حركام البابكي ) .

(٣) يذكر المقرئ ( ص ١٦ ، ١٧ ) سبب هذه الحرب وهو أن البجة قتلت أبا قسري من أمه يعرف بإبراهيم الخزوي عند عذاب ، فطلب العمري من ربيعة أن تسلمه قاتل أخيه من البجة ، فرفضت ربيعة ، فوقت لذلك الحرب بينهما .

يعرف أحدهما باسم « ميزح » ، والآخر باسم « بكيا » <sup>(١)</sup> . وقتل في المعركتين أولوف من القرنيين . وانتهت الحرب بهزيمة حلف ربيعة والبيجة .

كما وقع بعد المعركة خلاف بين أبناء ربيعة . واستغل العمري هذا الخلاف لصالحه ، فقام بقتل أشهب شيخ ربيعة . غير أن العمري أتى حلفه غيلة على يد محمد بن هارون ، رئيس مضر بعد وقت قليل من قتله لأشهب ، ومن ثم تفرق الجمع الذي كان مع العمري <sup>(٢)</sup> .

وبعد موت العمري دخلت ربيعة في حرب مع جبهة ومع غيرها من القبائل النازحة هناك . وفي هذه الحرب انتصرت ربيعة لاعتمادها على البيجة الذين تصاهروا معها . وكانت صلباً بالبيجة قد توثقت إلى حد كبير بحيث أصبحت هي والبيجة كالثني الواحد <sup>(٣)</sup> . وما إن تحققت لربيعة انتصارها على هذه القبائل القاطنة معها أرض البيجة حتى قامت بطردهم من وادي العلاقي . وبذلك تحققت لها السيادة عليها <sup>(٤)</sup> .

وبعد أن انفرد بنو ربيعة بالأمر في وادي العلاقي ، أقاموا لهم هناك إمارة عربية كانوا سادتها . وكانت رعيها قبائل البيجة الذين ارتضوا ذلك عن طيب خاطر <sup>(٥)</sup> .

(١) لم يستدل على موقع هذين المكانين بالنسبة بعد .

(٢) رسم ابن طولون لقتل العمري ، ذلك المفامر العربي الجريء الذي حاول أن يقيم أول إمارة عربية مستقلة في بلاد البيجة . ولكن الممر لم يمتد به لتحقيق ذلك . غير أن ابن طولون حزن لموته وعاقب من جاءوا برأسه ( ابن سعيد الأندلسي : المغرب في حلب المغرب ) تحقيق زكي حسن وسيدة كاشف ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ٩٤ .

(٣) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبيصار في مسالك الأمصار ، مخطوطة مرسومة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٥٩ معارف عامة ، القسم الثالث من الجزء الخامس عشر ، ورقة ٤١٩ .

(٤) لما قتل العمري استولت ربيعة على وادي العلاقي وساعدهم البيجة في ذلك ، وقامت بعد ذلك ربيعة بطرد من خالفها من القبائل ومن بينها بني يونس ، وكانوا أحد بطونهم بعيذاب طردتهم منها فساروا إلى الحجاز . ( انظر : - المقرئزي : المخطوط ، تشرقيت ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ص ٢٧٧ .

المقرئزي : البيان والأعراب ، ص ٤٤ ) .

— Mac Michael: Op. Cit., Vol. I, P. 149.

— Arkell: A History of the Sudan from the earliest time to 1821, London, 1961, P. 189.

(٥) يقول أركل أن الحفريات التي أجريت عند منطقة الريح Airi على البحر الأحمر كشفت عن أربع شواهد قديمة من الحجر لحكام ربيعة ، مكتوبة بالخط الكوفي ويرجع تاريخها إلى القرن الرابع الهجري ، وهذه الشواهد محفوظة الآن في متحف الخرطوم .

### إمارة ربيعة الأولى في وادي العلاقي

استفادت ربيعة من نظام الوراثة عند البجة ونجحت في السيطرة عليهم وعلى أرض المعادن . وقد تم لها ذلك حين تزوج أمراؤها من بنات حكام البجة فأنجبوا أبناء ورثوا الإمارة عن أحوالهم . ويذكر ابن حوقل ، أن في زمنه - أي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري كان يرأس الحدارب أجمع رئيسان هما : كوكب ، وعبدك . ويعرف كوكب بأنه خال أبي القاسم حسين بن علي بن بشر ، وأما عبدك فهو خال إسحق بن بشر ، صاحب العلاقي<sup>(١)</sup> . ثم آلت إلى إسحاق بن بشر رئاسة الإمارة التي جمعت بين ربيعة والحدارية . وذلك عن طريق وراثته لها من خاله عبدك . هذا وتتفق معظم المصادر على أن رئاسة الإمارات آلت إليه دون غيره . فيذكر كل من ابن حوقل ، والثوري . أن صاحب المعدن سنة ٣٣٢ هـ هو « أبو مروان إسحاق بن بشر » ، الذي استمر حاكماً لإمارة ربيعة في العلاقي مدة إلى أن قتل نتيجة لنزاع نشب بين رجالها<sup>(٢)</sup> .

أما المسعودي ، فإنه على الرغم من كونه معاصراً لهذه الشخصية ، وعلى الرغم من زيارته لمصر في ذلك الوقت - أيام حكم الأخشيدي<sup>(٣)</sup> ، فقد اختلط الأمر عليه وذكر أن « صاحب المعدن في وقتنا ، وهو ستة اثنين وثلاثين وثلاثمائة بشر بن مروان بن إسحاق ،

(١) صورة الأرض ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) انظر : - ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٥ .

- الثوري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، القاهرة ١٩٢٣ ، ج ١ من ص ٣٢٨ إلى ص ٣٣٢ .

- المقرئ : البيان والإعراب ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

- وانظر أيضاً الملحق رقم (١) .

(٣) ول محمد بن طنج الأخشيدي مصر لأول مرة من قبل الخليفة القاهر ( يوم الأحد ٧ من شهر رمضان سنة ٣٢١ هـ ) ، وكان في ذلك الوقت مقبلاً بمسقط ، ولم تستمر هذه الولاية سوى اثنين وثلاثين يوماً ، ثم وليها ثانية من قبل الخليفة الراعي بالله ( يوم الخميس ٢٤ رمضان سنة ٣٢٣ هـ ) وظل والياً عليها حتى وفاته بمسقط في ١٢ ذي الحجة سنة ٣٢٤ هـ ( سيرة كاشف : مصر في عصر الإخشيديين ، القاهرة ١٩٥٠ ، ص ٦٩ ، ٧٤ ) . - تولى المسعودي سنة ٣٤٦ هـ .

وهو من ربيعة يركب في ثلاثة آلاف حراب من البجة ، وهم كلهم من الحدارب وهم مسلمون<sup>(١)</sup> .

وظل إسحاق بن بشر رئيساً لربيعة مدة إلى أن خرج عليه بعض أهله ، ووقعت حروب بين بني بشر قتل فيها إسحاق . هذا ولم تحدثنا المصادر عن أسباب هذا الخلاف الذي وقع بين رجال ربيعة وأدى إلى مقتله . وبعد مقتل إسحاق اختارت القبيلة ابن عمه . الشيخ أبا عبد الله محمد بن علي بن يوسف . المعروف بابن يزيد بن إسحق الذي يرجع نسبه إلى مسروق بن معدى كرب بن ربيعة . وأبو يزيد بن إسحق هذا من فرع ربيعة الأول الذي كان قد نزل بالحواف الشرق عند بلبيس<sup>(٢)</sup> .

وبهذا الإجراء لم تعط قبيلة ربيعة فرصة للأحداث أن توسع الخلاف بين أبنائها مما يقضى على نفوذ القبيلة ويطمع فيها أعداءها . وهذا يثبت لنا مدى ترابط القبيلة برغم عوارض النزاع بينها ومدى حرصها على الاستمساك بحكم قبائل البجة .

وجاء أبو يزيد إسحاق من بلبيس إلى العلاق لرئاسة الإمارة . ويبدو من اختيار القبيلة له أنه كان يتمتع بشخصية قوية حازمة . وكانت القبيلة في ذلك الوقت في حاجة إلى تلك الشخصية القوية التي تحفظ للإمارة وحدتها وقوتها .

وقد آثر أبو يزيد أن ينقل مقر رئاسة ربيعة إلى مدينة أسوان ، وهناك عظم مركزها وزادت ثروتها . كما أصبح لإمارة بني ربيعة دور ممتاز في ميدان السياسة والاقتصاد . وفي ميدان العلاقات بين بلاد النوبة المسيحية وبين مصر الفاطمية<sup>(٣)</sup> .

(١) مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٢٤٥ .

(٢) المقرئى : البيان والإعراب ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٣) انظر فيها بعد .



## البَابُ الثَّانِي

### علاقة بني الكنز بمصر الفاطمية

- ١ - بلاد النوبة كما عرفها المؤرخون المسلمون - صلة النوبيين بالعرب .
  - ٢ - علاقة ربيعة بالنوبة - بنو ربيعة والفاطميون - ثورة أبي ركونه - لقب كنز النوبة .
  - ٣ - علاقة بني الكنز بالخلفاء الفاطميين بعد الخليفة الحاكم بأمر الله .
  - ٤ - موقف بني الكنز من ثورة مؤتمن الخلافة وثورة السودان ضد صلاح الدين .
-





## ١ - بلاد النوبة كما عرفها المؤرخون المسلمون

أطلق المؤرخون المسلمون اسم النوبة على أرض وادى النيل الممتدة على جانبي هذا النهر العظيم بين مدينتي أسوان والغردقة الحالية على وجه التقريب<sup>(١)</sup>. وغردقة بلادها من ناحية مصر باسم «القصر»، وهي تبعد عن أسوان خمسة أميال إلى الجنوب وميلاً واحداً من جزيرة بلاق (فيها)<sup>(٢)</sup>. هذا وينسب الطبرى تسمية النوبة إلى نوبة بن حام بن نوح عليه السلام<sup>(٣)</sup>، بينما يرجع الأستاذ بيكيت Beckett هذه التسمية إلى أصلها المصرى القديم الذى يعنى أرض الذهب، ذلك أن لفظة «نوب» فى اللغة المصرية القديمة تعنى الذهب<sup>(٤)</sup>.

وقبل الفتح العربى لمصر كانت تقوم فى بلاد النوبة مملكتان مسيحيتان، تعرف الشمالية منهما باسم مملكة «مقرة»، وتعرف الجنوبية باسم مملكة «عاوة».

وكانت مقرة تمتد من حدود مصر الجنوبية حتى بلدة الأبواب (كبوشية الحالية)؛ وأما عاصمتها فهي مدينة دنقلة أودمقلة<sup>(٥)</sup>. وكانت مقرة تنقسم بدورها إلى أقاليم يحكم كل إقليم منها وال من قبل ملك النوبة. وكان أرفع هؤلاء الولاة شأنًا صاحب الجبل<sup>(٦)</sup> الذى كان يحكم المنطقة المعروفة باسم «مريس»<sup>(٧)</sup>، وهي تشمل المنطقة الشمالية

- (١) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، طبعة بيروت، ١٩٦٠، ج ١، ص ١٩١.  
- المقرئى: الخطط، نشرقيت، ج ٣، القسم الثانى، ص ٢٥٨ (نقلا عن ابن سليم الأسوان).  
(٢) المقرئى: الخطط، نشرقيت، ج ٣، القسم الثانى، ص ٢٥٢، ٢٥٣.  
(٣) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، نشرى جزيه، الجزء الأول - القسم الأول، ص ٢١٦.  
(٤) M Beckett: Nubia and the Berberine, Cairo Scientific Journal, August 1911, P. 195.  
(٥) تقع دنقلة القديمة إلى الشمال من دنقلة الحالية بنحو مائة ميل تقريباً، كما تقع على الضفة الشرقية ليل بمسكن دنقلة الحالية، والتمييز بين دنقلة القديمة ودنقلة الحالية أطلق على الأول اسم دنقلة المجرى (نعم شقير: السودان القديم والحديث وجغرافيته، القاهرة ١٩٠٣، ج ٢، ص ٥٥).  
(٦) المسعودى: مروج الذهب، ج ١، ص ٢٤٥.  
(٧) المقرئى: الخطط، طبعة بولاق، ج ١، ص ١٨٩.  
- معنى مريس فى اللغة القبطية: الجنوب، وإلى مريس تنسب الرياح المريسية، وهي الرياح الجنوبية =

المتدة من القصر على بعد خمسة أميال جنوبي أسوان حتى المقص الأعلى (عكاشة) .  
وأما عاصمة منطقة المريس فهي مدينة « بجراش » أو « نجراش » ، كما تعتبر مدينة  
« أبريم » التي تقع جنوبي أسوان بنحو مائتي كيلومتر من أهم مدنها ، وكذلك مدينة  
« الدر » التي كانت توجد بها قلعة « الدو » والحصينة <sup>(١)</sup> .

أما مملكة علوة <sup>(٢)</sup> ، فقد اتفق المؤرخون العرب على أن حدها الشمالي يبدأ عند منطقة  
الأبواب ( كبوشيه الحالية ) <sup>(٣)</sup> . غير أنهم أغفلوا ذكر بقية حدودها <sup>(٤)</sup> ، وإن كان ابن  
سليم الأسواني قد افترد دونهم بقوله إن أول بلاد الحبشة هو حد علوة الشرق <sup>(٥)</sup> . ولعل  
الأممات الأثرية التي تمت في منطقة النيل الأوسط ، حيث قامت مملكة علوة المسيحية ،  
تعطينا صورة أدق لحدود هذه المملكة . ولرأى أنها كانت تمتد من الأبواب شمالاً إلى القطيفة  
على النيل الأبيض جنوباً ، وأنها شملت جهات العطيرة والنيل الأزرق حتى حدود الحبشة  
شرقاً وبعض جهات دارفور وكردفان غرباً . وأما عاصمة هذه المملكة فهي مدينة « سوبه »  
أو « سوبا » ، التي كانت تقع شرق مدينة الخرطوم الحالية بنحو خمسة عشر ميلاً <sup>(٦)</sup> .

— الباردة التي تب على مصر في فصل الشتاء . ( ابن الفقيه المندائي : البلدان ، طبعة لندن ١٨٩١ ، ص ٧٤ ، ٧٥ ) .  
( ١ ) ذكر ابن سليم الأسواني أن الحد الجنوبي لمريس يقع عند المقص الأعلى وآخر قرارة من ناحية مقر قرية  
تعرف باسم بيسو .

( المقيزي : الخطط ، نشر فيت ، ج ٣ ، القسم الثاني ، ص ٢٥٣ .

— تقع بيسو شمال دنقلة الأودية بحوالي ٢٧ ميلاً عند أبي فاطمة .

( ٢ ) يقول ميلهام إن كلمة علوة في اللغة القبطية القديمة تعني أنهار النيل السبعة .

— Mileham, S. Geoffrey: Churches in Lower Nubia, Philadelphia (1910, P. 3).

( ٣ ) اليمقوي : تاريخ اليمقوي : ج ١ ، ص ١٩١ .

— ياقوت : معجم البلدان ، طبعة بيروت ١٩٥٧ ، المجلد الخامس ص ٣٠٨ .

— المقيزي : نفس المصدر السابق ، ص ٢٥٨ .

( ٤ ) قدر اليمقوي طول مملكة علوة بثلاثة أشهر ، وتقدر ياقوت المسافة بين عاصمة مقررة إلى حدود علوة  
بثلاثة أشهر .

انظر - تاريخ اليمقوي : ج ١ ، ص ١٩١ .

— ياقوت : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ٣٠٨ .

( ٥ ) المقيزي : الخطط ، القسم الثاني ، ج ٣ ، ص ٢٨٦ - نقلاً عن ابن سليم .

( ٦ ) مصطفى محمد سميد : الإسلام والنوبة في المصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٧٩ .

وتنقسم علوة ، بدورها مثل مقرة ، إلى ولايات صغيرة ، تسمى كل منها مملكة وتحكمها نائب عن الملك . وأهم هذه الولايات : مملكة « الأيواب » ، وكان لصاحبيها من المكاةة في ولايته ما كان لصاحب الجبل في مملكة مقرة ؛ وذلك بسبب متاخمة ولايته لحدود مملكة مقرة المعادية <sup>(١)</sup> . وكانت مملكة علوة أعظم خطراً من مقرة ، لأنها كانت أكثر اتساعاً وأكثر ثروة ، وبالتالي أعظم قوة <sup>(٢)</sup> .

#### صلة النوبيين بالعرب :

صلة النوبيين بالعرب قديمة يرجع تاريخها إلى أقدم العصور . وكانت التجارة أهم عوامل هذه الصلة ، ذلك أن السفن كانت تتردد بصورة منتظمة بين شواطئ شبه الجزيرة العربية ووافئ مصر والسودان والحيشة وهي تنقل العاج والصبغ واللبان والذهب والزيق . ومن هذه المراتب التجارية الواقعة على الساحل الأفريقي للبحر الأحمر توغل العرب في وادي النيل وفي قلب أفريقية حاملين سلعهم وبضائعهم <sup>(٣)</sup> .

كما أخذت الجماعات العربية تهاجر إلى وادي النيل بسبب ازدياد نشاط التجار العرب زمن البطالمة والرومان . واستقرت هذه الجماعات في أجزاء مختلفة من حوض النيل ، ثم لحقت بها أعداد من أهاليهم وأقاربهم . وفي القرنين السابقين للميلاد عبر عدد كبير من أهالي اليمن مضيق باب المندب ، واستقر بعضهم في الحيشة ، وسار البعض الآخر مع النيل حتى وصلوا بلاد النوبة <sup>(٤)</sup> . كما يشير ابن خلدون إلى استقرار أعداد كبيرة من عرب اليمن في بلاد النوبة والسودان حوالي أوائل القرن الأول قبل الميلاد . وهذه الأعداد الكبيرة كانت قد اشتركت في الحملة التي قادها « أبرهة ذي المنار بن ذي القرنين الحميري » على السودان وبلاد النوبة ، وقد آثرت البقاء في بلاد النوبة بعد انتهاء أمر الحملة <sup>(٥)</sup> .

غير أن التدفق الكبير للهجرات العربية إلى بلاد النوبة إنما حدث بعد الإسلام ؛ وذلك بعد محاولة العرب الثانية لغزوها بعد فتحهم مصر واستقرارهم بها <sup>(٦)</sup> . وهذه المحاولة هي التي

(١) يظهر هذا العداء في عدم تقدم مملكة علوة بأية مساعدة لمملكة مقرة حين تعرضت لخطر الغزو المكري من جانب مصر كما سترى فيما بعد .

(٢) تاريخ اليعقوبي ، ج ١ ، ص ١٩١ .

— Quatremère: Mémoires Géographiques et Historiques Sur L'Egypte, Paris 1811, T. II, P. 7.

— Mac Michael: A History of the Arabs in the Sudan, Vol. I, PP. 3-4.

— Hamilton, The Anglo, Egyptian Sudan from Withen, London 1935, P. 42.

(٤) ابن خلدون : المعبر ، ج ١ ، ص ١٧٦ .

(٥) سبق هذه المحاولة محاولة أهل قام بها عقبة بن نافع في عهد ولاية عمرو بن العاص ( ٢١-٥٢ ) ، =

قادها وإلى مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة ٣١ هـ / ٦٥١ م وهزم فيها « قليدروث » ملك النوبة<sup>(١)</sup> ، وقد سمى هذا التدفق عبر السنين خلال العلاقات المستمرة بين مصر الإسلامية والنوبة المسيحية . هذا ويجدر بنا أن ننوه أن هذه العلاقات التي تقلبت بين الصفاء والعداء غير حقب التاريخ كانت تتحكم في تقريرها ثلاثة عوامل :

أولاً - اتفاق البقظ ونقض هذا الاتفاق من وقت لآخر<sup>(٢)</sup> :

ذلك أن ملوك النوبة التزموا بعد حملة أبى سرح بدفع البقظ لمصر ، واحترام عهد الأمان الذى عقده لهم . غير أن الأمر لم يسلم ، من وقت لآخر ، من نقض بعض ملوكهم لهذا العهد وامتناعهم عن تقديم البقظ . فالبقظ فضلاً عن أنه عبء ثقل على عليم فإنه كان يحرمهم من أفضل عناصرهم العاملة فى الجيش والأرض ، والتي كانت تذهب للخدمة فى بلاط الخليفة أو الولاى فى مصر<sup>(٣)</sup> . وكان توقف ملوك النوبة عن دفع البقظ يستدعى قيام ولاة مصر بإرسال وفود من قبلهم لتأخذ تعهداً عليهم بدفعه واستمرار تقديمه<sup>(٤)</sup> . وفى أحيان أخرى - وعلى وجه التخصيص أيام حكم المماليك - كان الأمر يقتضى إرسال تجريدة عسكرية لإرغامهم على دفعه . وما تجدر الإشارة إليه أن بعض المشتركين فى هذه التجريدات العسكرية كان يؤثر البقاء فى بلاد النوبة والإقامة فيها .

= وكان عدد المسلمين فيها قليلاً وكانت خسائرهم كبيرة لشدة المقاومة التى أبدتها النوبيون (ابن عبد الحكم : فتح مصر ، ص ١٦٩ الكتنى : ولاة مصر ، ص ٣٦) .  
- Budge, E.A.W.: The Egyptian Sudan, Its History and Monuments, London 1907, (١) vol. I, p. 185.

(٢) لفظ البقظ يعنى - حسب اشتداد الباحثين - إما الاتفاق والمؤامدة أو الضريبة التى تدفع حيناً ، وأصل التفسير الأول من كلمة Pactum اللاتينية ، وأما التفسير الثانى فيرجع إلى أصله المصرى القديم (Budge: Op. Cit. II, p. 185) . هذا وقد فسّر المفريزى البقظ فى خطه (طبعة بولاق، ج ١، ص ١١٩) بأنه ما يقبض من - أى النوبة فى كل عام ويحمل إلى مصر ضريبة عليهم ، ويقول إن معنى هذه الكلمة إن كانت عربية يكون : ثبلة من المال وذلك بقرط فى الأرض بقظ من بقل وشب أى ثبلة من مرمى ، وكذلك قولهم فى بنى تميم بقطاً من ديمة أى فرقة أو قطعة فيكون متاء على هذا فرقة من المال أو قطعة منه .

(٣) مصطلح مسند : الإسلام والنوبة ، ص ١٢٠ .

(٤) مثال ذلك ما حدث سنة ٣٧٠ هـ حين أرسل قائد الفاطميين، جوير الصقل، بعثة إلى ملك النوبة جورج الثالث، وكانت هذه البعثة برئاسة ابن سليم الأسوانى لتطلب منه التعهد باستمرار دفع البقظ . وقد نجحت هذه البعثة فى مهمتها وأعلنت تعهداً بذلك من ملك النوبة (المفريزى : الخلفاء ، ص ٧) .

### ثانياً - الأحوال الداخلية في كل من الدولتين قوة وضعفاً :

فقد كان ملوك النوبة يقومون بتقصي الأخبار عن حالة مصر قوة وضعفاً باستمرار قبل القيام بأي هجوم على أراضيها<sup>(١)</sup> ، فإذا ما وجدوا الظروف في صالحهم امتنعوا عن دفع البقظ وهاجموا البلاد منتهزين فرصة ضعفها . وكان ذلك غالباً ما يحدث في أوقات الاضطرابات وفي فترات الضعف التي كانت تتعرض لها مصر من وقت لآخر<sup>(٢)</sup> . غير أن حكماء مصر سرعان ما كانوا يردون على هذه الغارات بغارات مماثلة على بلاد النوبة عندما كانت تنهياً فم ظروف الاستقرار الداخلي في البلاد<sup>(٣)</sup> .

### ثالثاً - معاملة المسيحيين في مصر :

وكان ملوك النوبة يتأثرون لمعاملة بعض حكام مصر السيئة للمسيحيين في مصر . فكانت تدفعهم عاطفة الأخوة الدينية إلى مساعدة المسيحيين في مصر في رفع ما كانوا يتعرضون له من مظالم ؛ وذلك إما عن طريق الوساطة الدبلوماسية لدى حكام مصر أو عن طريق الإغارة على حدود مصر الجنوبية إذا ما لزم الأمر<sup>(٤)</sup> .

(١) مثال ذلك ما حدث سنة ٣١٨ هـ حين أرسل ملك النوبة زكريا ابنه جورج ( قيرق ) إلى بلاد المسلمين لتجسس على أحوالهم والوقوف على مدى قوتها واستعدادها . وقد عاد جورج مقتنماً بقوة المسلمين وصرف عن ذهنه فكرة الانتاع عن دفع البقظ والهجوم على مصر ( المقرري : الخطط ، طبعة بولاق ج ١ ، ص ٢٠١ ) .  
(٢) حدث ذلك سنة ٣٤٤ هـ في أيام الحكم الإغشيدي بمصر ، حين علم ملك النوبة باضطراب الأحوال في مصر ، فقامت قواته بهاجمة مدينة أسوان وقتلت جماعة من المسلمين ، فخرج إليهم سنة ٣٤٥ هـ محمد عبد الله الخازن على عسكر مصر من قبل أنجيور الإغشيدي وهزمهم وتمسك قواتهم حتى أبرم .  
- كذلك تجددت هجمات النوبة في عهد كالفور الإغشيدي ( ٣٥٥ - ٣٥٧ هـ ) على صعيد مصر منتهزين فرصة اضطراب أحوال البلاد بسبب تعرضها لخطر القرامطة ( سيده كاشف : مصر في عهد الإغشديين ، القاهرة ١٩٥٠ ، ص ٣٥٨ ) .  
(٣) انظر فيما بعد .

(٤) مثال ذلك ما قام به كريباكيس ملك النوبة سنة ١٢١ هـ من وساطة لدى الخليفة هشام بن عبد الملك لرفع ما قام به في مصر الوالي حبيب الله بن الخياط من اضطهاد للمسيحيين وطلبه الإفراج عن بطريركهم ، وإعداده في نفس الوقت جيشاً قوامه ١٠٠ ألف رجل لغزو مصر إذا لم تنفع الوساطة . لكن هذا الغزو لم يتم بسبب استجابة الخليفة لمطالب ملك النوبة .  
- ومثال ذلك أيضاً ما قام به سنة ٦٧١ هـ داود ، ملك النوبة من هجوم على عيذاب وأسوان بسبب تعرض الأقباط في مصر لحوادث الاضطهاد على عهد السلطان الظاهر بيبرس ، لاتهمهم بحرق بعض أحياء القاهرة . ( المقرري : الخطط ، نشر فيث ، ج ٣ ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٧ ) .

ومن خلال هذه العلاقات المتقلبة بين مصر الإسلامية والنوبة المسيحية ، هاجرت أعداد كبيرة من القبائل العربية إلى بلاد النوبة ، زمن الأمويين والعباسيين الأوائل . واستقرت في هذه البلاد ، وهناك اشتغلت بالزراعة وأدى ذلك إلى تملكها للأراضي الزراعية وتوريثها لأبنائهم من بعدهم<sup>(١)</sup> . وترتب على ذلك أن خالط العرب المهاجرون أهالي النوبة وتزوجوا منهم واستفادوا من نظام الوراثة عندهم ، وهو نفس نظام الوراثة عند البجة الذي يعطى حق الإرث لابن البنت أو ابن الأخت دون ولد الصلب<sup>(٢)</sup> .

ومع مطلع القرن الثالث الهجري أصبح العرب في بلاد المريس يثاؤون الطبقة الحاكمة ، فالحفريات الأثرية التي تمت في منطقة مريس دلت على وجود جاليات عربية إسلامية مستقرة في هذه المنطقة في هذه الفترة . فقد عثر في غير قليل من الأماكن بأرض مريس على عدد من شواهد القبور المكتوبة بالخط العربي والتي تحمل أسماء لشخصيات عربية لما مكانة مرموقة في المجتمع المريسي في ذلك الوقت ، ومن هذه الشواهد ما يرجع تاريخه إلى مطلع ذلك القرن ، كتلك التي عثر عليها في ثافه<sup>(٣)</sup> ( مؤرخة سنة ٢١٧ هـ )<sup>(٤)</sup> .

(١) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٢٢ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، القسم الأول ، ص ٥٧ .

(٣) مصطفى حسد : الإسلام والنوبة ، ص ١٣٠ .

(٤) ومن هذه الشواهد ما عثر عليه في كلابشة والتي يرجع تاريخها إلى سنة ٣١٧ هـ .

### علاقة ربيعة بالنوبة

تركزت ربيعة في منطقة أسوان وما حولها . وبعد أن ازدادت أعدادها ابنت لها مدينة خاصة بظاهر أسوان ، عند حدها الجنوبي ، وهذه المدينة هي « المحدثه »<sup>(١)</sup> . ولما لم تنسج المحدثه للأعداد الكبيرة التي كانت تفد تبعاً من ربيعة استقرت بعض هذه الأعداد في مدينة أسوان نفسها حتى نخرتها ، ثم جاوزتها إلى منطقة مريس ببلاد النوبة . وما أن حل منتصف القرن الرابع الهجري حتى كانت قبيلة ربيعة قد فرضت نفوذها على هذه المنطقة واختلطت مع أهلها النوبيين . وبمضي الزمن اندمجوا معهم اندماجاً تاماً وأصبحوا يتكلمون مثلهم بلهجتهم النوبية<sup>(٢)</sup> .

وقد تمت هذه السيطرة لربيعة على أهالي النوبة في منطقة مريس في نفس الوقت الذي تمت فيه سيطرة فرعهم الآخر على البجة في وادي العلاقي والصحراء الشرقية . واستفاد بنو ربيعة في كل من المنطقتين من نظام الوراثة المتشابه عند أهالي تلك البلاد ، وأصبح لهم بيت حاكم في منطقة مريس وبيت حاكم آخر في بلاد البجة .

ثم أدت تطورات الأحداث إلى اتحاد هاتين الإمارتين في إمارة واحدة ، واختيار مدينة أسوان لتكون مركزاً لرئاسة هذه الإمارة المتحدة . وقد تم ذلك على يد « أبي يزيد بن إسحاق » أمير ربيعة المنتخب ، وهو الذي نقل مقر رئاسة الإمارة من العلاقي إلى أسوان<sup>(٣)</sup> . ونحن لا ندرى سبب إقدام أبي يزيد على هذا الأمر وتفضيئه أسوان على قلب منطقة المعادن . لعل الدافع إلى ذلك أنه أدرك ببعد نظره أهمية موقع أسوان في الإشراف على الإمارة المتحدة ؛ فضلاً عن أهمية

(١) يقول ابن حوقل ( صورة الأرض ، ص ٣٩ ) : « كانت البجعة قراراً لربيعة ومصر ، فلما نزل عليها بنو الأخيضر حلت العرب منها إلى جزيرة مصر فسكنوا بين النيل وبحر القلزم وقرت ربيعة ومصر هناك وصارت لهم ولتسم كالمدار التي لم يزلوا بها وأبقنوا بها غير منبر كالمحدثه التي بظاهر أسوان » .  
- ويضيف ابن حوقل في مكان آخر ( صورة الأرض ، ص ٥٠ ) : « قالوا : « أفي القس العلاقي وكان قد خلف عليها أشهب بن ربيعة وهو جد أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي يزيد بن بشر صاحب المحدثه » . وهي المدينة التي لربيعة محادة لأسوان » .

(٢) يقول في ذلك المقرئ - نقلنا عن ابن سليم الأسواني ( المخطط ، طبعة بولاق ، ج ١ ، ص ١٩٠ ) :  
« وفي مريس جماعة من المسلمين قاطنون لا يفصح أحدهم بالعربية » .

(٣) انظر الباب الأول ، ص ٣٦ .



أسوان التجارية في ذلك الوقت لتحكمها في طرق التجارة بين مصر والسودان . كما أن أبا يزيد لابد وأن يكون قد أدرك أن الإمارة في إمكانها أن توسع رقعتها على حساب بلاد النوبة الشمالية وذلك خبرها من التوسع في داخل الصحراء .

ومهما كانت الأسباب التي دفعت إلى ذلك فقد تم نقل مركز رئاسة الإمارة من العلاق إلى أسوان . ولم يكن ذلك يعني أن بنى ربيعة تخلوا عن منطقة العلاق وتركوها نهائياً ، فإن أعداداً كبيرة منهم ظلت تقيم في الصحراء الشرقية تشرف على المناجم وتنبئ عنهم في حكم البجة وتحمي تجارة ثغر عيذاب .

ومن أسوان ظل أبو يزيد يحكم الإمارة إلى أن وافته المنية <sup>(١)</sup> ، فقام بالتراسة بعده ابنه أبوالمكارم هبة الله ، الذي كان يعرف بالأهوج المطاع . ويعتبر أبوالمكارم المؤسس الحقيقي لإمارة ربيعة الكبرى في مصر <sup>(٢)</sup> ، تلك الإمارة التي اتسعت أطرافها أيام رئاسته وأصبحت تضم صعيد مصر الجنوبي من قوص إلى أسوان ، مضافاً إليه منطقة مريس من بلاد النوبة الشمالية وادى العلاق بالصحراء الشرقية ، وليس ثمة شك أن هذا الاتساع أمدّها بأسباب الثروة والقوة . ولما تأكد للخلفاء الفاطميين ولاء أمراء هذه الإمارة وإخلاصهم لهم اعترفوا بإمارتهم ومنحهم استقلالاً شبه تام في إدارة شئونهم . كما أنعموا بـ"لقب" كثر الدولة " على كل أمير من أمرائهم تقديراً لمكانتهم ورفعة لشأنهم بين رجال دولتهم <sup>(٣)</sup> .

ورأى الخلفاء الفاطميون في تقوية هذه الإمارة تأميناً لحدود البلاد الجنوبية من غارات النوبة المتكررة عليها ، وذلك على الرغم من أن العلاقات بينهم وبين ملوك النوبة كانت تنسم بحسن الجوار والمسالمة في الفترة التي تلت بعثة ابن سليم الأسواني إلى جورج الثاني ملك النوبة سنة ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م . فعلى الرغم من ذلك كان الفاطميون يشكون في إخلاص ملوك النوبة وفي احترامهم لعهودهم ، كما كانوا يعرفون أن تاريخ النوبيين مع مصر مليء بالسوابق الكبيرة

(١) لم تشر المصادر إلى تاريخ وفاة أبي يزيد .

(٢) هو أبوالمكارم هبة الله بن الشيخ أبي يزيد عبد الله محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مسروق بن سعد كرب بن الحارث ، وينسب نسباً إلى ربيعة الفرس ، وكان يعرف بالأهوج المطاع .

(المقريزي : البيان والإعراب ، ص ٤٥ ، ٤٦ ) .

(٣) من لقب كثر الدولة - انظر فيها بند .

في نقض العهد وأنهم طاموا هاجموا حدود مصر الجنوبية حينما كانت تواتهم الفرصة المناسبة للثلاث .

ويرجع المؤرخون توثيق العلاقات بين إمارة بني ربيعة الناشئة والدولة الفاطمية إلى ذلك الدور الهام الذي قام به أبوالمكارم هبة الله أمير ربيعة ضد الثورة التي قادها رجل من بني أمية يدعى « أبو ركوه » ضد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٧ هـ<sup>(١)</sup>.

ولكى نتعرف على هذا الدور الذي قام به شيخ ربيعة حيال هذه الثورة ، وعلى نتائجها بالنسبة لإمارة بني ربيعة وعلاقتها بالدولة الفاطمية ، يتعين علينا أن نستعرض أحداث هذه الثورة التي كانت من أكبر الأخطار التي هددت كيان الخلافة الفاطمية في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله<sup>(٢)</sup>.

فإنه الثورة قام بها أحد أمراء الأمويين يدعى « الوليد » ، وهو من ولد هشام بن عبد الملك ابن عبد الرحمن الداخل<sup>(٣)</sup> . وقد سعى أبو ركوه لأنه كان يحمل في أسفاره ركوه ( أبريق ماء من جلد ) على عادة الصوفييين<sup>(٤)</sup> . وهو أحد أبناء عمومة « المؤيد هشام بن الحكم » الذي حكم الأندلس خلال المدة الممتدة من شهر صفر سنة ٣٦٦ هـ حتى شهر جمادى الآخرة سنة ٣٩٩ هـ . وكان المؤيد هشام ملكاً ضعيفاً تحكم فيه وزيره المنصور بن أبي عامر وأخفاه عن الناس ، وتبع أهله ومن يصلح منهم للملك ، وقتل البعض منهم . وأما من استطاع منهم النجاة من قبضة يده فقد فر من الأندلس<sup>(٥)</sup> .

وكان أبو ركوه أحد هؤلاء الأمراء الهاريين ، وكان عمره حينئذ يزيد على العشرين سنة واحدة . فقتصد مصر ، ومنها رحل إلى الحجاز واليمن ، ثم إلى الشام ، ومنها عاد ثانية إلى مصر .

- (١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، طبعة مصر ١٣٠١ هـ ، ج ٩ ، ص ٨٣ ، ٨٤ .  
 - ابن خلدون : المعبر ، ج ٤ ، ص ٥٨ ، ٥٩ .  
 (٢) محمد عبد الله حنان : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ١٨٦ .  
 (٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٨٢ .  
 - ابن خلدون : المعبر ، ج ٤ ، ص ٥٨ .  
 (٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، مخطوطة بدار الكتب المصرية ، رقم ٩٢٧٦ ج ، ج ٨ ، ص ١٤ .  
 (٥) يبريس النواذر : زينة الفكرة في تاريخ الهجرة ، مخطوطة مصورة بمكتب جامعة القاهرة ، رقم ٢٤٠٢٦ ، ج ٦ ، ورقة ٢٣٥ ب .

ومن مصر نرحل إلى بركة واستقر هناك بين بطون بني قرة، أقوى قبائلها آنذاك<sup>(١)</sup>. ولما دعاهم للثورة ضد الخليفة الحاكم بأمر الله استجابوا له، كما استجاب له قبيلة «زناته»<sup>(٢)</sup>. وكان سبب استجابتهم له هو موقف الخليفة الحاكم بأمر الله المشدد مع أهل السنة واضطهادهم، وإسرافه في قتل القواد ورؤساء القبائل وحبسهم بعد أخذ أموالهم دون وجه حق. كما كانت سائر القبائل معه - على قول أحد المؤرخين - في ضنك وضيق، ولذلك كانوا يودون خروج الملك من يده<sup>(٣)</sup>.

وكانت بنو قرة إحدى القبائل التي جرد ضدها الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٥ هـ حملة عسكرية لتمردها عليه. وقد عامل قائد هذه الحملة «أبو الفتيان التركي» من وقع في قبضة يده من بني قرة بغلظة بالغة. فضلا عن حبه لجماعة من أعيانها، فقد قتل بعض رجالها ثم أحرقهم بالنار<sup>(٤)</sup>. ولكي يتمكن بنو قرة من الانتقام من الحاكم بأمر الله، فقد تصالحوا مع قبيلة زناته، وكان بينهم وبينها حروب، ليكونوا يداً واحدة ضدّه<sup>(٥)</sup>. كما انضم إليهم من قبيلة «مزنه» جمع كبير، وبايعوا أبا ركة بعد أن ذكرهم أن عنده في الكتب أنه يملك مصر وغيرها. وبعد أن وعدهم ومناهم بالثورة والسلطان التفوا حوله وخاطبوه بالإمام أمير المؤمنين ولقب أبو ركة نفسه أيضاً «بالتائر بأمر الله»، و«المنتصر من أعداء الله»<sup>(٦)</sup>.

فلما سمع الولي بركة خبرهم كتب إلى الحاكم بأمر الله يستأذنه في قصفهم، ولما أذن

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٨٢.

- المقرئ: البيان والإعراب، ص ١٣ (بنو قرة فخذ من بطام كانوا بالبحيرة).

(٢) زناته من قبائل البربر، وقبائل البربري: خريصة، وسنجاه، وهواره، وكشام، ولوانه، ومزنه وزناته (الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، طبعة لندن ١٨٦٦، ص ٥٧).

(٣) بيريوس اللوادار: زبدة الفكرة، مخطوطة، ج ٦، ورقة ٢٩٣.

(٤) - سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ص ١٥.

- ابن خلدون: المعبر، ج ٤، ص ٥٨.

- النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، مخطوطة بدار الكتب المصرية، رقم ٥٤٩، ماري عامة، ج ٢٦، ورقة ٥٤.

(٥) بيريوس اللوادار: زبدة الفكرة، ج ٦، ورقة ٢٩٣.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٨٢.

- سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ص ١٦.

- النويري: نهاية الأرب، ج ٢٦، ورقة ٥٤.

له بذلك وخرج لقتالهم هزمت قوات أبوركة . وقد قوى أمر أبي ركة بعد هذا الانتصار بما وقع في يده من أموال وسلاح وغيره ، فملك برقة وضرب السكة باسمه ولعن الحاكم وآباءه فوق المنابر<sup>(١)</sup>.

ولما وصل خبر الهزيمة إلى الحاكم بأمر الله عظم عليه الأمر ، وعزت عليه نفسه . وعاد الإحسان إلى الناس ، وكف عن أذاهم . أما أبوركة فقد جرد ضده جيشاً يقرب من خمسة آلاف فارس . معظمهم من رجال كتامة ، وولى قيادتهم لقائد تركي اسمه « ينال العاويل » غير أن قوات ينال هزمت هزيمة ساحقة عند منطقة « ذات الحسام » التي تبعد قليلاً عن برقة<sup>(٢)</sup> . وكان من أهم أسباب هزيمة ينال انصراف رجال كتامة عنه لكراهيتهم له ، لأنه كان قد قتل رؤساءهم بأمر من الحاكم بأمر الله<sup>(٣)</sup> .

وكان نتيجة هذه المعركة أثر كبير على كل من الحاكم بأمر الله وأبي ركة . فهذا النصر الثاني أسكر أبا ركة ودفعه إلى مواصلة مسيره إلى مصر ، وظن أن أمر انتراع الحكم من الحاكم بأمر الله أصبح أسراً يسيراً بعد أن هزمت قواته على يديه مرتين ، وأن الدولة الفاطمية لا محالة مقضى عليها . ومن ثم أخذت سرايا أبي ركة تتردد على الصعيد وعلى مختلف بلاد مصر .

أما الخليفة الحاكم بأمر الله فقد أسقط في يده واشتد قلقه وشاحته عندما علم فرج جند مصر وأعيانها بهذه الهزيمة ، فندم على ما فرط وأظهر الاعتذار عن الذي فعله<sup>(٤)</sup> . وازداد قلقه حين علم أن الناس قد كاتبوا أبا ركة ، وأن ممن كاتبه قائد قواده الحسين بن جوهري<sup>(٥)</sup> .

(١) سبط ابن الجوزي : نفس المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ١٧ .

- أبو الحسن : التيجون الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، طبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٣٣ ، ج ٤ ، ص ٢١٥ .

(٢) هي قرية قديمة قرب الإسكندرية في طريق برقة ، وهي تعرف الآن باسم الحسام فقط ، وتقع على السكة الحديدية الموصلة بين الإسكندرية ودمشق مطروح وبها محطة تقع على بعد ٧٤ كيلومتراً من مدينة الإسكندرية ( محمد ديزي : القاموس الجغرافي لبلاد المصرية ، القسم الثاني لبلاد الحالية ، الجزء الرابع ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٢٤٩ .

(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١٨ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٤١ .

(٥) ابن الأثير : نفس المصدر ونفس الصفحة .

- بيريوس اللودار : زينة الفكرة ، ج ٩ ، ورقة ٢٩٤ أ .

ولذلك اشتد خوفه على نفسه وعلى ملكه حين علم بتقدم قوات أبي ركة من برقة إلى الصعيد فأمر بإغلاق أبواب القاهرة<sup>(١)</sup>.

وإزاء هذا الخطر عقد الحاكم مجلساً عسكرياً جمع فيه كل قواده وشاورهم في الأمر ، وفي كيفية مواجهة هذا الخطر. فأشاروا عليه أن يسحب قواته التي في الشام لتعينه على حرب أبي ركة فأذعن لرأيهم واستدعاهم<sup>(٢)</sup>. ولما اكتمل عسكره ، وقد بلغ عددهم حوالي اثني عشر ألف رجل بين فارس وراجل ، عدا من انضم إليهم من عرب القبائل. ولما قيادتهم للفضل ابن عبد الله<sup>(٣)</sup>. واستطاع الفضل بن عبد الله أن يستميل إلى جانبه أحد رجال أبي ركة ويعرف « بالماضي » ، وهو من قواد بني قره ، ليطلعه على أسرار جيش أبي ركة وقد تمكن الفضل بن عبد الله بفضل توطؤ الماضي معه من إزلال الخزيمة ، آخر الأمر ، بأبي ركة .

وعند منطقة « كوم شريك »<sup>(٤)</sup> بالبحيرة دار القتال بين القريةين . في هذا القتال انتصر أبو ركة على قوات الحاكم بأمر الله للمرة الثالثة . ثم دار قتال آخر عند البحيرة قتل فيه نحو ألف من الجانبين . وقبل نشوب هذه المعركة حاول بنو قره استمالة العرب الذين كانوا يقاتلون مع عسكر الحاكم بأمر الله ، فأرسلوا إليهم يذكرهم بأعمال الحاكم التصفية ضدهم فأجابهم إلى ذلك . واستقر الأمر بينهم على أن يكون الشام للعرب ويصير لأبي ركة ومن معه مصر ، وتواعدوا ليلة يسير فيها أبو ركة إلى الفضل . فإذا وصل إليه يتظاهر العرب بالخزيمة ويفتحون ثغرة في قوات الخليفة الحاكم تنفذ منها قوات أبي ركة .

لكن هذا الأمر لم يتم حسبما اتفق عليه ، لأن الماضي أرسل للفضل بتفاصيل هذا الاتفاق . وعلم الفضل على إفساده ، فجمع ليلة الميعاد رؤساء العرب ليغفروا عنده وأظهر أنه صائم وطايع الحديث ، ثم تركهم في خيمة وسار بقواته الملاحقة جيش أبي ركة . فحاربت

(١) أبو الهيثم : التاجم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢١٥ .

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٣٠ .

— ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، مطبوعة بدار الكتب المصرية ، رقم ٥٥٩ .

معارف عامة ، القسم الأول - ج ١٦ ، ص ١٤٢ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٨٣ .

(٤) كوم شريك : قرية من القرى القديمة ، ورد ذكرها في كتاب المسالك لابن خردادبه أنها في الطريق بين القسطنطين والإسكندرية . وفي غزوات ابن مائل وفي تحفة الإيضاح أن من أعمال حوف رئيس ، وفي النسخة السنية أنها من أعمال البحيرة . وهي حالياً من أعمال البحيرة .

( محمد ديزي : القاموس الجغرافي ، القسم الثاني - الجزء الثاني ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٣٣٩ ) .

العرب معه ضد قوات أبي ركة ولم يكن عندهم علم بما فعل رؤسائهم. وبذلك استطاع الفضل أن يفسد الخطة المدبرة وأن يمنع الهزيمة التي كادت تحدث بقواته.

وأما المعركة الفاصلة التي انتهت بهزيمة أبي ركة فقد لعب الحظ دوراً فيها - وقد دارت هذه المعركة عند موضع يعرف « بالسبخة » أو « رأس البركة » ، بعد نصف مرحلة من مدينة الفيوم<sup>(١)</sup>. وفي هذه المعركة قتل حوالي ثلاثين ألفاً من أتباعه<sup>(٢)</sup>.

وكانت خطة أبي ركة في هذه المعركة هي أن يكمن بجزء من جيشه بجيش الفضل ويبرز له بعدد من قواته ، وعندما يتقابل الجيشان تتظاهر هذه القوات بالهزيمة وتتقهقر مستدرية جيش الفضل إلى الكمين. ولكن حيناً تم اللقاء بين الجيشين وبدأت قوات أبي ركة الظاهرة تنفذ الخطة المتفق عليها وبدأت في التقهقر حين من في الكمين أن الهزيمة لحقت بقواتهم ، فتركوا أما كنهم وهربوا يتبعون أصحابهم المتقهقرين . فاقضى أثرهم رجال الفضل وقتلوا منهم ألفاً كثيرة<sup>(٣)</sup>.

ولما رأى بنو قرة الهزيمة تلتحق بأبي ركة تظاهروا عن مواصلة القتال معه وضاربوا منه أن ينجو بنفسه ويهرب إلى بلاد النوبة ، فوافق على ذلك ، وهرب إلى بلاد النوبة . وأما بنو قرة فقد عادوا إلى مساكنهم بالبحيرة<sup>(٤)</sup>.

هذا ويذكر ابن الأثير أنه كان هناك اتفاق بين أبي ركة وملك النوبة على أن يمدد بقوات من عنده لمواصلة القتال ضد أعدائه<sup>(٥)</sup>. وكان ملك النوبة قد أرسل بعض قوات له انضمت لقوات أبي ركة واشتركت في المعركة التي دارت عند البحيرة<sup>(٦)</sup> ، غير أن حاكم النوبة لم يرسل له قوات أخرى بعد هذه المعركة . ولما حلت الهزيمة الأخيرة بأبي ركة وانفصل

(١) التويري : نهاية الأرب ، ج ٢٦ ، ورقة ٤٤ .

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٢١ .

(٣) ابن القلاسي : ذيل تاريخ دمشق ، طبعة بيروت ١٩٠٨ ، ص ٦٦ .

(٤) بعد هزيمة أبي ركة ، عاد بنو قرة إلى مساكنهم بالبحيرة واستمروا بهاجق طردوا منها في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي سنة ٤٤٣ هـ بعد أن هزبهم جموع طين وكلب ، وأنسحبوا إلى الصيد وسكنوا تاري أسوط ( المقريري : البيان والإعراب ، ص ١١٧ ) .

(٥) ابن الأثير : التكميل ، ج ٩ ، ص ٨٤ .

(٦) Budge, E.A. Wallis: A History of Ethiopia, Nubia and Abyssinia, London 1928, vol. I, P. 105.

عنه أتباعه ولجأ إلى بلاد النوبة ، رأى ملك النوبة أن يتدارك الأمر حتى لا ينكشف تواطؤه مع أبي ركة وتسوء العلاقة بينه وبين الحاكم بأمر الله . ولذلك قبض عليه وسلمه لنائب الخليفة ، الذي أرسله بدوره إلى القاهرة ليشتق هناك ويصلب جسده .

وقد أجمعت المصادر العربية على ما ذكره ابن الأثير من أن أبا ركة قبض عليه آخر الأمر في بلاد النوبة ، وأن من قبض عليه سلمه إلى نائب الخليفة . غير أن هذه المصادر اختلفت في ذكر اسم من قبض على أبي ركة : فمنها من أطلق عليه : صاحب النوبة دين تحديد ، ومنها من ذكر صراحة أنه ملك النوبة ، ومنها من أخبر بأنه نائب الملك صاحب حصن الجبل<sup>(١)</sup> .

وفي هذا الصدد يقول أبو صالح الأرمي في تاريخه : « قبض على أبي ركة عند مدينة من بلاد مقرة تعرف باسم بوسقا ، وكان بها مقام صاحب الجبل وبها دير أبو شنودة . وكان ذلك سنة اثنين وتسعين وثلاثمائة للعرب ، وكان ملك النوبة آنذاك يدعى « روفائيل »<sup>(٢)</sup> .

وقد زاد ابن خلدون الأمر إيضاحاً ، فذكر لنا أن الذي قبض على أبي ركة هو « شجرة ابن مينا » قائد الخيل بالفر (صاحب الجبل)<sup>(٣)</sup> .

ولدينا بجانب ما ذكرته المصادر التي وردت الإشارة إليها عن دور صاحب الجبل في القبض على أبي ركة نصان آخران : أحدهما عن النويري والآخر عن المقرئ . الأول يوضح أن أبا المكارم هبة الله شيخ ربيعة ساعد في القبض على أبي ركة ، والثاني يذكر أنه هو الذي ظفربأبي ركة .

فالنويري يقول « انهزم أبو ركة إلى بلاد النوبة وتبعه الفضل إلى الأعمال القروية ، فكتب الحاكم إلى متسلحها يقول إن عدو أمير المؤمنين الحاكم في بلاده . وكتب إلى صاحب

(١) انظر - ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٨٤ ، ٨٥ .

- ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٦٤ ، ٦٥ .

- سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٢٣ .

(٢) تاريخ أبي صالح الأرمي (كنائس وأديرة مصر) ، نشر إيفيس ، أكسفورد ١٨٩٥ ، ص ١١٩-١٢١ .

(٣) المعبر : ج ٤ ، ص ٥٩ .

- كان صاحب الجبل يعرف أيضاً بقائد الخيل بالفر (المسموي : مرجع الذهب ، ج ١ ، ص ٢٤٠ .

- وكان من ألقابه أيضاً « صاحب الخيل » - انظر نص النويري بالمتن .

الخليل ، وهو نائب صاحب دنقلة ومقره ببلد ألدو ، فيما بين دنقله وأسوان ، وتذب الفضل من العسكر من توجه لقبضه . وكان المساعد على مسكه الشيخ أبو المكارم هبة الله ، شيخ بني ربيعة . وقيل إن أبا ركة وجد في دهر يعرف بدير أبي شنودة في أطراف النوبة فمسك ، وكان الطعن به في شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين وثلاثمائة <sup>(١)</sup> .

وأما المقريري فيذكر لنا . في صدد حديثه عن قيادة ربيعة - أن أبا يزيد ظل رئيساً عليها حتى مات ، وخلفه ابنه أبو المكارم هبة الله . وعن أبي المكارم هبة الله يقول : « فقام برياستهم بعده ولده أبو المكارم هبة الله بن الشيخ أبي عبد الله محمد ويعرف ( بالأهوج المطاع ) ، وهو الذي ظفر بأبي ركة الخارج على الحاكم بأمر الله وقبض عليه . فأكرمه الحاكم إكراماً عظيماً ولقبه كثر الدولة ، وهو أول من لقب بذلك منهم . ولم تزل الإمارة فيهم وكلهم يعرفون بكثر الدولة <sup>(٢)</sup> » .

ونستخلص من هذين النصين أن الذي قام بالدور الرئيسي في القبض على أبي ركة هو أمير ربيعة ، وأن ربيعة بعد أن هاجرت إلى هذه المنطقة استطاعت السيطرة عليها واتسع بها نفوذها ، الأمر الذي جعل الخليفة الحاكم بأمر الله يشعر بوقتها وعظيم نفوذها في أرض المريس - ولهذا عمل على تشجيعها على الاستقلال الفعلي في المنطقة لكي تكون حاجزاً بين مصر وبين مملكة النوبة المسيحية .

ويبدو أن تلقب أمير ربيعة بلقب كثر الدولة هذا لم يكن أمراً جديداً استحدثته الخليفة الحاكم . فقد سبق أن ذكر المقريري نقلاً عن ابن سليم الأسواني جملة ذكر فيها أن أولاد كثر الدولة غلبوا على النوبة وملكوها . ففي هذا الصدد يقول علي إسان ابن سليم الأسواني ، « قال مؤلفه رحمه الله : وقد غلب أولاد كثر الدولة على النوبة وملكوها من سنة . . . » <sup>(٣)</sup> .

هذا ومن المعروف أن ابن سليم الأسواني توفي في عهد خلافة العزيز بالله والد الخليفة الحاكم بأمر الله ، أي أنه مات قبل أن يشهد أحداث ثورة أبي ركة .

ويبدو كذلك أن لفظة « الكثر » هذه لفظة قديمة يرجع إطلاقها إلى عهد قدماء المصريين

(١) التويري : نهاية الأرب ، ( مخطوطة ) ، ج ٢٦ ، ورقة ٥٤ .

(٢) المقريري : البيان والإمراء ، ص ٤٤ - ٤٦ .

(٣) المقريري : المخطوط ، طبعة بولاق ، ج ١ ، ص ١٩٢ .



فالأستاذ بيكيت Beckett يوضح لنا في مقال له بمجلة المجمع العلمي المصري أن لفظة « كتر » أو « تاكتر » TA KENE كانت تطلق في العصر القديم على جزيرة في النيل عند الشلال الأول ، وأن معنى هذه اللفظة في اللغة المصرية القديمة « أرض القوس » وإن كل فرد من أهالي تلك الجزيرة ينسب إليها فيقال له « كترى » . هذا وقد أشهر سكان تلك المنطقة من قديم الزمن بمهارتهم في رمي القوس ، وعرف عنهم العرب هذه الحقيقة عند غزوهم للنوبة في حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة ٣١ هـ ، فأطلقوا عليهم اسم « رماة الحدق »<sup>(١)</sup> . وقد اختلطت عرب ربيعة بسكان تلك المنطقة منذ أن هاجروا إليها وامتزجوا بهم امتزاجاً تاماً ، ومن ثم عرفوا ببني الكتر تمييزاً لهم عن القبائل العربية الأخرى .

وعلى هذا الأساس نستطيع أن نقول إن بني ربيعة كانوا يعرفون ببني الكتر قبل حكم الفاطميين لمصر ، وأن الخليفة الفاطمي - سواء أكان الحاكم بأمر الله أم خليفة سابق عليه - أضاف لقب « الكتر » للدولة ، ونسج هذا القرب الجديد لرئيس ربيعة . هذا ولم يكن التلقب - بالإضافة إلى ( الدولة ) جديداً على الفاطميين ، فقد شاع هذا النوع من الألقاب عندهم تقليداً للخلفاء العباسيين . فأضفوا هذه الألقاب على بعض الوزراء والكتاب والولاة من باب المكافأة والاعتراف لهم بخدماتهم الجليلة للدولة<sup>(٢)</sup> .

وبهذا كان أمر اللقب فإن الذي تخلص إليه في هذا الصدد أن الخليفة الحاكم بأمر الله قدّر مكانة ربيعة وقدّر قوتها في هذه المنطقة الاستراتيجية الهامة بين مصر وبلاد النوبة ، ولهذا عمل على تشجيعها على الاستقلال الفعلي بإمارتها . ومن ثم ، أصبح لإمارة بني الكتر منذ ذلك الوقت ، وضع خاص في جنوب البلاد حتى نهاية دولة الفاطميين .

( ١ ) - Beckett: Nubia and the Berberine, (Cairo Scientific Journal, August, 1911, P. 196).

( ٢ ) حسن الباشا : الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

### ٣ - علاقة بني الكنتز بالخلفاء الفاطميين بعد الخليفة الحاكم بأمر الله

تصمت المصادر في الفترة ما بين سنة ٣٩٧ هـ وسنة ٤٦٦ هـ عن ذكر أية علاقة بين بني الكنتز وبين الدولة الفاطمية . ومن الجائز أن يفسر هذا الصمت على أن استمرار العلاقات الطيبة بين الطرفين ، خاصة وأن الإمارة ما زالت ناشئة وهي تدين بوجودها للخليفة الحاكم بأمر الله وتعتمد على ولائها للدولة الفاطمية في تثبيت مركزها . ودليل ذلك أن أمراء بني الكنتز بعد أن رسخت أقدامهم في إمارتهم انتهزوا فرصة ضعف الخلافة الفاطمية ، زمن الشدة المستنصرية ، وأعلنوا استقلالهم عن الدولة . وبسبب هذه المحاولة عادت المصادر للحديث ثانية عن علاقة بني الكنتز بالدولة الفاطمية وأشارت إلى تغير هذه العلاقة .

ففي سنة ٤٦٦ هـ / ١٠٧٣ م . أعلن كنتز الدولة محمد استقلال إمارته التام عن الدولة الفاطمية مستغلاً في ذلك ، شأنه شأن باقي أمراء النواحي ، حالة القوضي التي حلت بالبلاد في أعقاب الشدة المستنصرية التي نتجت عن الحراب والدمار الذي لحق بها لمدة سبع سنوات ( ٤٥٧ - ٤٦٤ هـ )<sup>(١)</sup> . ففي هذا الصدد يقول المقرئزي أن قبيلة لواته ملكت الريف وأن الصعيد أصبح في يد بني الكنتز وأن الطرقات برأً وبجرأً قد قطعت<sup>(٢)</sup> .

هذا ولم تستمر حركة الاستقلال هذه سوى ثلاث سنوات ، وذلك بسبب مبادرة أمير الجيوش بدر الجمالي إلى القضاء عليها . وكان بدر الجمالي قد وفد إلى القاهرة سنة ٤٦٦ هـ يطلب من الخليفة المستنصر<sup>(٣)</sup> ، وبمجرد وصوله تمكن من القضاء على القوضي

(١) - ابن ميسر: تاريخ مصر ، نشر حري ماسيه ، طبعة المعهد العلمي الفرنسي ، القاهرة ١٩١٩ ، ص ٢٤ - النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٦ ، ٢٧ ، ٧٠ .

— Quatremère: Mémoires Géographiques et Historiques Sur L'Egypte, II, Paris 1811, P. 87.

(٢) يقول المقرئزي : « ملكت لواته لريف وأصبح الصعيد في يد المييد ( ويعني قصد بالمييد بني الكنتز ) ، وأنتقلت الطرقات برأً وبجرأً » ، انقسط ، طبعة بيروت ، ج ١ ، ص ٣٨٠ .

(٣) محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ١٠٧ .

التي سادت البلاد وإعادة الأمن والرخاء إليها . فعادت الأمور إلى نصابها في العاصمة والقضاة ، وأخذ بعد ذلك في العمل من أجل تدعيم سلطة الدولة والقضاء على ثورات الأقاليم والحركات الاستقلالية بها . فأنجحه أولاً إلى الوجه البحري وأخضع بني لواته وكان عددهم اثني عشرة ألف رجل<sup>(١)</sup> . كما توجه إلى دمياط وقتل فيها جماعة من المفسدين من العرب<sup>(٢)</sup> .

ولما اكتملت له السيطرة على الوجه البحري سار سنة ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م إلى الصعيد للقضاء على ثورات عرب جهينة والنعالية والجعافرة ، فانقض فجأة عليهم وأفنى أكثرهم وغنم منهم كثيراً من الغنائم<sup>(٣)</sup> . كذلك أنجحه للملاقاة قوات كثر الدولة التي تحركت من أسوان لقتال قوات الدولة الفاطمية ووصلت في مسيرها قرب بلدة إسناء . وعند إسناء دارت معركة حامية بين الفريقين انتهت بهزيمة قوات كثر الدولة وإبادة معظمها وفرار من بقي منهم إلى أسوان ومعهم كثر الدولة نفسه<sup>(٤)</sup> .

وتخليداً للذكرى انتصاره في هذه المعركة ، وتعبيراً عن شكره لله الذي وفقه لهذا النصر ، أمر بدر الجمالي ، أبا الحسين علي بن النصر ، قاضي إسناء ، ببناء جامع في موقع المعركة التي هزم فيها كثر الدولة وأن يطلق عليه اسم جامع النصر<sup>(٥)</sup> . وهذا الجامع يعرف الآن باسم الجامع العتيق أو العمري<sup>(٦)</sup> ، وهو يشبه في طراز بنائه جوامع الجيوشي ، والسبع بنات ، وجامع الحاكم بأمر الله<sup>(٧)</sup> .

— Wiet: L'Egypte Arabe, Paris 1937, P. 250.

(١)

(٢) محمد جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية ، ص ١٠٩ .

(٣) محمد جمال الدين سرور: نفس المصدر السابق والصفحة .

(٤) ساديس بن المقفع: سير الأبطال البطارقة ، خطوطة بدار الكتب المصرية ، رقم ٦٤٣٤ ح ، الجزء الثالث ، ورقة ٨٧ .

— Van Berchem: Matériaux Pour un Corpus Inscriptum Arab icaum. Ie partie, Egypte, Le Caire 1903, P. 700.

(٥) التومري: نهاية الأرب ، خطوطة ، ج ٢٦ ، ورقة ٧٠ .

(٦) حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ، طيبة دار الكتب ، القاهرة ١٩٤٦ ، ج ١ ، ص ٦٤٦ .

— Quatremère: Mémoires Sur L'Egypte, T. II, P. 87.

(٧) Edmond Pauty: Notes Sur Quelques Monuments Musulmans, et Copies en Haute Egypte, Le Caire 1929, P. 7.

وتشير اللوحة التذكارية لإنشاء هذا الجامع ، المكتوبة بالخط الكوفي ، والتي وجدت على يمين محرابه إلى أن أساسه وضع في منتصف ذي الحجة سنة ٤٦٩ هـ<sup>(١)</sup> وهذا التاريخ يوافق تاريخ هزيمة كثر الدولة على يد بدر الجمالي . وبهذا يؤكد لنا النقش الأثرى صحة هذه الحقيقة<sup>(٢)</sup>.

وبعد أن وضع بدر الجمالي أساس جامع إسنا صار إلى أسوان مطاردًا كثر الدولة . وعند منطقة الشلال ، جنوبي أسوان ، اشتبك معه في معركة أخرى هزم فيها أيضاً كثر الدولة ، وولى بعدها هارباً إلى دققلة ، وبهذا الانتصار أعاد بدر الجمالي نفوذ الخليفة على جميع بلاد الوجه القبلي حتى أسوان<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن بدر الجمالي أمر ببناء مسجد ، أو أكثر من مسجد . في المنطقة التي هزم فيها كثر الدولة جنوبي أسوان على الضفة اليمنى للنيل تخليداً لانتصاره مثلما فعل عند إسنا . ففي هذه المنطقة ، وفي قريتين من قرأها قائمتين على سفح الجبل ، وهما قرية المشهد البحري التي تعرف أيضاً بقرية « الباب » ، وقرية المشهد القبلي التي تعرف أيضاً بقرية « بلال » ، يوجد في كل منهما مسجد تعلوه مثذنة<sup>(٤)</sup> . كما يوجد مسجد ثالث في هذه المنطقة تعلوه مثذنة مشابهة للمثذنتين السابقتين . وهذه المآذن الثلاث التي يعرفها أهالي أسوان والشلال باسم « مآذن بلال » بنيت كلها وفق طراز معماري واحد . يشبه طراز مثذنة جامع الجيوشي الذي بناه بدر الجمالي فوق جبل المقطم . وقد أثبت المرحوم الأستاذ حسن الهواري في مقال له بمجلة المجمع المصري أن تاريخ بناء هذه

M. Van Berchem: Op. Cit, I, P. 699.

(١)

كان الفراغ من عمل سقف هذا المسجد سنة ٤٧٠ هـ ، بإشراف القاضي أبي الحسين علي بن النضر ، واكتسبت متارته سنة ٤٧٤ هـ بأمر فخر الملك سعد الدولة أبي منصور سارتكين القفاوي ، وبازالت هذه المتارة بآنية حتى الآن وهي أم ما بقى من أصل هذا الجامع ، وتعتبر حل ما يبدو أقدم نموذج كامل للمنازل الإسلامية بمصر ومن مؤلفاتها أنشئت المنارات في الوجه القبلي . كما بقيت اللوحة التذكارية لإنشائها وهي مثبتة على يسار المحراب ويكتوب بالخط الكوفي ( حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ج ١ ، ص ٦٦ ) .

(٢) انظر نص اللوحة التذكارية لإنشاء هذا الجامع في الملحق رقم (٢) ، ص ١٤٦ .

(٣) محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية ، ص ١٠٩ .

(٤) يطلق على أحد هذه المساجد اسم « حنظل أسير » ( محمد كامل حسنة : أسوان في الماضي والحاضر والمستقبل ، القاهرة بدون تاريخ ، ص ٣٠ ) .

المساجد بمآذنها الثلاث إنما يرجع إلى حوالى سنة ٤٧٥ هـ / ١٠٨٢ م ، أى إلى هذه الفترة المعاصرة لحمالات بدر الجمالى فى أقصى الصعيد ضد كثر الدولة ، أو بعدها بقليل <sup>(١)</sup> .

ويبدو أن بدر الجمالى أمر بدفن من قتل من رجاله فى المعركة الأخيرة ضد كثر الدولة فى جبانة أسوان القديمة ، والدليل على ذلك تلك القبور التى وجدت فى تلك الجبانة والتى يرجع تاريخ شواهدا إلى عهد الخليفة المستنصر بالله <sup>(٢)</sup> .

وأما كثر الدولة فقد وقع فى قبضة يد ملك النوبة عندما فر إلى بلاده ، وكانت العلاقات وقتها طيبة بين ملك النوبة والخليفة الفاطمى <sup>(٣)</sup> ، فضلا عن صلة الولاء الدينى الذى يربط ملك النوبة بطريق الكنيسة القبطية . ومن ثم بادر بدر الجمالى بإرسال الشريف سيف الدولة ومعه الأسقف « مرقوره » Mercure الذى يعرف بالوعواص <sup>(٤)</sup> ، والذى كان مزوداً بكتاب توصية من بطريرك القبط إلى ملك النوبة ، يطلبان منه باسم الخليفة تسليم كثر الدولة إليهما . وهذه الاعتبارات السياسية والدينية استجاب ملك النوبة لهذا الطلب فسلمهما كثر الدولة سنة ٤٧٤ هـ تقريباً . ولما وصل كثر الدولة إلى القاهرة فى السنة التالية قتله بدر الجمالى ثم صلب جثته على الباب الجديد <sup>(٥)</sup> .

(١) Hassan El Hawary: Trois Minarets Fatimides à la Frontière Nubienne) Bulletin de L'Institut Egyptien, 4 Mars 1939, T. XVII, PP. 141, 153).

(٢) عبد الرحمن عبد التواب : مبيات حفائر جبانة أسوان ، سفرات مملكة الآثار بأسوان المرس الأول من ديسمبر ١٩٦٠ إلى فبراير ١٩٦١

(٣) كانت علاقة ملك النوبة مع الخليفة الفاطمى ، وكان ملك النوبة يرسل إليه الهدايا على النوام ( راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٢٣٥ ) .

(٤) ساويرس بن المقفع : سير الأبياء البطركية ، مخطوطة ، ج ٣ ، ورقة ٨٧ ب .

— Quatremère: Mémoires Sur L'Egypte T. II, P. 88.

(٥) ساويرس بن المقفع : نفس المصدر السابق ونفس الورقة .

— التومرى : نهاية الأرب ، مخطوطة ، ج ٢٦ ، ورقة ٧٠ .

— الباب الجديد هو الباب الذى أنشأه بدر الجمالى فى سور القاهرة الشرق ، ويعرف بهذا الاسم كما عرف أيضاً بباب القنطرة ، كما كان يوجد بالسور الشرقى لقاهرة ثلاثة أبواب أخرى وهى : باب البرقية ، وباب المحرق ، وباب الورزير - انظر :

— CRESWELL: The Muslim Architecture of Egypt, Vol. II, Oxford 1959, Chap. III, P. 59.

— WIET: Une Nouvelle inscription Fatimide au Cairo, JA, T. CCXLIX, année 1961, P. 13.

هذا وقد استغل بقيه أمراء بني الكتر وساطة ملك النوبة لدى بدر الجمال للصفح عنهم وإعادة نفوذهم السابق في منطقة إمارتهم . فسار اثنان من إخوة كتر الدولة محمد ، بعد القبض عليه سنة ٤٧٤ هـ ، إلى ملك النوبة « سالمون » وطلباً منه التوسط لهما عند بدر الجمال في الصفح عنهما ، فأرسل ملك النوبة بدوره معهما رسولاً من قبله إلى بدر الجمال ومعه طلب العفو عن بني الكتر . وتقديراً لموقف ملك النوبة الطيب مع بدر الجمال ، قبل بدر الجمال وساطته وعفا عن بني الكتر ورضى بعودة نفوذهم في منطقة إمارتهم عند أسوان<sup>(١)</sup>.

ويستحق كل من أسقف الأشمونين وأبو صالح الأرميني على أن بدر الجمال عين ابن أخ كتر الدولة محمد وإلياً على أسوان بعد قرار العفو عن بني الكتر ، وذلك على وجه التقريب سنة ٤٧٤ هـ . وهذا الولي الكتري الجديد هو « سعد الدولة سارتيكين القواسي »<sup>(٢)</sup> ، وهو الذي أتم بناء مئذنة جامع إستا السابق الذكر ونقش اسمه على اللوحة التذكارية لإنشاء هذه المئذنة<sup>(٣)</sup>.

وظلت علاقة سعد الدولة طيبة بالخلافة الفاطمية ، سواء خلال السنوات المتبقية من خلافة المستنصر حتى وفاته سنة ٤٨٧ هـ ، أو خلال سنوات خلافة المستعلي بالله . والدليل على ذلك اشتراكه في الحملة ضد الفرنج سنتي ٤٩٣ ، ٤٩٤ هـ بتكليف من الأفضل ابن بدر الجمال ، ومقتله بعسقلان خلال إحدى المعارك الصليبية التي دارت هناك<sup>(٤)</sup>.

وسعد الدولة هذا هو آخر من استطعنا أن نتعرف عليه من ولادة بني الكتر على أسوان في العصر الفاطمي . فالمصادر التاريخية لا تمدنا بأية أخبار عن بني الكتر بعد وفاته

(١) سويرس بن المقفع : نفس المصدر السابق ، ورقة ٨٨ ب ، ٨٩ أ .

— Quatremère: Op. Cit, T. II, P. 88.

(٢) سير الآباء البطارقة ، مخطوطة ، ج ٣ ، ورقة ٩٠ أ .

— تاريخ أبي صالح الأرميني ، ص ١٢٤ .

(٣) يتفق تاريخ بناء المئذنة ( سنة ٤٧٤ هـ ) مع تاريخ الأحداث التي ذكرناها كما هو ثابت بالنقش . وهذا النقش دليل مادي لا يرقى إليه الشك ( انظر نص النقش في الملحق رقم (٣) ، ص ١٤٧ ) .

(٤) النجدي : عقد الجمان ، مخطوطة ، ج ١٧ ، ص ٤٣٩ .

— أبو الحسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٥٢ .

— WIET: Nouvelles inscriptions Fatimides, Extrait du Bulletin de L'Institut d'Egypte, T. XXIV, — Session 1941 - 1942, pp. 146-147).

حتى أواخر أيام العاضد ، آخر الخلفاء الفاطميين ، ووزارة صلاح الدين . ومن ثم فنحن لانستطيع أن نتبع طبيعة العلاقات بين بنى الكتر وبقية الخلفاء الفاطميين . وإذا كنا لانستطيع التعرف على ذلك بطريقة مباشرة إلا أن ما ذكره كل من أبى المحاسن والأدقوى عن وجود ولاية لأسوان - في هذه الفترة - من غير بنى الكتر ، يجعلنا نستخلص أن العلاقة بين الطرفين لم تكن على ما يرام .

فأبو المحاسن عند حديثه عن طلائع بن رزيك سنة ٥٤٤ هـ يقول : إن خدام القصر كتبوا إلى طلائع بن رزيك ، وهو والى قوص وأسوان والصعيد ، يخبرونه بقتل الظاهر<sup>(١)</sup> .

والأدقوى في ترجمته للقاضي محمد بن إبراهيم بن أحمد بن نصر أبو الحسن الأسوانى يقول عنه ، « كان حاكماً بأسوان وكان خطيب بلده وحاكمها سنة ثلاث وستين وخمسائة . وقفت على مكاتبه وكنيته رضى الدولة ، وكانت ولايته من جهة العاضد ، ولأه أسوان وإسنا وأرمنت ، ووقفت على مكتب ولايته في ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وخمسةائة »<sup>(٢)</sup> .

وفي ضوء هذين النصين يمكننا أن نستنتج أن العلاقات بين بنى الكتر والفاطميين قد ساءت - خلال هذه الفترة الأخيرة لسبب أو لآخر . ربما يكون بنو الكتر قد قاموا بمحاولة استقلالية أخرى غير تلك التى قاموا بها في خلافة المستنصر بالله . وربما يكون ذلك بسبب تخوف خلفاء الفاطميين من أن يؤدى ازدياد نفوذ بنى الكتر في جنوب البلاد إلى تفكيرهم مرة أخرى في الاستقلال بإمارتهم . وهذا من شأنه أن يدفع الفاطميين إلى تنحية بنى الكتر عن ولاية أسوان وتعيين ولاية غيرهم عليها لايستندون إلى عصية قبلية محلبة كذلك التى يستند عليها بنو الكتر .

• • •

(١) النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٢٩٢ .

(٢) الطالع السعيد الجلس أساء نجباء الصمد ، تحقيق سعد محمد حسن ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٤٧٦ ، ٤٧٧ .

#### ٤ - موقف بنى الكنز من ثورة مؤمن الخلافة

##### وثورة السودان ضد صلاح الدين

أدى تطور الأحداث في مصر في أواخر أيام الفاطميين إلى سقوط دولتهم ونهاية خلافتهم على يد صلاح الدين . هذا ومن المعروف أن صلاح الدين منذ أن وُزر للخليفة الفاطمي العاضد ( سنة ٥٦٧ هـ ) ، أخذ يفكر في الاستقلال بحكم مصر . وتطلب منه ذلك أن يدعم مركزه في البلاد ويثبت أقدامه فيها فاستبد بالأمور دون الخليفة ومنعه من التصرف في شيء . وصادر ممتلكاته وزاد في التضييق عليه وعلى رجال قصره في الوقت الذي قام فيه بإقطاع أصحابه وقواد جيشه البلاد<sup>(١)</sup> .

وأثار ذلك الأمر أعوان الفاطميين وأتباعهم فحاولوا استعادة سلطتهم ونفوذهم في البلاد . وكان على رأس هؤلاء الثائرين متحكم القصر مؤمن الخلافة نجاح ، الذي دبر بالاتفاق مع الفرنج مؤامرة للتخلص من صلاح الدين والقضاء على نفوذ بنى أيوب في مصر .

غير أن هذه المؤامرة لم يقدر لها النجاح ، فقد أدت المصادفة إلى اكتشافها ، وبالتالي إلى إحباطها<sup>(٢)</sup> . ونجح صلاح الدين في القبض على القائمين بها كما تخلص من مؤمن الخلافة بأن أرسل إليه من قتله في منطقة أقطاعه<sup>(٣)</sup> .

وشدد صلاح الدين ، بعد إحباط هذه المؤامرة ، قبضته على قصر الخليفة . فعزل جميع الذين يتولون أمر القصر واستعمل عليه أحد رجاله وهو بهاء الدين قراقوش ،

(١) ابن الأثير : الكنز ، ج ١١ ، ص ١٦٦ .

— Casanova: Les Derniers Fatimides (Mémoires de la Mission d'Archeologique duCaire, Paris 1890, T. III, P. 415) .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٥٥ .

(٣) - ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب ، نشر جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٣ ، ج ١ ، ص ١٧٦ .

- أبو شامة : القرويين في أخبار القرويين ، طبعة بولاق ١٢٨٨ هـ ، ج ١ ، ص ١٧٨ .

- كانت منطقة إقطاعه بقرية قرب قليوب تعرف بالقرمانية .



الذى تولى زمام القصر وقام بإذلال جميع من فيه<sup>(١)</sup>.

ولما علم عبيد القصر والجند السودان بمقتل مؤمن الخلافة تألموا لذلك كثيراً لأن جبههم له كان شديداً ، فثاروا ضد صلاح الدين وخرجوا في عدد كبير يزيد عن الخمسين ألفاً وقصدوا حرب الأجتاد الصلاحية<sup>(٢)</sup>. وكان جند السودان يمثلون في الدولة الفاطمية قوة كبيرة مؤثرة فرضت نفوذها - ولا سيما في الفترة الأخيرة من حكمها - على الوزراء<sup>(٣)</sup>.

وانضم للسودان في ثورتهم أعداد كبيرة من الأمراء والعامة ، وحملوا السلاح واتجهوا إلى دار الوزارة ، قرب باب النصر ، حيث يقبع صلاح الدين<sup>(٤)</sup>. وفي شوارع القاهرة دارت معركة عنيفة بين جنود صلاح الدين وبين الجند السودان وكاد السودان أن يتصروا في المعركة الكبيرة التي استمرت يومين عند بين القصرين ، غير أنهم هزموا في نهاية الأمر<sup>(٥)</sup> وبعد ذلك أخذوا ينسحبون إلى محلتهم التي كانت تعرف بالمنصورة<sup>(٦)</sup> ، وهناك لحقت بهم قوات صلاح الدين ، بقيادة أخيه توران شاه ، فقتلت عدداً وافراً منهم ، وأمر صلاح الدين بإحراق هذه المحلة على من فيها ، فهرب من بقى بها من السودان إلى الجيزة . وتعقبهم قوات توران شاه إلى هناك وقتلت عدداً آخر منهم .

وأما من نجا من القتل فقد فر إلى أقصى الصعيد حيث لجأ إلى إمارة بنى الكثر ، وقد رحب بهم بنو الكثر وأخذ الجميع يستعدون لحرب صلاح الدين والتأرمنه . ونحن لا نعرف سبب ترحيب بنى الكثر بهؤلاء السودان ، ربما كان ذلك نوعاً من التعاطف معهم ، أو تعبيراً عن ولائهم للفاطميين أو أملاً في الاستفادة من هؤلاء السودان المدبرين على الحرب إذا ما فكر صلاح الدين في القضاء على إمارتهم واضطروا للدفاع عن حياتهم . وكيفما كان الأمر فقد أدى ذلك إلى أن يضمر صلاح الدين لبنى الكثر العداء ، وازداد عداؤه على مدى الأيام ، مما أدى في النهاية إلى محاربتهم والقضاء على إمارتهم .

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٦٥٥ .

(٢) المقرئى : الخطط ، طبعة يولاى ، ج ٢ ، ص ٢ .

(٣) يقول أبو شامة ( الروضتين ، ج ١ ص ١٧٨ ) : « كان السودان إذا قاموا على وزير قتلوه واجتاحوا وأذلوا واستباحوا واستملوا » .

(٤) المقرئى : الخطط ، طبعة يولاى ، ج ٢ ، ص ٢ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٧٦ .

- المقرئى : نفس المصدر السابق والصفحة .

(٦) يقول المقرئى إن المنصورة كانت تقع قرب بركة الفيل خارج باب زويلة ( الخطط ، طبعة يولاى ، ج ٢ ص ١٨ ) .

## البَابُ الثَّالِثُ

علاقة بنى الكنز بالأيوبيين والمماليك

تاريخ دولة الكنز



## علاقة بني الكنز بالأيوبيين وبالمماليك

### ( أ ) علاقة بني الكنز بالأيوبيين :

#### ١ - علاقة بني الكنز بالسلطان الناصر صلاح الدين بن أيوب :

- إمارة بني الكنز الأول وقت أن تولى صلاح الدين حكم مصر .
- موقف بني الكنز من سقوط الخلافة الفاطمية .
- تعاون بني الكنز مع صلاح الدين في بداية حكمه ودافع هذا التعاون .
- العداء بين الطرفين وأسبابه .
- ثورة بني الكنز .
- ثورة عباس بن شاذي وعلاقتها بثورة بني الكنز .
- هزيمة بني الكنز على يد قوات صلاح الدين ونهاية إمارتهم الأولى عند أسوان .

#### ٢ - علاقة بني الكنز بسلطين الأيوبيين بعد صلاح الدين :

- صمت المصادر التاريخية وعدم تعرضها لهذه العلاقة .
- تفسير هذا الصمت .

### ( ب ) علاقة بني الكنز بالمماليك :

- ١ - وضع بني الكنز في بلاد النوبة الشمالية مع بداية قيام دولة المماليك في مصر .
- ٢ - بنو الكنز والحملات المملوكية على النوبة .
- ٣ - بنو الكنز يقيمون إمارتهم الثانية في دنقلة ويرثون عرش مقرة سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م .
- سياسة الملك الناصر محمد بن قلاوون مع بني الكنز .
- سياسة سلاطين المماليك بعد الناصر محمد مع بني الكنز .
- ٤ - نهاية دولة بني الكنز سنة ٨١٥ هـ / ١٤١٢م .
- وضع بني الكنز السياسى بعد هذا التاريخ .
- هجوم قبائل هوازة وجهينة على الصعيد وأثر ذلك على بني الكنز .
- بنو الكنز بعد الفتح العثماني لمصر .

## (١) علاقة بنى الكنتز بالأيوبيين

عاشت إمارة بنى الكنتز الأولى عند أسوان عصرها الذهبي أيام دولة الفاطميين في مصر ، وتمتع أمراؤها باستقلال ذاتي في ظل رعاية خلفاء هذه الدولة . غير أن هذه الإمارة لم تحظ برعاية سلاطين الأيوبيين ، كما كانت نهايتها على يد صلاح الدين أول هؤلاء السلاطين .

### ١ - علاقة بنى الكنتز بالسلطان الناصر صلاح الدين :

أقام بنو الكنتز إمارتهم الأولى عند أسوان ، وكانت بمثابة « الإمارة الحاجزة » في جنوبي البلاد ، بين دولة الخلافة وبين مملكة النوبة المسيحية . وقد أرتاح الخلفاء الفاطميون لوجود هذه الإمارة القوية عند حدود البلاد الجنوبية بسبب ولاء أمرائها لهم . وأغلب الظن أن هذا الولاء كان ولاءاً سياسياً ولم يكن ولاءاً دينياً لما أوردته لنا المصادر - في هذا الصدد - لا يفهم منه صراحة أن بنى الكنتز اعتنقوا المذهب الشيعي . فابن خلدون - في حديثه عن بنى الكنتز - يذكر لنا « أنهم كانوا شيعة للملوك بمصر » . والأرجح أن ابن خلدون يقصد بقوله هذا أنهم كانوا أشياعاً للفاطميين وموالين لهم <sup>(١)</sup> . كما أن الأديب لم يتحدثنا عن اعتناق بنى الكنتز لهذا المذهب ، وإن كان قد أشار في حديثه عن مدينة أسوان زمن الفاطميين إلى انتشار التشيع بها <sup>(٢)</sup> . هذا ومن المعروف أن عامة المصريين لم يتحمسوا للمذهب الشيعي ، ولهذا اندثر هذا المذهب بمجرد سقوط الدولة الفاطمية <sup>(٣)</sup> . فضلاً عن ذلك فإن مجريات الحوادث في بداية العهد الأيوبي تجعلنا نرجح الرأي الأول <sup>(٤)</sup> .

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ، ص ٢٨٨ .

(٢) الأديب : الطالع السعيد الجائع أسماء نجباء الصعيد ، ص ٣٤ .

(٣) حل الترم من أن الخلافة الفاطمية حرصت على نشر مذهبها الشيعي بين أهال البلاد التي خضعت إلى حوزتها فلما لم تنجح في ذلك السبل فضل المذهب السني محققاً بقوته ولم تحول بعض المصريين إلى المذهب الفاطمي خوفاً من تطبيق القوانين الجائرة التي فرضها الفاطميون على مخالفيهم في المذهب . كذلك كان من الأسباب التي جعلت أهل السنة في مصر يحفظون بمذاهبهم وتقاليدهم تلك التشريعات التي أدخلها الفاطميون ، إذ رأوا فيها ما يتناقض مع ما نص عليه القرآن وما أقر من السنة ( محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٨٤ - ٨٥ ) .

(٤) أنظر فيها بعد .

ولذا كان من الطبيعي أن يستمر ولاء بني الكنتز السياسى للفاطميين طالما ظلت دولتهم قائمة ، وأن يزول هذا الولاء بمجرد زوال دولتهم . ذلك أن وضع إمارتهم كان يقتضى منهم الحرص على بقاء إرتكازهم السياسى وصلاتهم الطبيعية بالدولة التى تقوم فى مصر ، أيا كان لونها السياسى والمذهبى . ومن ثم فإن سقوط الخلافة الفاطمية وغروب شمسها عن البلاد لم يدفع بني الكنتز إلى معاداة صلاح الدين وإلى انقطاعهم بإمارتهم . وما يدعم ذلك الرأى أننا نجدهم يعرضون عن مساندة الحركات التى قام بها أشياخ هذه الدولة المخلصون لإعادتها<sup>(١)</sup> ، كما نجدهم يشيئون عملياً رغبتهم فى التعاون مع صلاح الدين فى بداية حكمه . فقد اشتركوا مع قواته فى الدفاع عن جنوب البلاد حين تعرضت لغزو النوبة ، كما اشتركوا فى الحملة التى أرسلها لغزو النوبة حين فكر فى فتح هذه البلاد لتكون ملجأ له ولأسرته فى حالة تعرضه لهجوم من جانب سيده نور الدين محمود بن زنكى<sup>(٢)</sup> .

فأما عن التعاون الأول فيخبرنا أبو شامة - فى حديثه عن أحداث سنة ٥٦٨ هـ - أن الأمير كتر الدولة ، أمير أسوان ، هو الذى قام بالدفاع عنها عندما خرج النوبون فى هذه السنة فى أعداد كبيرة بقصد غزو مصر وهاجموا أسوان وحاصروها ونهبوا قراها . كما أن الأمير كتر الدولة طلب النجدة من صلاح الدين ليتمكن من الصمود أمام هذه القوات الغازية . وكانت محاولة النوبيين هذه واحدة من المحاولات الكثيرة التى كانوا يقومون بها بقصد نهب وتخريب صعيد مصر فى فترات الضعف التى تتعرض لها البلاد ، أوفى فترات الإنتقال من عهد إلى آخر والى كانت تنسم عادة بالاضطرابات . وقد أسرع صلاح الدين بالعمل على إحباط هذه المحاولة فأرسل الشجاع البعلبكي على رأس قوة من جنده نجدة لكنتز الدولة . وما أن وصلت هذه القوة إلى أسوان حتى وجدت النوبيين يواون الأدبار عائدين إلى بلادهم . وكاد الأمر

(١) من أبرز المحاولات التى تمت لإعادة الخلافة الفاطمية تلك المحاولة التى قام بها الشاعر حمزة البجلي سنة ٥٦٩ هـ ، واشترك معه فيها جماعة من زعماء الشيعة والحنابلة المصريين والسودان وجماعة من أمراء صلاح الدين وجنده . وساحل أطالب هذه الحركة الاتصال بالفرنج وبالحشيشية الباطنية ، واستهدفت القضاء على صلاح الدين وعلى نفوذ بني أيوب من مصر وسبابة الأمير داود بن المعاضد والدعوة له . غير أن هذه المحاولة باءت بالفشل بسبب اكتشاف صلاح الدين أمرها قبل تنفيذها وقبضه على المتآمرين وشققتهم جميعاً عند بين القصرين (ابراهيم الخليل : شفاء القلوب فى مناقب بني أيوب ، مخطوطة مصورة بمكتبة جامعة القاهرة ، رقم ٢٤٠٣١ ، ورقة ٢٢ ب - ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٧٩ - أبو شامة : التوسيع فى أخبار الدولتين ، القاهرة ١٢٨٧ هـ ، ج ١ ، ص ٢١٩ ، ٢٢١ ) .

(٢) أنظر فيما بعد .

يتوقف عند هذا الحد لولا أن قوات بني الكنتز ، التي أنضمت إليها ، شجعت أفراد هذه القوة على مطاردة النوبيين في أرض مريس . وهناك اشتبكوا معهم في معركة حامية ، ثم عادوا أدراجهم<sup>(١)</sup> .

كما أشارك بنو الكنتز بأعداد كبيرة في الحملة التي أرسلها صلاح الدين إلى بلاد النوبة بقيادة أخيه توران شاه<sup>(٢)</sup> . وتوغلت هذه القوات المشتركة في بلاد النوبة حتى بلدة إبريم . واستولت عليها وأسرت عددا كبيرا من أهلها<sup>(٣)</sup> . غير أنها سرعان ما عادت أدراجها بعد أن رأى توران شاه فقر هذه البلاد وعدم صلاحيتها لتحقيق ما يصبو إليه أخوه صلاح الدين<sup>(٤)</sup> . وعلى الرغم من هذه النتيجة السلبية فقد حققت هذه الحملة نصراً سياسياً لا يقل أثرًا عما كانت تهدف إليه من غزو هذه البلاد ، إذ أبرزت لمملكة النوبة مدى قوة الحكم الجديد الذي قام في مصر وقدرته على ردع النوبيين إذا ما عادوا إلى مهاجمة صعيد مصر<sup>(٥)</sup> .

(١) التروستين ، ج ١ ، ص ٢٠٨ .

(٢) هو الأخت الأكبر لصلاح الدين ، توفي في ثغر الإسكندرية في الخامس من صفر سنة ٥٧٦ هـ ( ابن خلكان : وفيات الأعيان ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٤٨ ، ج ١ ، ص ٢٧٣ ) .  
(٣) يبالغ ابوصالح الأرمي في تاريخه ( ص ١٢٢ ) في وصف ما فعله توران شاه بأهل إبريم ، فيذكر أنه قتل وأسر عددا كبيرا منهم ، كما ذكر أن عدد النوبيين منهم كان مئاة ألف من الرجال والنساء والفتيان الصغار . وذكر أنه غرق كنيسة المذراء مريم التي كانت هناك وجوبا إلى مسجد بعد أن سجن أسقفها في قلعة مهجورة هناك وذبح سيمائة خنزير . عن هذه الحملة أنظر :

— Arkell: A History of the Sudan, P. 195:

— Budge, E.A. Wallis: A History of Ethiopia, Nubia and Abyssinia, London 1928, vol. I, P. 105.

— Greener: High Dam Over Nubia, London 1962, P. 184.

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٧٣ .

— ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٧٥ .

— ابن فضل الله العمري : سالك الأبحار في عمالك الأمصار ، مخطوطة ، يدار الكتب المصرية ، رقم ٥٥٩ معارف عامة ، القسم الثالث ، الجزء الثالث ، ورقة ٤٩٢ .

(٥) المقرئى : السلوك لمعركة دول الملوك ، نشر محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٣٤ ، القسم الأول ، الجزء الأول ، ص ٥١ .

### معاداة صلاح الدين لبني الكنتز :

كانت إمارة بني الكنتز بمثابة إقطاع أقطعه لهم خلفاء الفاطميين . وقد تجمع بنو الكنتز في إقطاعهم هذا بجانب البلاد بسلطة شبه تامة في العهد الفاطمي ، وأصبحت لهم - تقريباً - كل السلطات الحكومية التي كان يتمتع بها المقطع والوالي في ذلك العهد<sup>(١)</sup> . فلم يكن يربطهم بالخلافة الفاطمية سوى التزامهم بالاشتراك بقوة من رجالهم مع الجيش الفاطمي إذا ما دعا داعي الحرب ، والتزامهم بأن يدفعوا لها الضرائب المقررة على إقطاع إمارتهم<sup>(٢)</sup> . يضاف إلى ذلك أنهم أخذوا يوسعون نطاق إمارتهم بما كانوا يضمونه إليها من أراضٍ في بلاد النوبة ، وأنهم أخذوا يستفيدون من خيرات هذه الأراضي ، الأمر الذي تسبب في بصر حالهم وزيادة ثرائهم<sup>(٣)</sup> .

لذا لم يتقبل بنو الكنتز الوضع الجديد الذي فرضه صلاح الدين على البلاد حين قام بإلغاء الإقطاعات القديمة ووضع يده على كل موارد البلاد ، وقام بتقسيمها إلى إقطاعات جديدة ، إدارية وحربية ، قصر توزيعها على أهل بيتهم وأقربائه وكبار قواد جيشه<sup>(٤)</sup> . وقد استن صلاح

(١) جرت الدولة أحياناً في عهد الفاطميين على قاعدة أن الشخص الذي أحرز أرضاً تتفق مساحتها مع وحدة إدارية تصبح إقطاعاً له وتصبح له حقوق كل من المقطع والوالي على أن يضطلع بأعباء والتزامات كليهما ولا سيما فيما ينجم به من ضرائب الإقليم في نفقات الإدارة والجيش ( المقريزي : المقطع ، طبعة بولاق ، ١٦ ص ٩٦ ) .

(٢) عن نتائج الإقطاع في العهد الفاطمي - انظر الفلقشتي : صبح الأعشى ؛ ج ١٣ ، ص ١٣١-١٣٨ .  
(٣) كان الولاء في العهد الفاطمي يحصلون في الأقاليم التي يتولون إدارتها على إقطاعات تزيد من نفوذ وسلطانهم الإقليمي ، وفي هذه الحالة صاروا يمارسون في إقطاعهم كل ما للمقطع من سلطة مالية وبسيطة ما شؤل من سلطة إدارية ، فضلاً عما لهم من سلطان على ضياعهم ( السيد الباز المريني : الإقطاع في الشرق الأوسط منذ القرن السابع حتى القرن الثالث عشر الميلادي ، فصله من حوليات كلية الآداب - جامعة القاهرة ، العدد الرابع - يناير ١٩٥٧ ، ص ١٣٣ ، ١٣٤ ) .

(٤) نقل صلاح الدين إلى البلاد ما هو معروف بالإقطاع السليمي والزنكي ، وهو نوعان : إقطاع إداري اختص به الأمراء من الأسر الحاكمة وكبار الأمراء ، وتتفق هذه الإقطاعات عادة مع وحدة إقليمية إدارية وإقطاع حربي اقترن ما يؤده المقطع من خدمات حربية ويضع لسيطرة الحكومة المركزية ( الباز المريني : الإقطاع في الشرق الأوسط ، ص ١٣٤ ) .



الدين بذلك سنة سار عليها سلاطين مصر من بعده<sup>(١)</sup> . ومن ثم فقد ساءهم أن يقطع السلطان إمارتهم إلى أخيه توران شاه ، الذي أقطعها بدوره إلى « أخى أبى الهيجاء السمين » أحد كبار قواده<sup>(٢)</sup> . وكان عليهم أن يختاروا أحد أمرين : إما أن يستسلموا لإرادة السلطان ويتخلوا عن الإمارة والنفوذ ، وإما أن يتحدوا قرار السلطان ويرفضوا الإذعان لمشيئته ويتوهموا بالثورة ضده . وقد اختار بنو الكثر الأمر الثانى للمحافظة على إمارتهم ومصالحهم ، ولهذا أعلنوا الثورة ضد صلاح الدين .

وقبل أن ندخل فى تفاصيل أحداث هذه الثورة يحق لنا أن نتساءل عن السبب الذى دفع صلاح الدين إلى القضاء على حقوق بنى الكثر المكتسبة ، وإلى أن يساهم سلطتهم ونفوذهم على الرغم مما أبدوه من نية صادقة فى التعاون معه ، وعلى الرغم من استعدادهم فى الإستمرار فى هذا التعاون .

للإجابة على هذا السؤال يجب أن نضع نصب أعيننا :

( ١ ) إن صلاح الدين حين عزم على الاستقلال بحكم مصر وضع لنفسه سياسة ترى إلى إقامة دولة له ولأبنائه من بعده تكون له فيها كل السلطات ، وهذا يقتضى منه — فى المقام الأول — إلغاء جميع الامتيازات القديمة التى كانت لأتباع الفاطميين وأشياعهم ليحقق له القضاء على بقايا النفوذ الفاطمى وبقايا نفوذ أشياعهم فى البلاد . ولهذا ألغى صلاح الدين الإقطاع القديمة ، ووضع نظاما جديدا للإقطاع قصر توزيع الإقطاعات فيه على رجال أسرته وعلى كبار قواده .

( ٢ ) كان صلاح الدين يحنى تمرد بنى الكثر عليه ، مستعين فى ذلك بما تجمع لديهم من أعداد هائلة من قلوب ثورى مؤتمن الخلافة وحرارة اليمنى من الجند المصريين والسودان . وكان بهم صلاح الدين أن يدعم نفوذه فى جنوب البلاد ويقضى على أى خطر يهدده هناك حتى يتفرغ لمواجهة الأخطار التى تعرضت لها البلاد من ناحية الصليبيين بالشام .

( ١ ) يقول المقرئى سلقا على ذلك « منذ كانت أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى يومنا هذا فإن أراضى مصر كلها صارت تقطع للسلطان وأمرائه وأجناداه ( الخطط ، طبعة بولاق ، ج ١ ، ص ٩٦ ) .  
( ٢ ) أقطع صلاح الدين أعضاء : قرص وأسوان وميلاب ، وكانت عبرة هذا الإقطاع ٣٩٩ ألف دينار سنة ٥٩٥ هـ ، منها عبرة قرص وسبع مائة ألف دينار فى السنة ( إبراهيم على طرخان : نظام الإقطاع الإسلامى فى المصور الوسطى إلى نهاية عصر الأيوبيين ، رسالة ماجستير بحفظة بجامعة القاهرة ، ص ٩١ ، ٩٢ ) .

( ٣ ) وهناك أيضاً سبب هام دعى صلاح الدين إلى القضاء على نفوذ بني الكثر ، وهذا السبب يرتبط بسياسة تجاه بلاد الحجاز . ففضلاً عن أن صلاح الدين سارع على نهج الفاطميين في بسط سيادة مصر على بلاد الحجاز <sup>(١)</sup> ، فإن هذه السيادة على بلاد الحج زكّات تدعم مركزه الديني في معركة الجهاد ضد الصليبيين في العالم الإسلامي <sup>(٢)</sup> . وقد تحقق نصلاح الدين السيادة على بلاد الحجاز سنة ٥٧٢ هـ ، كما تلقّب بنقّب « خادم الحرمين الشريفين » وخطب له « إلى منابرها » <sup>(٣)</sup> ، وأكيدا لهذه السياسة الدينية عمل صلاح الدين على رفع المظالم المالية التي كان يتعرض لها الحجاج المسلمون عند مرورهم بمصر ، وتند أزولهم بمجدة ، وأثناء وجودهم بمكة . فأسقط سنة ٥٧٢ هـ ١١٧٦-١١٧٧ م ما كان يجبي من الحجاج المسلمين من مكس وركاة أموالهم حسبما استقر عليه الأمر زمن الفاطميين ، وخاصة في ميناء الإسكندرية وميناء عيذاب . ودوّش أمير مكة عما كان يجبي له بمجدة ومكة من مكس الحجاج ألف دينار وألف إردب من القمح سنويا ، عدا أقطاعات أنظمتها له بصعيد مصر وبجهة اليمن <sup>(٤)</sup> . وأوقف كذلك بعض الأوقاف في مصر على الحرمين ، كما قام بإرسال الكسوة الشريفة إلى الكعبة المكرمة كل عام في احتفال مهيب <sup>(٥)</sup> .

وتعقبا لهذه السياسة حرص صلاح الدين على أن يسيطر على طريق الحج الوحيد الذي كان يربط مصر وشمال أفريقيا ببلاد الحجاز . وهو طريق : قوص - عيذاب - جدة <sup>(٦)</sup> . وهذا الطريق يقع في نطاق إمارة بني الكثر .

( ١ ) تطلعت مصر إلى السيادة على بلاد الحجاز منذ أن تمكنت من تحقيق استقلالها عن البساسين ، أي منذ قيام الدولة الطولونية ( أحمد دراج : إسهامات جديدة من التنقيب في تجارة البحر الأحمر ، الجمعية المصرية لدراسات التاريخية - المحاضرات العامة - الموسم الثنائي ١٩٦٨/٦٧ القاهرة ، ص ١٩٤ ) .

( ٢ ) Paul: Aidhab: A Medieval Red Sea Port, S.N.R., XXXVI, 1955, p. 64.

( ٣ ) القلقشندي : صبح الأدهى ، ج ٤ ، ص ٢٧١ .

( ٤ ) أحمد دراج : وثائق دير صهيون بالقدس الشريف ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ٧٢ .

( ٥ ) Darrag: L'Egypte Sous Le règne de Barsbay, ed L'Institut Français De Damas, Damas, P. 160.

( ٥ )

( ٦ ) اعترف الجغرافيون العرب والأوربيون في تحديد مكان عيذاب ، والراجع أنها تقع إلى الجنوب من -

( ٤ ) ويأتى بعد ذلك العامل الاقتصادى فى دفع صلاح الدين إلى القضاء على نفوذ بنى الكثر فى منطقة عيذاب وساحل البحر الأحمر . ذلك أن سيطرة صلاح الدين على هذه المنطقة تتيح له الإشراف التام على تجارة البحر الأحمر . وكان هذا الأمر يمثل حرجا زاوية فى السياسة الاقتصادية التى وضعها للبلاد ، وخاصة بعد أن انصرف التجار الأوربيون إلى أسواق الشام بعد استقرار الصليبيين بها .

وكان لغير عيذاب قد ازدهر وأصبح الميناء الرئيسى لمسوقاقل السفن التى تحمل تجارة الشرق الأقصى منذ أوائل القرن الرابع الهجرى ، وذلك حين أخذت موانئ هذا البحر تستعيد مكانتها القديمة التى كانت لها قبل سقوط الدولة الأموية وقيام الخلافة العباسية ببلاد العراق . وهذا التحول إنما يرجع إلى قيام ثورة الزنج فى العراق ، وثورة القرامطة فى البحرين ، كذلك يرجع إلى تشجيع الأسرة الزيدية ، التى كانت تحكم اليمن وقتئذ ، للتجار الهنود والصينيين على القدوم إلى عدن ، ومنها كانت تنقل بضائعهم — بواسطة الجلاب — إلى كل من جدة على الساحل الشرقى و عيذاب والقصير على الساحل الغربى <sup>(١)</sup> .

وزادت أهمية عيذاب التجارية فى العهد الفاطمى ، بسبب السياسة الاقتصادية الرشيدة التى انتهجها الفاطميون مع التجار الأوربيين ، التى أدت إلى تسابق هؤلاء التجار إلى أسواق مصر <sup>(٢)</sup> . وأدى نشاط الحركة التجارية بين مصر وأوروبا على هذا النحو ، إلى نشاط الحركة التجارية بين عيذاب والشرق الأوسط والأقصى مما ترتب عليه ازدهار عيذاب فى العصر الفاطمى <sup>(٣)</sup> .

ولما ولى صلاح الدين أمر مصر ، لم تحف عليه أهمية عيذاب كقاعدة رئيسية لتجارة مصر فى البحر الأحمر فعمل على فرض سيطرة الدولة عليها ، وعمل أيضا على القضاء على الأخطار

= غرائب بيرانيس القديمة التى تقع على خط عرض ٢٤ أو ٢٣ و ٥٠° ، تقريبا من رأس بنباس الحالية — انظر أحمد دراج : عيذاب ، مقال بمجلة نهضة أفريقية ، وزارة الثقافة ، القاهرة ١٩٥٨ ، المجلد التاسع ، ص ٥٥-٥٤ .

( ١ ) كانت الموانئ الرئيسة لمسوقاقل السفن التى تحمل تجارة الشرق الأقصى تنبذ بها لغيريات الحوادث السياسية فى الشرق الأوسط . وكانت على التوالي : القلزم ، ثم عيذاب والقصير ، ثم الطور ، وأخيرا جدة ( أحمد دراج : عيذاب ، ص ٥٦ ) .

( ٢ ) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٤٩-٢٥١ .

( ٣ ) أحمد دراج : عيذاب ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

التي كانت تهدد تجارة المرور بين الشرق والغرب عبر الأراضي المصرية ، وبالتالي تهدد نشاط عيذاب<sup>(١)</sup>.

ومهما كانت الأسباب التي من أجلها قرر صلاح الدين القضاء على إمارة بني الكثر ، فإن بني الكثر لم يرضخوا لإرادة صلاح الدين ، وقاموا بالتأليب بالثورة ضده .

ويذكر ابن شداد ، أن كثر الدولة استغل تجمع كل العناصر الساخطة لديه من المصريين والسودان ، وجمعهم تحت لوائه بقصد إعادة الدولة الفاطمية . وفي هذا الصدد يقول : « الكثر إنسان مقدّم من المصريين ، كان قد نزح إلى أسوان فأقام بها ولم يزل يدبر أمره ويجمع السودان عليه ويخيل لهم أنه يملك البلاد ويعيد الدولة المصرية . وكان في قلوب القوم من مهاواة المصريين ما تستصغر هذه الأفعال عنده ، فاجتمع عليه خلق كثير وجمع وافر »<sup>(٢)</sup>.

كما يشير كل من ابن خلكان ، والمقريزي ، وأبي المحاسن إلى التفاف المصريين حول كثر الدولة تحقيقاً لذلك الهدف . فابن خلكان يقول : « إن الكثر جمع بأسوان خلقاً كثيراً من السودان وزعم أنه يعيد الدولة المصرية ، وكان أهل مصر يؤثرون عودهم ، فانضافوا إلى الكثر المذكور »<sup>(٣)</sup> . ويقول المقريزي : « إن كثر الدولة استطاع بإغراء المال أن يجمع حوله أعداداً من المصريين »<sup>(٤)</sup> . وأما أبو المحاسن فيردد تقريباً نفس العبارة السابقة عن ابن خلكان مما يوحى بأنه نقلها عنه<sup>(٥)</sup>.

ونستطيع أن نستخلص مما ذكره هؤلاء المؤرخون أن الشعور القوي هو الذي حرك المصريين ضد صلاح الدين . ذلك أن صلاح الدين بانتزاعه الإقطاعات من المصريين وأنباع

(١) شهد عهد صلاح الدين ازدياد نشاط التجار المسلمين الذين عرفوا بالتجار الكارية في نقل تجارة الشرق الأقصى وخاصة تجارة البهار والتوابل من عدن إلى عيذاب ، كما شهد عصره أيضاً عودة التجار الأوربيين ، ولاسيما الإيطاليين ، إلى التردد على الموانئ المصرية بالبحر الأبيض . وعقد صلاح الدين ثلاث معاهدات مع الجمهوريات الإيطالية الثلاث ، وشاهد الرحالة ابن جبير أثر هذه السياسة الاقتصادية الحكيمة عند وصوله إلى الإسكندرية عام ٥٧٩ م (١١٨٣) (أحمد دراج : عيذاب ، ص ٥٨) .

(٢) ابن شداد : التوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، طبعة بولاق ١٢٨٧ هـ ، ص ٣٧ .

(٣) وفيات الأعيان ، ج ٦ ، ص ١٦٥ .

(٤) السلوك ، القسم الأول ، الجزء الأول ، ص ٥٧ .

(٥) النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٢٤ - يقول أبو المحاسن (بلغ صلاح الدين أن إنساناً جمع بأسوان خلقاً كثيراً من السودان وزعم أنه يعيد الدولة المبيدة المصرية ، وكان أهل مصر يؤثرون عودهم ، فانضافوا إليه) .

الفاطميين ونوزيعها على الجند الصلاحية آثار عداة المصريين ؛ فضلا عن أن المصريين نظروا إلى الجند الأسدية والجند الصلاحية بوصفهم جندا أكرادا غرباء عن البلاد .

وبدأت أحداث الثورة ضد صلاح الدين حين قام أميرهم كثر الدولة بن المتوج بالمهجوم في أوائل سنة ١١٧٤/٥٧٠ م على أخى أبى الميجاء السمين ، الحاكم الجديد لهذه المنطقة ، وقتله ؛ كما قتل في هذا الهجوم عددا آخر من كان مع أخى أبى الميجاء ، من أمراء صلاح الدين<sup>(١)</sup> . وأخذ كثر الدولة بعد ذلك في إعداد جيشه لمحاربة قوات صلاح الدين ، فاجتمع عليه من رعية البلاد والسودان والعرب وغيرهم خلق كثير<sup>(٢)</sup> . وكانت طلائع هذا الجيش من مهبى ثورق مؤمن الخلافة وعمارة اليمنى من الجنود المصريين والسودان<sup>(٣)</sup> وغيرهم من أمر صلاح الدين بترحيلهم إلى أقصى الصعيد بعد قتل ثورة عمارة اتجنى<sup>(٤)</sup> .

وقد اتفق قيام ثورة كثر الدولة على صلاح الدين مع انشغاله برد هجوم أسطول كبير للفونج على الإسكندرية . وهذا الأسطول الذى كان يتكون من مائتى وأربع وعشرين سفينة أرسله وليم الثانى ، ملك صقلية . بقيادة ابن عمه تانكرد كونت ليتشى ، لمهاجمة الإسكندرية<sup>(٥)</sup> . كما إتفق قيام ثورة كثر الدولة مع قيام ثورة أخرى في داخل البلاد قام بها رجل يعرف باسم عباس بن شادى عند بلدة طود بالصعيد<sup>(٦)</sup> .

- (١) ابن شداد : التوادر ، ص ٣٧ .  
 - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٦ ، ص ١٦٥ .  
 - المقرئى : السلوك ، القسم الأول ، الجزء الأول ، ص ٥٧ .  
 - أبو الحسن : الفجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٢٤ .  
 (٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٨٦ .  
 (٣) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٣٥ .  
 (٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٨٠ .  
 - أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٢١-٢٢٢ .  
 - ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار رضى أيوب ، نشر جمال الدين الشيبان ، القاهرة ١٩٥٣ ، ج ١ ، ص ٢٥٠ .  
 - المقرئى : السلوك ، القسم الأول ، الجزء الأول ، ص ٥٤ .  
 (٥) دونسيان : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريق ، بيروت ١٩٦٨ ، ج ٢ ، ص ٦٥٠ .  
 (٦) طود ، قرية من قرى الصعيد القديمة بمركز الأقصر ، وهي لا تزال موجودة حتى الآن (عبد رزق : القاموس الجغرافى ، القاهرة ١٩٦٣ ، القسم الثالث ، الجزء الرابع ، ص ١٦٢ ) .

وليس لدينا من الحقائق ما يثبت وجود صلة بين هذه الثورة وثورة كتر الدولة. فكل ما نعرفه عن هذه الثورة أن السبب المباشر لقيامها هو نفسه الذي أدى إلى ثورة بني الكتر ضد صلاح الدين. فقد كان عباس بن شاذي من مقدى الديار المصرية في الفترة الأخيرة من الخلافة الفاطمية، وقام صلاح الدين بمصادرة أقطاعه وجردّه من سلطته في بلاده، كما فعل بكتر الدولة.

ومن المؤرخين من يذكر اسم كتر الدولة مقروناً باسم عباس بن شاذي، أي أن كتر الدولة هو عباس بن شاذي. ومن هؤلاء أبو الفداء - وإلى القارئ نص ما يذكره في هذا الصدد: «مما عوّق الناصر عن الشام أن رجلاً يعرف بالكتر، سماه بعضهم عباس بن شاذي، وكان من مقدى الديار المصرية والدولة الفاطمية، كان قد استند إلى بلد يقال له أسوان وجعل يجمع عليه الناس فاجتمع عليه خلق كثير من الرعايا ومن الخاضعة والعربان والرعيان. وكان يزعم إليهم أنه سيعيد الدولة الفاطمية، ويدحض الأتابكة التركية، فالتف عليه خلق كثير ثم قصدوا قوص وأعمالها وقتل طائفة من أمرائها ورجالها»<sup>(١)</sup>.

غير أن ما ذكره أبو شامة - في هذا الصدد - يتضح منه أن ابن شاذي شخص آخر غير كتر الدولة. وفي هذا يقول: «قال ابن أبي طي: وافق أيضا أن خرج بقرية من قرى الصعيد يقال لها قوص، رجل يعرف بعباس بن شاذي وثار في بلاد قوص ونهبها ونخر بها وأخذ أموال الناس. واتصل ذلك بالملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب، وكان السلطان قد استنابه بمصر، فجمع له العساكر وأوقع به وبدد شمله وفض جموعه وقتله. ثم قصد بدمه كتر الدولة الولى بأسوان»<sup>(٢)</sup>.

هنا يتحدثنا التلقشندى عن مكانة بني شاذي بالصعيد فيقول: «إن إمرة العربان بنواحي الديار المصرية بالوجه القبلي في عمل قوص كانت في بيتين من قضاء بن حمير بن سبأ من القحطانية، أوطا: بنو شاذ المعروفين ببني شاذي، وكانت منازلهم بالقصر الخراب، المعروف بقصر بني شاذي بالأعمال القوصية، وقيل لهم من بني أمية بن عبد شمس من قریش»<sup>(٣)</sup>.

(١) أبو الفداء: البداية والنهاية في التاريخ، القاهرة ١٩٣٩، ج ١٢، ص ٢٨٨، ٢٨٧.

(٢) الروضتين: ج ١، ص ٢٣٥.

(٣) صحب الأمتى: ج ٤، ص ٦٧.

ونستخلص مما ذكره أبو شامة والقلقشندي أن ثورة كثر الدولة ثورة منفصلة عن ثورة ابن شادى ، وأنه لا صلة هنالك بين الثورتين سوى التوافق في وقت الخروج ؛ الأمر الذى أدى إلى حدوث نوع من العمل العدائى المشترك ضد صلاح الدين . وتبجلى ذلك في توجه كثر الدولة بن المتوج بقواته مسرعاً إلى بلدة طود بعد أن عرف بثورة ابن شادى ، ليشارك معه في مواجهة قوات صلاح الدين التى جردها ضد ابن شادى بقيادة أخيه الملك العادل سيف الدين أبو بكر<sup>(١)</sup> .

غير أن القوات الأيوبية وصلت إلى طود والتقت بقوات ابن شادى قبل أن تلحق بها قوات بنى الكثر . وهناك دارت معركة كبيرة انتهت بقتل ابن شادى وهزيمة قواته هزيمة ساحقة . وأُتيحت القوات الأيوبية هذا الانتصار بالإغارة على بلدة طود فخربتها وأنزلت السيف في أهلها<sup>(٢)</sup> .

وربما تغير الموقف واختلفت النتائج لو أن الوقت قد أسعف القوتين الثائرتين وسمح لهما أن يتحدا في معركة واحدة ضد قوات الملك العادل . لكن سرعة تحرك الملك العادل ساعدته على أن يجهز أولاً على قوات ابن شادى ثم يثنى بقوات بنى الكثر . فبعد انتصار الملك العادل على قوات بنى شادى ، دخل في معركة ثانية مريرة مع بنى الكثر عند مشارف بلدة طود .

واختلف المؤرخون في تحديد تاريخ هذه المعركة الثانية . فيذكر ابن الأثير ، وابن شداد ، وأبو شامة ، والنويرى ، وابن فضل الله العمري ، والمقرئى أن تاريخ المعركة هو سنة ٥٧٠هـ<sup>(٣)</sup> . واتفق كل من سبط بن الجوزى ، وابن العماد ، وأبى

(١) ابن أبيك : كثر الدرر وجامع الفرر ، مخطوطة ، مصورة بمكتبة جامعة القاهرة ، رقم ٢٥٧٨ ، ج ٧ ، ورقة ٤٣ .

- القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٦٦ .

(٢) يقول في ذلك أبو شامة (الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٣٥) : « وأسرفت قبيلة إليها (طود) ورجا بقتل وأل السيف حل أهلها وبلدت بعد هزماً بليتها » .

(٣) انظر : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٨٦ .

- التوادر السلطانية ، ص ٢٦٩ .

- الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٣٥ .

- نهاية الأرب ، مخطوطة ، ج ٢٦ ، ورقة ١١١ .

المحاسن على أن تاريخ المعركة هو سنة ٥٧٢ هـ<sup>(١)</sup>. وأما ابن ميسر فقد انفرد بقوله إن المعركة كانت سنة ٥٦٩ هـ<sup>(٢)</sup>.

والراجع أن سنة ٥٧٠ هـ هي سنة هذه المعركة ، وذلك لانفاق عدد كبير من المؤرخين على هذا التاريخ .

هذا ولم نعطنا هذه المصادر التاريخية تفصيلات مطولة عن هذه المعركة ، إلا أن جميعها تتفق في أن نتيجتها كانت الهزيمة الساحقة لقوات بني الكثر وتل كثر الدولة نفسه وعدد كبير من قواته<sup>(٣)</sup>. ويبالغ بعض المؤرخين فيذكر أن كثر الدولة فقد في هذه المعركة ثمانين ألف من مائة ألف كانوا معه<sup>(٤)</sup>.

وكيفما كان الأمر فإن هذا الانتصار الحامى الذى حققه الملك العادل على قوات كثر الدولة قد حدد مصير إمارة بني الكثر عند أسوان ، ولم يبق أمام أمرائها إلا أحد طريقين : إما أن يحاولوا تجميع صفوفهم من جديد ليقوموا بمحاربة قوات صلاح الدين ويندووا عن إمارتهم التى حققوا فى ظلها السلطة والجاه ، وإما أن يستسلموا لإرادة السلطان ويتخلوا عن هذه الإمارة بسبب الظروف الجديدة ويرحلوا إلى منطقة أخرى يعاودون فيها بناء إمارتهم من جديد .

وقد اختار بنو الكثر الطريق الثانى وفضلوا الرحيل إلى بلاد النوبة النشالية ، ذلك أنه لم يعد هناك ما يغريهم فى البقاء عند أسوان . فالدولة الفاطمية التى كانوا ينعمون

- مسالك الأبيصار ، مخطوطة ، ج ١٦ ، القسم الأول ، ورقة ٣٥٤ .
- السلوك ، القسم الأول ، الجزء الأول ، ص ٥٧ .
- (١) - انظر : مرآة الزمان ، مخطوطة ، ج ٨ ، ورقة ٢١٤ .
- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، طبعة بولاق ، ١٣٥٠ هـ ، ج ٤ ، ص ٢٤١ .
- التاجم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٧٨ .
- (٢) - تاريخ مصر ، نشر حنفى ماسيه ، القاهرة ١٩١٩ ، ص ٢٥ .
- (٣) - ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٨٧ .
- أبو شامة : البروقتين ، ج ١ ، ص ٢٣٥ .
- (٤) - إبراهيم الخليل : شفاء القلوب فى مناقب بنى أميؤب ، مخطوطة ، مصورة بمكتبة جامعة القاهرة ، رقم ٢٤٠٣١ ، ورقة ١٩ ب .
- سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، مخطوطة ، ج ٨ ، ورقة ٢١٤ .



بالأمان والاستقرار في كنفها قد سقطت وزال خيرها ، وناجم ذهب العلاق التي كانت مصدر ثروتهم وغنائم قد نصب مميها . فناجم ذهب العلاق كانت قد بدأت تنضب منذ سنة ٦١٥ هـ ١١٢١ م ، ولذلك أخذ الذهب الذي كان يستخرج منها يشع في في أواخر الدولة الفاطمية <sup>(١)</sup> .

## ٢ - علاقة بني الكتز بسلطين الأيوبيين بعد صلاح الدين :

لم يرد في المصادر التاريخية أى ذكر لأحداث جرت بين سلطين الأيوبيين بعد صلاح الدين وبين بني الكتز ، كما أنه لم يرد أى ذكر لأحداث جرت بين ، سلطين الأيوبيين وبين مملكة النوبة المسيحية اللهم إلا الأحداث التي سبق ذكرها في عهد صلاح الدين .

ويبدو أنه لم تكن هنالك أحداث تسترعى أنظار المؤرخين المعاصرين في تلك الحقبة من العلاقة بين مملكة النوبة المسيحية وبين دولة الأيوبيين . هذا ويمكن أن يفسر صمت المصادر التاريخية - في هذا الصدد - في ضوء العوامل الآتية :

أن بني الكتز قد آثروا - كما رأينا - الرحيل إلى بلاد النوبة الشمالية تاركين إمارتهم عند أسوان لتصبح إقطاعاً حريباً لتوران شاه ، ومنذ أن رحلوا إلى هذه البلاد الجديدة وضعوا نصب أعينهم بناء إمارة ثانية لهم هناك متبعين في بنائها نفس السياسة ، القديمة التي اتبعوها في بناء إمارتهم الأولى في وادى العلاق وعند أسوان . وتتلخص هذه السياسة في اختلاطهم بالأهالى والاندماج التام معهم عن طريق المصاهرة ليتبوؤوا مركز الزعامة بينهم ، مستفيدين في ذلك من نظام الوراثة عندهم .

ولتنفيذ هذه السياسة كان بنو الكتز في حاجة إلى فترة هدوء واستقرار تكفل لهم ، الأمان على مدى طويل . لذلك انقطعت صلتهم بمصر طوال العهد الأيوبي ، فلم يفكروا طوال ذلك العهد في التأثير لمزيمتهم أو استعادة إمارتهم القديمة . ومن ثم لم يكن بنو الكتز خطراً يهدد الأيوبيين من ناحية الجنوب ، كما لم يكن الأيوبيون من جهتهم - في ، حاجة إلى تتبع بني الكتز في بلاد النوبة واستئصال شأفتهم .

(١) - من مناجم الذهب في وادى العلاق ، انظر الباب الرابع .

كذلك لم يفكر الأيوبيون في القضاء على مملكة النوبة المسيحية التي كان قد خضع أمرها في ذلك الوقت وتمزقت أوصالها بسبب الصراع بين أمراء بيتها المالك ، وبسبب الهجرات العربية المتزايدة إلى بلادها<sup>(١)</sup> . ففضلا عن أنه لم يكن هنالك جديد يغري الأيوبيين بفتح بلاد النوبة بعد أن عرفوا فقر هذه البلاد وقلة خيراتها بعد الحملة التي جردها ضدها توران شاه ، فإن الأيوبيين كان لديهم من المشاكل الداخلية والخارجية ما صرفهم عن التفكير في ذلك .

فقد كانت الصراعات والانقسامات الداخلية تمزق البيت الأيوبي . فن المعروف أن تاريخ هذا البيت ، بمصر والشام ، منذ السنة التي توفي فيها صلاح الدين ( ٥٨٩ هـ / ١١٩٢ م ) حتى سنة وفاة الصالح نجم الدين أيوب ( ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م ) ليس سوى سلسلة طويلة من المؤامرات والحروب الأسرية<sup>(٢)</sup> .

وفضلا عن ذلك كان الأيوبيون مشغولين بالخطر الصليبي . فقد ظل الصليبيون ، بالشام طوال العصر الأيوبي خطراً يهدد الأيوبيين ويستنزف كل جهودهم . ولم يكن من الحكمة أن يفتح الأيوبيون ضدهم جبهة صليبية أخرى في الجنوب تكون النوبة والحيشة طرفاً فيها .

هذا وقد ظهرت في أوروبا ، في ذلك الوقت ، فكرة إقامة حلف صليبي تشترك الحيشة فيه للإطباق على مصر من الشمال والجنوب . كما ظهرت فكرة إمكانية تحويل مجرى نهر النيل عن مصر وحرمانها من مياهه<sup>(٣)</sup> .

وعلى الرغم من أن المصادر الأوروبية التي تحدثت عن هذا المشروع الصليبي مع الحيشة ضد مصر ، لم تذكر صراحة بلاد النوبة ولم تتحدث عن دورها في هذا المشروع ، إلا أننا نستطيع أن نستخلص من العديد من الشواهد التاريخية في النصوص الوسطى أن الأحباش أو « الحيوش » كان يقصد بهم في ذلك الوقت النوبيون والأحباش . ومعنى

( ١ ) حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام والنوبة فيما يلي الصراعات ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ١٠٣ .

— Arkell: A History of the Sudan, P. 195.

— Budge, E.A.W., A History of Ethiopia, Vol. 2, P. 118.

( ٢ ) السيرة الجيازية للمصريين : مصر في عصر الأيوبيين ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١٠٧ .

— DARAG: L'Égypte Sous le Règne de Darsay, P. 285.

( ٣ )

هذا - بالنسبة لموضوعنا - أن سلاطين الأيوبيين ، والمماليك من بعدهم ، كان عليهم أن يعملوا على إحباط هذا المشروع بالنسبة لبلاد النوبة ، وأن يحرصوا على إقامة العلاقات الطيبة معها ما وسعهم ذلك .

فحتى بداية القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي - كان يقصد بكلمة الأحياش النوبيين والأحباش ، ذلك أن مفهوم كلمة الحبشة كان غامضاً ، طوال ذلك الوقت ، عند الأوربيين بسبب ارتباط بلاد الحبشة في العصور الوسطى بالأساطير التي نسجت حول اسم « برسترجون Prestre John » الذي أطلقه الأوربيون على ملك الحبشة ، والذي توهموا أنه يحكم إمبراطورية شاسعة تضم معظم أراضي آسيا وأفريقية<sup>(١)</sup> . كذلك بسبب ما اعتاد الحجاج الأوربيون مشاهدته ، عند زيارتهم للقدس الشريف ، من نزول النوبيين مع الأحباش في دير واحد عرف بدير الأحباش<sup>(٢)</sup> .

وإننا لنجد ملوك أوروبا وحكامها في العصور الوسطى يقرنون ، في بعض الأحيان ، اسم النوبة بالحبشة في مشروعاتهم الصليبية . فنجد الفونسو الخامس ، ملك البرتغال ، بمنح في ٧ يونيو ١٤٥٤ طائفة الرهبان اليسوعيين ( الجزويت ) التي يرأسها هنري الملاح الولاية الروحية على بلاد النوبة والحبشة<sup>(٣)</sup> .

كذلك تشير بعض كتب الرحالة الأوربيين إلى أن النوبة من ممتلكات برسترجون ملك الحبشة ، ومن هذه الكتب كتاب الرحالة الجنوي أنطونيو أوسو دي Antonio Uso di Mare الذي كتبه سنة ١٤٥٥ . وقد ورد في هذا الكتاب أن برسترجون هو إمبراطور

(١) ظهر اسم « برسترجون » أو « برترجان Prêtre Jean » على مسرح الأحداث واقترب بأساطير كثيرة في روما منذ سنة ١١٢٢ م ، في عهد باباوية كاليكستوس الثاني . وزادت شخصيته شهرة بعد الخطاب الذي أرسله إلى الإمبراطور البيزنطي مانويل Manuel في سنة ١١٦٥ م ، وأدعى فيه أنه أعظم ملوك الأرض وأنه يتحكم في عاك ٧٢ ملك كلهم أتباعه ، وأن إمبراطوريته تضم بلاد الهند الثلاثة . هذا ولم يتحدد للأوربيين حدود إمبراطورية برسترجون الحقيقية إلا سنة ١٥٢٠ بعد الرحلة التي قام بها دوم رودريجو دالينا Dom Rodrigo Dalima إلى بلاده وبقاته هناك مدة خمس سنوات

Rosa, E. Denson: «Prester John and the Empire of Ethiopia - Newton, Travel and Travellers of the Middle Ages, London 1949, P. 194.

(٢) DARRAG: Op. Cit, P. 185.

(٣) أحمد حجاج : المماليك والفرنج ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٨٥ ، ٨٦ .

وبطريك النوبة والحبيشة وهو يسمى بعبد الصليب<sup>(١)</sup>.

هذا وورد أيضاً في بعض الكتابات العربية ما يفهم منه أن لفظة الأحباش أو الحبش تعني كلا من الأحباش والتوبيين. مثال ذلك ما أورده أبو صالح الأرميني بصدد حديثه عن كرياتكوس ملك النوبة مدعياً أنه ملك النوبة والحبيشة<sup>(٢)</sup>. كذلك ما ورد في مرسوم السلطان الغوري الصادر في المحرم ٩١٩ هـ / ٥١٣ م الخاص بتقرير الإمتيازات والاعفاءات الممنوحة لطوائف الرهبان المسيحيين الشرقيين<sup>(٣)</sup>.

هذا وقد نشأت فكرة التحالف الأوربي الحبشي سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م. وكان ذلك بعد فشل الحملة الصليبية الخامسة على دمياط، إذ أرسل جاك دي فترى Jacques de Vitry أسقف عكا رسالة إلى ملك الحبشة يدعوه إلى الانضمام لهذا الحلف من أجل إنقاذ الأماكن المسيحية المقدسة من يد المسلمين والاتفاق معه على حملة صليبية مزدوجة ضد مصر من الشمال والجنوب في وقت واحد تشترك فيها الحبشة. ومن الطبيعي أن ملكة النوبة المسيحية بوصفها المدخل إلى مصر من ناحية الجنوب لابد وأن يكون لها دور فعال في هذا المشروع المقترح<sup>(٤)</sup>.

على أن تحقيق هذا المشروع لم يقدر له أن يتم في عهد الأيوبيين ولا في عهد المماليك بسبب صعوبة تنفيذه<sup>(٥)</sup>. وذلك على الرغم من أن ملوك الحبشة وملوك الفرنج حاولوا عدة مرات بحث إمكانية تحقيقه<sup>(٦)</sup>.

(١) يذكر أنطونيوس بصد حديثه عن هزيمة حلت ببرسرجون أن برسرجون إمبراطور ويطريك النوبة والحبيشة التسمى النسي بعبد الصليب Abet Selip فقد بعد هزيمته على يد كاستيجان خاي كاتاي (بلاد الخطا) في معركة سهل تشنشي في كاتاي سنة ١١٨٧ م، سخط ممتلكاته في آسيا ولم يتبق له بعد هذه الهزيمة سوى بلاد الحبشة والنوبة التي يكثر بها الذهب والفضة.

— Ross: Prester John, pp. 185-187 — Charles De La Roncière: Op. Cit., II, p. 122.

(٢) يقول أبو صالح الأرميني (تاريخه، ص ٢٦٧، ٢٦٨): «أن ملك الحبشة والنوبة كرياتكوس سار لغزو مصر سنة ١٣٨ للهجرة ومعه مائة ألف فارس وغرب ودمر بلاد حميد مصر».

(٣) ينص المرسوم على إعفاء جميع طوائف الرهبان المسيحيين الشرقيين من رسوم الحج، وهذه الطوائف هي الملكانيين واليمانية والموريجان والحبوش والكوج (انظر المرسوم في وثائق دير صهيون، ص ١١٤).

(٤) — De La Roncière: Le Decouverte de L'Afrique, Tome I, pp. 57-58.

(٥) — DARRAG: Op. Cit., P. 339, n.4; — Ross: Op. Cit., p. 180.

(٦) — عن هذه المشروعات الصليبية التي كانت تقوم على قيام الحبشة بهجوم صليبي على مصر من ناحية —

وليس ثمة شك في أن ظهور فكرة تحالف صليبي مع النوبة والحيشة منذ سنة ١١١٩م / ١٢٢٢ م ، دفع الأيوبيين إلى الحرص على قيام العلاقات الطيبة معها للحيلولة دون تنفيذ المشروع الصليبي . واقتضى هذا الأمر منهم معاملة الحجاج المسيحيين ، وخاصة النوبيين والأحياش معاملة طيبة . وكان الحجاج الأحياش يتمتعون بامتيازات خاصة أثناء قيامهم بتأدية فريضة الحج بالأراضي المسيحية المقدسة منذ عهد صلاح الدين<sup>(١)</sup> ، كذلك شمل صلاح الدين دير الأحياش في بيت المقدس قرب كنيسة القيامة وديارنه بعطفة ورعايته<sup>(٢)</sup> .

وتأتى هذه المعاملة الخاصة للأحياش والنوبيين في إطار المعاملة الطيبة التي حرص سلاطين الأيوبيين والمماليك منذ صلاح الدين على معاملة الحجاج المسيحيين بها ، شرقيين وغربيين . فقد قرر صلاح الدين حين عقد معاهدة الصلح مع ريتشارد قلب الأسد في ٢٢ شعبان ٥٨٨هـ / ٢ سبتمبر ١١٩٢ حق المسيحيين في الحج إلى كنيسة القيامة دون جباية رسوم منهم<sup>(٣)</sup> .

١ - الخروب في الوقت الذي يقوم فيه الصليبيون بالهجوم عليها من ناحية الشمال :

- Wiet: Les Relations... من هذه المحاولات في القرنين الثالث عشر والرابع عشر انظر Egypto-Abyssines sous Les Sultans Mamlouks, Extraits du Bulletin de la Société D'Archéologie Copte, T. IV, 1938, pp. 121-122. 122.

- Darrag: L'Egypte sous le regne de Barsby, P. 211. : عن المحاولة في عهد برباي سنة ٨٢١هـ .

- من بقية المحاولات طوال القرن الخامس عشر : أحمد دراج : المماليك والقرن ، ص ٤٩ - ٥٤ ، ٦٩ - ٨٤ .

- وقد ظلت هذه المشروعات مطروحة كبحث إلى أن نجح البرتغاليون في أواخر القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي في الوصول إلى الهند ، والاتصال ببلاد الحيشة .

(١) عن هذه الامتيازات التي كان يتمتع بها حجاج الأحياش بالأراضي المسيحية المقدسة انظر :

Darrag: L'Egypte sous Le regne de Barsby, pp. 285-286.

(٢) - Atiya, A.S.: A History of Eastern Christianity, London 1968, P. 157.

(٣) انظر ، عن هذه الرسوم ومعاملة الحجاج المسيحيين ، منذ صلاح الدين حتى العوي ، وثائق دير صهيون ، ص ٧٢ - ٧٣ ، ١٥٤ .

## ب- علاقة بني الكنز بالمماليك

١- وضع بني الكنز في بلاد النوبة مع بداية قيام دولة المماليك بمصر :  
نجح بنو الكنز بعد أن رحلوا عن أسوان ، وبعد قرابة قرن ونصف من الزمان ، في إقامة إمارة ثانية لهم في بلاد النوبة الشمالية . وقد تم لهم ذلك بعد أن ورنوا عرش مفرّة المسيحية . ومما ساعدهم على تحقيق ذلك الهدف عاملان رئيسيان :

أولاً : قدرتهم على الاندماج مع أهالي هذه البلاد ، والاستفادة من نظام الوراثة عندهم . وفي بلاد النوبة نفذ بنو الكنز نفس السياسة التي قاموا بتنفيذها في بلاد البجة ، فأقاموا بحوار النوبيين ، ثم اختلجوا بهم نتيجة الحوار في المسكن ، وبعد ذلك اندمجوا معهم بالمصاهرة . وأدت هذه المصاهرة إلى وجود أجيال مختلطة فقدت مع مضي الزمن اللغة العربية وأصبحت تتكلم باللهجة النوبية .

واستفادت هذه الأجيال الخلطة من نظام الوراثة عند النوبيين الذي يعطى حق الوراثة لابن البنت أو ابن الأخت دون ولد الصاب ، وهو نفس نظام الوراثة المطبق بين قبائل البجة<sup>(١)</sup> .

ثانياً : اشتراكهم في الحملات العسكرية التي وجهتها مصر المملوكية ضد بلاد النوبة واستفادتهم من ذلك في تدعيم نفوذهم في تلك البلاد .

وكان هناك عاملان يدفعان السلطات المملوكية لتجريد الحملات ضد بلاد النوبة وهما :

( ١ ) موضوع البقط ، وكان ملوك النوبة كثيراً ما كانوا يمتنعون عن دفعه إلى مصر ، الأمر الذي كان يدفع سلاطين المماليك لإرسال قواتهم إلى بلاد النوبة لإرغام ملوكها على دفعه .

( ١ ) ذكر أبو صالح الأرمي ( ص ١٢٥ ) : « أن عادة النوبة جارية بأنه إذا مات ملك دخلت ولد وكان له ابن أخت فيملك بعد حالة دون ولد الملك . وإن لم يكن له ابن أخت يملك ولده بعد بلاد النوبة » .

(ب) غارات النوبيين المتكررة على حدود مصر الجنوبية بقصد السلب والنهب والتدمير ، وهذا كان يدفع سلاطين الممالك إلى الرد على هذه الغارات بغارات انتقامية على بلاد النوبة .

ولذا استمرت الحرب سجالات بين مملكة مقرة المسيحية ببلاد النوبة وبين مصر المملوكية ، الأمر الذي انتهى بضعف بيتها الحاكم ثم انهيارها . وفي الوقت الذي بدأت فيه مملكة مقرة تضعف وتنهار ، كان قد مضى على بني الكنتز قرن ونصف أو أكثر ، تمت فيه عملية الاندماج والمصاهرة على المستوى الشعبي ، وعلى مستوى البيت المالك . وهذا أدى عمليا إلى أن يرث بنو الكنتز عرش المملكة ويكونون دولتهم الثانية .

#### ٢ - بنو الكنتز والحملات المملوكية على النوبة :

قصد السلطان الظاهر بيبرس إحكام سيطرة الدولة المملوكية على الساحل الأفريقي للبحر الأحمر ، فقام بالاستيلاء على ميناء سواكن سنة ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥ م وأبقى بها حامية مملوكية . وتم له ذلك حين أرسل وإلى قوص - بناء على أمره - حملة عسكرية استولت على الميناء . وقد تعطل السلطان في إرساله لهذه الحملة بعدم استجابة ممتلك سواكن لاحتجاج أرسله إليه بسبب تعرضه لأموال من كان يتوفى بسواكن من التجار المصريين<sup>(١)</sup> .

ونتيجة عن استيلاء الممالك على ميناء سواكن أن فقدت مملكة مقرة ، وكذلك مملكة علوة منفذها على البحر الأحمر ، مما أضر بمصالحهما الاقتصادية وعزلهما عن العالم الخارجي ، ولا سيما الأراضي المقدسة بفلسطين<sup>(٢)</sup> . وكان هذا هو الدافع الرئيسي الذي دفع داوود ملك النوبة إلى مهاجمة ثغر عيذاب ومدينة أسوان سنة ٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م<sup>(٣)</sup> .

(١) مصطفى سمع : الإسلام والنوبة ، ص ١٤٤ .

(٢) مكي شيك : السودان عبر القرون ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٣٠ .

(٣) بالإضافة إلى هذا الدافع الرئيسي ، فقد كانت هناك دوافع أخرى تربط بالعلاقة بين النوبيين والعليبيين من جهة ، وبين النوبيين والقبط في مصر من جهة أخرى . وقد أشار إليها الدكتور مصطفى سمع في كتابه الإسلام والنوبة ، انظر ص ١٤٥ .

وكان تعرض ميناء عيذاب لهجوم ملك النوبة ، في ذلك الوقت ، يشكل خطرا ، مباشرا على مصالح مصر الاقتصادية . ذلك أن ميناء عيذاب كانت قد أصبحت منذ مطلع القرن الرابع الهجري المركز الرئيسى للنشاط التجارى المصرى ، في البحر الأحمر ، وقد ظلت تتمتع بهذا المركز التجارى الممتاز حتى بداية القرن التاسع الهجري ( الخامس عشر الميلادى )<sup>(١)</sup> . وبغضلا عن ذلك فقد ظل الحجاج المغاربة يفضلون طريق قوص - عيذاب - جدة حتى بعد أن قام السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٧ م بفتح طريق الحج عبر شبه جزيرة سيناء<sup>(٢)</sup> .

وردا على هجوم ملك النوبة على عيذاب وأسوان ، قامت القوات المملوكية بمهاجمة مملكة مقرة ، فأرسل الظاهر بيبرس حملة في نفس العام ( ٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م ) يقودها والى قوص ، تمكنت من الوصول إلى مدينة دنقلة ، ثم عادت أدرابها<sup>(٣)</sup> .

ويبدو أن الحملة لم تحقق كل أغراضها ، فبعد ثلاث سنوات أرسل السلطان حملة أخرى ، وجعل على رأسها أمير نوبى كان قد هرب إلى مصر ويدعى شكند<sup>(٤)</sup> . وكان شكند يطالب بعرش دنقلة من مغتصبه داوود ، ابن أخيه<sup>(٥)</sup> .

وبجانب هذا الأمير النوبى ، أرسل بيبرس على رأس الحملة قائدين من أكبر قواده . وفي هذه المرة الثانية انتصرت الحملة على قوات داوود ، بل تمكنت من أسر أمه وأخته وابنة أخيه ، الذين سيقوا إلى القاهرة مكبلين بالأغلال . أما داوود فإنه هرب من دنقلة إلى

(١) - أحمد دراج : عيذاب ، ص ٥٧ .

— Newbold: The Crusaders in the Red Sea and the Sudan, S.N.R., XXVI, Part II, 1945, P. 220.

(٢) - عن أمية عيذاب في هذه الفترة انظر الباب الرابع .

(٣) - المقرئى : السليك ، الجزء الأول - القسم الثانى ، ص ٦٠٨ .

(٤) - نول شكند سنه ١٢٧٥ و ١٢٧٦ م

Storia Della Nubia Cristiana, Orientalia Christiana Analecta, Rome 1938, P. 223).

- أطلق النوبى والمقرئى على شكند اسم شكند ، بينما أطلق عليه ابن خلدون اسم مرشكين ، أما القلقشنى فقد أطلق عليه اسم مرشكنز .

انظر نهاية الأرب ، خطبة ، ج ٢٨ ، ورقة ١٠٩ - السليك ، الجزء الأول - القسم الثانى ، ص ٦٢١ .

- البر ، ج ٤ ، ص ٤٠٠ - صبح الأمل ، ج ٤ ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

(٥) - القلقشنى : صبح الأمل ، ج ٤ ، ص ٢٧٦ .



مملكة علوة . غير أن ملكها قبض عليه وأرسله في أوائل سنة ٦٧٥ هـ / ١٢٧٦ م إلى نائب السلطان بالقاهرة الذي أمر بسجنه في قلعة الجبل حيث ظل سجيناً بها حتى ، أدركته الوفاة<sup>(١)</sup> . وأما شكتنه فقد أجلس على عرش دنقلة بعد أن أقسم بمين الولاء للدولة وتمهد بالانتظام في دفع البقط . كما تمهد بتنازله عن منطقة مريس نهائياً للدولة المملوكية وأقر بأن هذه المنطقة أصبحت منطقة خالصة للسلطان<sup>(٢)</sup> .

ومعنى سيطرة الدولة المملوكية على منطقة مريس ، أن تسيطر كذلك على بنى الكنتر في بلاد النوبة . ذلك أن أرض مريس هي المنطقة التي رحلوا إليها بعد هزيمتهم على يد قوات صلاح الدين ، واتخذوها قاعدة لبناء إمارة ثانية لهم في بلاد النوبة .

وفي منطقة مريس بدأ بنو الكنتر جهودهم لإعادة بناء إمارتهم الثانية وفقاً لأسلوبهم الذي اتبعوه من قبل في بناء إمارتهم الأولى بين قبائل البجة . فاختلطوا بأهالي تلك المنطقة واندمجوا معهم عن طريق المصاهرة ، وهذا مهّد لهم الوصول إلى مراكز السلطة . ويبدو أنهم استطاعوا أن يستولوا على قلعة الجبل ، أهم قلاع تلك المنطقة ، كما يبدو أن ملك دنقلة اضطر للاعتراف بنفوذهم في منطقة مريس ، كما اضطر إلى أن يعترف برئيسهم قائماً عنه في حكم قلعة الجبل .

وبما يؤيد هذا الرأي أن المصادر العربية ذكرت أن صاحب قلعة الجبل ، وقت أن هاجمها قوات بيبرس ، كان شخصاً يدعى قمر الدولة ، وهذا الاسم أو هذا اللقب العربي ، يبدو أنه كان اسم أمير بنى الكنتر في ذلك الوقت<sup>(٣)</sup> .

وقد سهّل قمر الدولة للقوات المملوكية مهمتها وهي في طريقها لمحاربة داوود ، كما أشرك قواته في هذه الحملة الزاحفة . ومكافأة له على هذا العمل أقره قائد الحملة المملوكية

(١) محمد جمال همين سرور : دولة الظاهر بيبرس في حصر ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١١٣ ، ١١٤ .

(٢) القزويني : نهاية للأرب ، غلطة ، ج ٢٨ ، ورقة ١٠٩ .

— المقرئ : السلك ، الجزء الأول - القسم الثاني ، ص ٦٢٢ .

— Quatremère: Histoire des Sultans Mamlouks de L'Egypte, Paris 1828, t. 1, 2ème partie P. 120.

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ، ص ١٠٠ .

— المقرئ : السلك ، طبعة يولا ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .

— Hamilton: The Egyptian Sudan, P. 53.

على ما كان تحت يده من بلاد النوبة . هذا ويفهم مما ذكره المقرئ في هذا الصدد أن نفوذ قمر الدولة كان قد شمل نصف بلاد النوبة . فـ « هذا يقول » ، ( لأنه لما وصل الأمير آفستقر الفارقاني إلى جزيرة ميكائيل ، أقر قمر الدولة صاحب الجبل - ويده نصف بلاد النوبة - على ما بيده )<sup>(١)</sup> .

وعندما مات شكند ملك النوبة سنة ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م - وهي نفس السنة التي تولى فيها السلطان قلاوون عرش مصر - خلفه شخص يدعى « برك »<sup>(٢)</sup> . وأولى برك بتعهداته للسلطان وانتظم في دفع البيط . وظل برك يحكم بلاد النوبة إلى أن قتله في سنة ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م شخص يدعى سيامون<sup>(٣)</sup> ، وانتزع منه عرش دنقلة ، كما أعلن عن نيته في عدم إرسال البيط إلى سلطان مصر . فإكان من السلطان قلاوون إلا أن جرّد ضده ، في هذه السنة ، حملة بقيادة الأمير علم الدين سنجر المعروف بالخياط ، وإلى القاهرة ، والأمير عز الدين الكوراني ، وجماعة من أجناد الولايات بالوجه القبلي . كما كتب السلطان إلى الأمير عز الدين أبدير السبي ، وإلى قوص ، بأن يشترك مع الحملة بما عنده من المماليك السلطانية وعربان الأقاليم ، وهم من أولاد بكر ، وأولاد عمر ، وأولاد شيبان ( وهم بطن من ربيعة ) ، وأولاد كنز الدولة ، وبني هلال ، وبني رئيس<sup>(٤)</sup> . ثم تقدمت هذه القوات المملوكية إلى بلاد النوبة حيث اشتبكت مع سيامون وأُزيلت به هزيمة ساحقة . غير أن سيامون استطاع أن ينجو بنفسه وأن يلوذ بالفرار إلى المنطقة الجنوبية من بلاده .

وما أن تحقق النصر للأمير علم الدين سنجر حتى قام بخلع سيامون من عرش المملكة وتوج بدلا منه ابن أخته<sup>(٥)</sup> . ولكي يدعم مركزه فقد ترك معه - عندما رحل عائدا إلى

(١) السلك ، الجزء الأول - القسم الثالث ، ص ٦٢٢ .

(٢) استريرك عل مرش دنقلة من سنة ١٢٧٩ حتى سنة ١٢٨٠ م ، أنظر :

— Storia Della Nubia, P. 223.

(٣) أطلق عليه ابن عبد الظاهر إسم سحمان ، أنظر ابن عبد الظاهر . تشریف الأيام والصور في سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٤٦ .

(٤) التويري : نهاية الأرب ، خطوطة ، ج ٢٩ ، ورقة ١١ .

— ابن خلدون : المعبر ، ج ٥ ، ص ٤٠١ .

(٥) لم يرد اسم هذا الأمير في أي من المصادر العربية أو الأوربية .

— ابن عبد الظاهر : تشریف الأيام والصور ، ص ٤٦ .

— المقرئ : السلك ، القسم الثالث - الجزء الأول ، ص ٧٥٣ .

القاهرة - عددا من رجال الحملة المملوكية . وقام هذا الملك الجديد - من جانبه - بأن أقسم بيمين الولاء للسلطان ، كما تعهد بالانتظام في دفع البقظ .  
غير أنه ما أن عادت القوات المملوكية إلى مصر حتى ظهر سيامون في دنقله ، ويجمع في أن يجمع عددا كبيرا من أتباعه ويكون منهم جيشا كبيرا استطاع بواسطته أن يهزم الحامية المملوكية الصغيرة التي تحصي الملك الجديد . وترتب على ذلك أن تمكن من استعادة عرش دنقله بعد أن هرب ابن أخته إلى مصر . ولهذا استدعى الأمر تجريد حملة مملوكية أخرى لمحاربة سيامون وإعادة ابن أخته إلى عرش دنقله .

ففي نفس العام خرجت حملة ثانية من القاهرة <sup>(١)</sup> ، بقيادة الأمير عز الدين أبيك الأفرم ومعه ابن أخت سيامون ، ثم انضم إليهم إلى قوص وعدد كبير من الأمراء وسائر أجناد المراكز بالوجه القبلي ونواب الولاية ، ومن عربان الوجهين القبلي والبحري عدة أربعين ألف رجل <sup>(٢)</sup> ، غير أنها ما أن وصلت أسوان حتى أدركت الوفاة أمير النوبة . وبعد أن دفعه قائد الحملة المملوكي في أسوان ، ولّى مكانه الأمير داوود الثاني <sup>(٣)</sup> ، وهو أحد أولاد أخت الملك السابق داوود ، والذي كان مقبلا بأسوان بالأبواب السلطانية <sup>(٤)</sup> .

كما انضمت فرقة من قوات بني الكثر إلى القوات الزاحفة على النوبة عند وصولها إلى منطقة مريس ، وكانت هذه الفرقة أقوى فرق هذه الحملة <sup>(٥)</sup> .

ويعزى الفضل الأكبر في نجاح هذه الحملة إلى بني الكثر ، ذلك أن أمراء بني الكثر كانوا يتقدمون القوات المهاجمة ويقومون بطمأنة أهل البلاد وتأمينهم ، كما كانوا يجهزون الإقامات والإمدادات للعسكر . ففي هذا الصدد يقول النويري ، « وانقسم العسكر إلى قسمين ، وكان مع الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار أولاد الكثر أمراء أسوان ، ليطمئنوا أهل البلاد ويؤمنهم ويجهزوا الإقامات للعسكر . فكان الجيش إذا وافى بلدا خرج من بها

(١) النويري : نهاية الأرب ، مخطوطة ، ج ٢٩ ، ورقة ١١ .

(٢) المقرئزي : السلوك ، القسم الثالث - الجزء الأول ، ص ٧٤٩ .

(٣) Storia Della Nubia, P. 223.

(٤) النويري : نفس المصدر السابق والصفحة .

- يذكر ابن خلدون أنه داوود ابن أمي مركنتين ( شكته ) ، انظر : العبر ، ج ٤ ، ص ٤٠١ .

(٥) ابن عبد الظاهر : تشریف الأيام والصور ، ص ٤٦ .

- المقرئزي : السلوك ، القسم الثالث - الجزء الأول ، ص ٧٥٣ .

من المشايخ وأعيانها وقبّلوا الأرض بين يدي الأمراء وأخذوا أماناً واستقروا ببلدهم وذلك من الدو إلى جزائر ميكائيل<sup>(١)</sup>

وما أن وصلت القوات المصرية إلى دنقله حتى هرب سيامون مرة ثانية إلى منطقة الأيواب، فقام قائد الحملة بتنصيب الملك الجديد، داوود الثاني، وأتم مراسم جلوسه على العرش في كنيسة المسيح بدنقله. وبعد أداء هذه المراسم عادت الحملة إلى القاهرة بعد أن تركت طائفة من العسكر بقيادة يبرس العزى، مملوك الأمير عز الدين وإلى قوص، ليقم مع الملك حماية له<sup>(٢)</sup>.

ومن العجيب أن سيامون عاود الظهور مرة ثالثة سنة ٦٨٩ / ١٢٩٠ م. وفي هذه المرة تمكن من قتل الملك الجديد، وإخراج يبرس العزى وقواته إلى قوص، واستعادة عرش البلاد. وما أن أتم ذلك حتى بادى بالكتابة إلى السلطان قلاوون يطلب منه الصّح على ما فعل، ويتعهد له بأن يدفع البقظ المقرر عليه، السابق منه واللاحق، كما يتعهد بأن يدفع للسلطان دخل نصف دولته<sup>(٣)</sup> وعدم العودة مرة أخرى للمعصيان. فإذ كان من السلطان قلاوون إلا أن قبل طلبه، وذلك لانشغاله بما هو أهم من التوبة؛ ألا وهو استخلاص عكا من الصليبيين<sup>(٤)</sup>.

غير أن سيامون عاودته طبيعته المتقلبة بعد أن عرف بوفاة السلطان قلاوون سنة ٦٨٩ / ١٢٩٠ م، فأرسل إلى ابنه السلطان خليل، يعتذر عن تأخيره للبّظ ويطلب منه تأجيل الدفع إلى العام التالي. لكن السلطان خليل رفض طلبه وأرسل بتوعده، فإذ كان من سيامون إلا أن سارع بإرسال ما هو مقرر عليه، وانتظم بعد ذلك في الدفع سنوياً.

ولما مات سيامون سنة ٦٩٣ / ١٢٩٤ م تولى عرش التوبة بعده شخص يدعى آتى<sup>(٥)</sup> ولم يكن آتى صاحب الحق الشرعي في عرش البلاد؛ لذلك أرسل السلطان خليل في

(١) النويري: نهاية الأرب، مخطوطة، ج ٢٩، ورقة ١٢.

— نقل المقرئ هذا النص عن النويري — انظر السلوك، القسم الثالث — الجزء الأول، ص ٧٤٩.

— Quatremère: Sultans Mamluks, T. II, Ire Partie, P. 106.

(٢) المقرئ: السلوك، القسم الثالث — الجزء الأول، ص ٧٥٢، ٧٥٣.

(٣) النويري نفس المصدر، ورقة ١٢.

— المقرئ: السلوك، نفس الجزء، ص ٧٥٣.

— Storia Della Nubia, P. 223.

(٤)

نفس هذا العام حملة لتنجيته عن العرش ، وتنصيب شخص آخر غيره يدعى بوديما <sup>(١)</sup> . ونجحت الحملة في تنصيب بوديما ملكاً على عرش دنقلة . واستمرت علاقته طيبة مع سلطان مصر ، لأنه انتظم في دفع البقط .

وبعد وفاة بوديما اعتلى عرش النوبة شخص يدعى آمای <sup>(٢)</sup> . وفي بداية الأمر كانت علاقة آمای طيبة مع سلطان مصر ، إلا أنها ساءت فيما بعد بسبب تأخره في إرسال البقط إلى مصر ، الأمر الذي جعل السلطان يرسل حملة عسكرية إليه . ونجحت هذه الحملة في إيقاع الهزيمة به ، بل تمكنت من أسر والدته وعمته وإخوته وعادت بهم كرهائن إلى القاهرة . ويذكر ابن عبد الظاهر أن آمای سارع بالاعتذار للسلطان وأرسل البقط المتخلف عليه ، ومعه هدية للسلطان حملها أخوه المسى البرسى . كما التمس البرسى من السلطان العفو عن والدته وإطلاق سراحها لتدبر أمر أخيه ، وذكر له قوله : « إن ملوك النوبة ما يدهرم إلا النساء » <sup>(٣)</sup> . وقد استمرت علاقة آمای طيبة بالسلطات المملوكية في القاهرة بعد وفاة الأشرف خليل . ففي سنة ٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م جاء لزيارة الناصر محمد بن قلاوون وقدّم له ما حملة معه من هدايا <sup>(٤)</sup> .

وبعد وفاة آمای سنة ٧١٦ هـ / ١٣١٦ م تولى الملك بعده أخوه كرنيس <sup>(٥)</sup> . وبدأ كرنيس حكمه بمعاودة السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، فامتنع عن دفع البقط <sup>(٦)</sup> . لذلك أرسل إليه السلطان حملة لترجيحه عن العرش ، وتنصيب بدلاً منه أحد الأمراء النوبيين الذين تربوا في البلاط السلطاني من جملة المماليك السلطانية . وهذا الأمير يدعى عبد الله

(١)

— Ibid, P. 223.

(٢) ورد اسمه هكذا في (Storia Della Nubia) وذكر أنه حكم من ١٣٠٤-١٣٠٥م وأطلق عليه ابن خلدون اسم « أى » - انظر البر ، ج ٥ ، ص ٤٢٩ .  
(٣) ابن عبد الظاهر (مضى النين ) : الألفاظ الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرقية ، نشر اكمل موبرج ، لينزج ١٩٠٢ ، ج ٣ ، ص ٣٩ ، ٤٠ .  
— ذكر ابن عبد الظاهر ما اتصلت عليه الخفية وهو : مائتا رأس رقيق ، ومائتا حن وبسال ، ومائتا لذهب نحر ، ومائة وعشرون قطار شب ، وألف وغسالة وطل منباج (مادة صبرية لطلاء) ، وأربعة فهود وجزير .

(٤) محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون في مصر ، القاهرة ١٩٤٧ ، ص ١٥٣ .

(٥) ورد في (Storia Della Nubia, P. 223.) أنه حكم من ١٣١٢ حتى ١٣١٦ م .

(٦) ابن خلدون : البر ، ج ٥ ، ص ٤٢٩ .

ابن سنبل أو عبد الله برشمبو<sup>(١)</sup> . وأيضاً كان اسم هذا الأمير الحقيقي ، فإنه كان قد اعتنق الإسلام وأصبح أحد المماليك السلطانية ، وهو ابن عم داود ملك النوبة الأسبق<sup>(٢)</sup> . هذا وقد سار مع هذا الأمير على رأس هذه الحملة أربعة من كبار أمراء المماليك<sup>(٣)</sup> .

هذا ولا يفوتنا - قبل أن نختص في تتبع أخبار هذه الحملة - أن اختيار أمير نوبى مسلم لحكم بلاد النوبة يعتبر نقطة تحول خطيرة في تاريخ هذه البلاد ، أدت من غير شك إلى سقوط مملكة النوبة المسيحية .

- (١) - ورد الإسبان في (Storia Della Nubia, P. 223) .  
 - وذكر ابن خلدون أن اسمه عبد الله نسل ، انظر المبر ، ج ٥ ، ص ٤٢٩ .  
 (٢) - فتوى : نهاية الأرب ، مخطوطة ، ج ٣٠ ، ورقة ٩٥ .  
 - المقرئى : السلوك ، الجزء الثانى - القسم الأول ، ص ١٦١ .  
 (٣) - هؤلاء الأمراء هم : عبد الملك مقدم المسكر ، وعمل السامى ، وطرخان يسرى ، وجران السامى - انظر :  
 Zettersteijn: Beiträge Geschichte Der Mamluken sultane in Den Jahren 690-741 Der Higrh,  
 - Leyden, 1919, PP. 156-166.  
 ( تاريخ سلاطين المماليك ) .

### بنو الكنتز يقيمون دولتهم الثانية في دنقلة ويرثون عرش مقره سنة ٧٢٣ هـ - ١٣١٩ م

لقد أدى اختيار السلطان الناصر محمد لعبد الله برشمبو سنة ٧١٦ هـ / ١٣١٦ م لكي يكون ملكاً على عرش دنقلة، بدلاً من كرنيس، إلى ظهور بني الكنتز ثانية بصورة واضحة على مسرح الأحداث في بلاد النوبة. وكان بنو الكنتز بعد أن رحلوا عن أسوان، واستقروا في بلاد مملكة مقره، قد صاهروا بيتها الحاكم. واستطاعوا بفضل تلك المصاهرة أن يصلوا إلى كرسي الحكم فيها، وأن يطلبوا من سلطان مصر أن يعترف بوضعهم الجديد في تلك البلاد.

فبعد أن عزل الناصر محمد بن قلاوون الملك كرنيس، طلب منه ابن أخته «كنتز الدولة شجاع الدين نصر بن فخر الدين مالك» أن يحل مكانه ويحتل عرش دنقلة، وذلك حتى شرعي له طبقاً لقوانين الوراثة في النوبة<sup>(١)</sup>. غير أن الناصر محمد لم يشأ أن يعترف له بهذا الحق، وربما كان ذلك الرفض بسبب أن هذا الطلب جاء من الملك المخلوع. وكان كرنيس قد أرسل، بعد خلع، كنتز الدولة ومعه رسالة إلى السلطان الناصر يقول فيها: «إذا كان مولانا السلطان يقصد أن يولي البلاد لمسلم، فهذا مسلم وهو ابن أختي والملك يستقل إليه بعدى»<sup>(٢)</sup>.

ولم يلق عرض كرنيس قبولاً عند السلطان، بل إن السلطان قبض على كنتز الدولة ومنعه من العودة إلى بلاده. ثم أرسل السلطان حملة إلى النوبة لتنصيب برشمبو ملكاً عليها. وما أن وصلت قوات الحملة دنقلة حتى فر كرنيس وأخوه أبرام إلى منطقة الأبواب<sup>(٣)</sup>، ولكن ملك علوة قبض عليهما وأرسلهما إلى مصر. وفي القاهرة اعتنق كرنيس وأخوه الإسلام،

(١) راجع ما سبق ذكره بمسند هذا الأمر.

(٢) محمد جمال الدين سرور: دلة بني قلاوون في مصر، ص ١٥٤ (نقلا عن التويري في نهاية الأرب).

(٣) المقريزي: السليك، الجزء الثاني - القسم الأول، ص ١٦١.

فكان ذلك سبباً في حسن معاملة السلطان لهما ، غير أنه لم يسمح لهما بالعودة ثانية إلى بلادهما<sup>(١)</sup> .

أما عبد الله برشمبو فقد تولى الملك سنة ١٣١٧/٨٧١٧ م ، ولذلك فهو يعتبر أول ملك نوبى مسلم جلس على عرش دنقله<sup>(٢)</sup> . غير أن برشمبو هذا لم يمكث طويلاً في الحكم ، فقد انتزع كتر الدولة الحكم منه . ذلك أن كتر الدولة نجح في أن يحتال على السلطان وجعله يأذن له بالسفر إلى أسوان بحجة جمع ما كان عليه من خراج للديوان السلطاني . غير أنه ما أن وصل إلى أسوان حتى هرب إلى دنقله ، وهناك اغتصب الملك من برشمبو وقلته . وبما ساعده على ذلك ثورة الرعية في النوبة ضد برشمبو لأنه كان مزهواً بنفسه متكبراً عليهم . وذلك ما لم يجر عليه عادة ملوك النوبة . فقد عامل برشمبو النوبيين بغلظة وشدة وغير كثيراً من نظم البلاد المتبعة ، فكرهوا لذلك حكمه<sup>(٣)</sup> .

فما كاد كتر الدولة يصل إلى مدينة الدرسة ١٣١٧/٨٧١٧ م حتى التف النوبيون حوله وأعلنوا ولائهم له<sup>(٤)</sup> ، وحيوه بتحية الملك وهي قولهم « موشاي ، موشاي » ، وهي لفظة لا يخاطب بها غير الملوك<sup>(٥)</sup> . وتشجع كتر الدولة بمن التف حوله من النوبيين ومن العرب الموجودين في منطقة مريس - وكان لهم من القوة والكثرة العددية ما جعلهم يتحدون رغبة السلطان - ، على التقدم لقتال برشمبو . وفي المعركة التي دارت بينهما سنة ١٣١٧/٨٧١٧ م قتل برشمبو وتولى كتر الدولة الملك خلفاً له . غير أنه لم يضع تاج الملك على رأسه ، رعايةً لحق أخواله وتعظيمهم لهم وحفظاً لحرمهم<sup>(٦)</sup> .

غير أن الناصر محمد رفض الاعتراف بكتر الدولة ملكاً على عرش دنقله . وهذا الرفض إما لخوفه من زوال السيادة المملوكية في تلك البلاد على يد ملك عربي ، وإما بسبب كراهيته أصلاً لشخص كتر الدولة وعدم تقبله الطريقة التي استولى بها على عرش دنقله .

(١) التلخيشي : ص ٢٧٧ ، ج ٥ ، ص ٢٧٧ .

— Mac Michael: Op. Cit., I. P. 186.

(٢) المقرئى : نفس المصدر السابق ، ص ١٦٢ .

(٣) النويرى : نهاية الأرب ، غلطة ، ج ٣ ، ورقة ٩٦ .

(٤) المقرئى : السلوك ، الجزء الثاني - القسم الأول ، ص ١٦١ .

(٥) محمد جمال الدين سرور : حلة بين قلاوون ، ص ١٥٤ .

(٦) النويرى : نهاية الأرب ، غلطة ، ج ٣٠ ، ورقة ٩٦ .



ومهما كانت أسباب رفض الناصر محمد الاعتراف بكنز الدولة فإنه صمم على الحيلولة بينه وبين عرش النوبة . وقد بلغ الناصر إلى الحيلة والقوة معاً لتحقيق هدفه . فأطلق سراح أبرام خال كنز الدولة ، وأرسله إلى النوبة على رأس حملة ليستعيد عرش البلاد ، ووعدته أن ينصبه ملكاً للنوبة وأن يفرج عن أخيه كرنيس إذا هو تمكن من القبض على ابن أخته كنز الدولة ويبعث به إليه . وأدرك كنز الدولة ضعف موقفه ، لذلك ما أن وصل أبرام إلى دنقله حتى بادراً إلى الاحتفاء بمقدم خاله أبرام ، وقام بتسليم تاج الملك وعرش المملكة له <sup>(١)</sup> . غير أن الحال لم يقدر لابن أخته كنز الدولة هذه المبادرة الطيبة ، وبادراً إلى العمل على تنفيذ وعده مع السلطان ، فقبض على كنز الدولة ليرسله مكبلاً بالأغلال إلى القاهرة . وقد لعب الحظ دوراً هاماً في إنقاذ حياة كنز الدولة ، ذلك أن خاله أبرام توفي بعد ثلاثة أيام من القبض عليه <sup>(٢)</sup> . فالتفت التوييون حوله وباعوه بالمملكة ثانية وألبسوه تاج الملك . فقد أيقنوا أن ما حدث هو انتقام إلهي لكنز الدولة وأن اختياره لعرش النوبة هو اختيار رباني لا جدال فيه ، فزادت هذه الحادثة المعارضة من تأييد الأهالي له والتفافهم حوله . وبذلك أصبح كنز الدولة منذ عام ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م ملكاً لعرش مرقرة <sup>(٣)</sup> .

وانزعج السلطان الناصر لما وقع في دنقله من أحداث وعز عليه أن ينصب كنز الدولة ملكاً على عرش دنقله رغمًا عنه . والملك ما لبث أن عاود الكرة لإبعاد كنز الدولة عن عرش النوبة فأطلق سراح خاله الآخر كرنيس ، وجهزه بجيش لمحاربته <sup>(٤)</sup> . ويبدو أن كرنيس عاوده الخنثى لعرش دنقله وتسلم على تنازله عنه لابن أخته كنز الدولة . فإذ وصلت القوات المملوكية إلى دنقله بقيادة كرنيس حتى ولي كنز الدولة هارباً إلى بلاد علوه ، ونقلد كرنيس الحكم للمرة الثانية . خير أنه ما أن عادت القوات المملوكية إلى مصر حتى عاد كنز الدولة إلى دنقله ، واسترد عرش البلاد من خاله ، ولعب كنز الدولة مع الناصر محمد نفس الدور

(١) محمد جمال الدين سرور : نفس المصدر السابق والصفحة .

(٢) التويي : نفس المصدر والصفحة .

— المقرئ : السلك ، القسم الأول ، الجزء الثاني ، ص ١٦١ .

(٣) المقرئ : نفس المصدر والصفحة .

(٤) كان هذا الجيش بقيادة خمسة من الأمراء هم : طنبغا الحساوي وهو المقدم ، وعمل بن قراستق ، وبلان الجاشنكير قزلبغا ، وبيبرس الخايس تركي ، وأيسر الكيكي ، وبصاعة من السالك السلطانية وعاليك الخلقة ( زيرشتين : تاريخ سلاطين السالك ، ص ١٧٤ ) .

الذى لعبه سيامون من قبل مع أبيه الملك المنصور<sup>(١)</sup>. وأخيراً لم يجد الناصر محمد مفرأ من الاعتراف سنة ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م بكنز الدولة ملكاً على دنقله ، وذلك لما كان يتمتع به من حب الرعية ، نوبيين وعرباً .

وتعتبر سنة ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م نهاية عهد مملكة مفرأ المسيحية وبداية عهد دولة بنى الكنز الإسلامية . ذلك أن بلاد النوبة وإن كانت قد خضعت خضوعاً حقيقياً لتنفيذ الإسلامى منذ عهد السلطان الظاهر بيبرس ، غير أن المسيحية لم يضعف شأنها في تلك البلاد إلا بعد أن مهد السلطان الملك الناصر محمد السبيل لتنصيب أمير نوبى مسلم عليها ، وبعد أن اعتلى عرشها ملوك مسلمون من بنى الكنز . وقد ظل بنو الكنز ملوكاً على بلاد النوبة وأصحاب السلطة الفعلية على جزء كبير من أقاصى الصعيد حتى الفتح العثمانى لمصر<sup>(٢)</sup> .

هذا ويتضح من سير الأحداث التاريخية تبعية بنى الكنز ، أمراء النوبة ، لسلطين المماليك ، وأن استقلالهم بإمارتهم كان استقلالاً ذاتياً<sup>(٣)</sup> . وتزداد هذه الحقيقة وضوحاً إذا ما رجعنا إلى مؤرخ معاصر ، عاش أحداث هذه الفترة عن قرب ، وعرف بعقله الوثيقة بالبلط المملوكى ، كما عرف باهتمامه بالكتابة في تاريخ النظم والعلاقات الدبلوماسية . هذا المؤرخ هو شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمرى ، الذى كتب لنا ، في عهد السلطان الناصر محمد ، موسوعته العلمية الكبرى « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » وكتابه « التعريف بالمصطلح الشريف » الذى يأتى في مقدمة الكتب التى تتحدث عن النظم المملوكية . كما أتاحت للعمرى فرصة الاطلاع على حقائق الأمور بالبلط المملوكى ، فقد كان يساعد أباه في القيام بمهمة كاتب السر للناصر محمد . فكان هو الذى — يقوم عن أبيه — بقراءة البريد على السلطان ، كما كان هو الذى ينفذ المهمات السلطانية بديوان الإنشاء حتى سنة ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م<sup>(٤)</sup> .

(١) المقرئى : نفس المصدر السابق والمقدمة .

(٢) محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلادون ، ص ١٥٥ .

(٣) النويرى أسد المؤرخين الذين تحدثوا عن استقلال بنى الكنز . وما ذكره — في هذا الصدد — لا يغير قوله أن كنز الدولة استقل بالملكة ، وهذا لا يتطابق مع نوع هذا الاستقلال ، هل كان استقلالاً ذاتياً ، أم استقلالاً ذاتياً ( انظر : نهاية الأرب ، مخطوطة ، ج ٣٠ ، ورقة ٩٦ ) .

(٤) القلقشنلى : صبح الأمنى ، ج ١ ، ص ٩٨ .

في كتابه « التعريف بالمصطلح الشريف » - الذي يبدو أنه كتبه قبل موسوعته الكبرى « مسالك الأبصار »<sup>(١)</sup> - يحدد هذه العلاقة بين ملوك النوبة والدولة المملوكية دون أن يذكر صراحة اسم بني الكثر ، فيقول : « إن صاحب دنقله رعية من رعايا صاحب مصر ، عليه حمل مقرر يقوم به كل سنة ويخطب بيلاده لخليفة العصر وصاحب مصر »<sup>(٢)</sup> . هذا ويبدو أن ابن فضل الله العمري وضع هذا التعريف لصاحب دنقله في وقت يسبق قليلاً وقت استقلال كثر الدولة ( سنة ٧٢٣/١٣٢٣ م )<sup>(٣)</sup> .

إذ أننا نرى العمري في موسوعته « مسالك الأبصار » يشير صراحة إلى خضوع بني الكثر ملوك النوبة للدولة المملوكية ، فيقول : « إن أولاد الكثر صاروا يخضعون للسلطنة المملوكية ، وهم ملوك النوبة وعليهم حمل مقرر لصاحب مصر . وهذه الإتاوة لا ذهب فيها ولا فضة ، بل هي عدد من العبيد والإماء والخراب والوحش النوبية »<sup>(٤)</sup> . وهذا النص يجعلنا نستخرج حقيقة تاريخية هامة ، وهي أن العمري كتب هذا الجزء من موسوعته مسالك الأبصار بعد سنة ٧٢٣/١٣٢٣ م .

ويضيف العمري بأن رسم المكاتب إلى كثر الدولة في عهد الملك الناصر كان كالآتي : « صدرت هذه المكاتب إلى المجلس السام الجليل الغازي اأجهاد المؤيدي الأوحدي العصدي ، مجد الإسلام ، زين الأنام ، فخر اأجهادين ، عمدة الملوك والساطين »<sup>(٥)</sup> . ويرتب على هذا التعريف الذي أورده العمري تحديد أكثر دقة لوضع إمارة بني الكثر بالنسبة للسلطنة المملوكية . ذلك أنه حسب قواعد المكاتب الرسمية التي استقر الأمر عليها في الدولة المملوكية نجد أن مخاطبة كثر الدولة بالمجلس السام تضعه في أدنى مراتب المكاتب إليهم من الملوك عن الأبواب السلطانية<sup>(٦)</sup> .

(١) توجد نسخة كاملة من هذه الموسوعة بقسم المخطوطات بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٥٩ معارف عامة ، وهذه النسخة تتألف من أربعين مجلد ، مصورة عن النسخة الأصلية باستانبول .

(٢) ابن فضل الله العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة ١٣١٢ هـ ، ص ٢٩ .

(٣) مصطفى محمد سمع : الإسلام والنوبة ، ص ١٧٣ .

(٤) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ، مخطوطة ، القسم الثالث - الجزء الثاني ، ورقة ٤٩٣ .

— Demombyne: L'Afrique, Moins L'Egypte, P. 49.

(٥) التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ٢٩ .

(٦) يذكر القفاشيني ( صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ١٢٦-١٢٨ ) ألقاب المكاتب إليهم من الملوك -

ومع ذلك فيبدو أن استقلال بني الكنز في إمارتهم الجديدة كان شبه تام . فقد أخيرنا الرحالة ابن بطوطة ، أثناء رحلته الأولى إلى مصر ، سنة ١٣٢٦/١٣٢٦ م ، أنه لم يعد يربط أميرهم كنز الدولة ، في ذلك الوقت ، بالدولة في مصر إلا رابطة الولاء الروحي<sup>(١)</sup> . غير أن بني الكنز حرصوا على ألا تنقطع صلتهم بالخلافة الإسلامية وبالسلطنة المملوكية ، وذلك حتى يدعموا مركز دولتهم أمام أهالي النوبة الحديث العهد بالإسلام . فحرصوا على إرسال ما هو مقرر عليهم من حمل للسلطان المملوكي وتقديم الهدايا له . وكان من نتائج ذلك أن صفح الناصر محمد عنهم وأرسل لهم مكاتبات تعترف بهم مذكراً على عرش دنقله<sup>(٢)</sup> .

• • •

سياسة سلاطين المماليك ، بعد الناصر محمد ، مع بني الكنز :

مرت مصر بعد وفاة الناصر محمد حتى بداية عهد بركة برقوق تقريباً ( ٧٤١-٧٨٤ هـ / ١٣٤٠-١٣٨٢ م ) بفترة من فترات الضعف والاضطراب ، بسبب ضعف أولاد الناصر وصغر سنهم وما ترتب على ذلك من اشتداد الصراع بين أمراء المماليك على السلطة<sup>(٣)</sup> . وفضلاً عن ذلك فقد تتابعت على البلاد ، في هذه الفترة ، نوبات القحط وما ترتب عليها من اشتداد الغلاء وانتشار الوباء<sup>(٤)</sup> . وقد استغل بنو الكنز هذه الفترة في تدعيم مركزهم<sup>(٥)</sup> .

= عن الأبواب السلطانية فيقسمها أربعة طبقات : أعلها الطبقة الأولى ، وهي ما يصدر بلقب المقام . يليها ما يصدر بلقب المقر ، ثم لقب الجانب ، وأدناها ما يرد بلقب المجلس . ويقسم لقب المجلس إلى أقسام ، أعلها المجلس العالي ، يليها المجلس السامي ، وأدناها المجلس السام ( بدون ياء ) كلقاب صاحب دنقله إذا كان مسلماً . ( ١ ) رحلة ابن بطوطة ، ج ١ ، ص ٣٦ .

— De Slane, Mac Guckin: Voyage dans le Sudan Par Ibn-Batouta, Journal Asiatique, Paris 1843, Quatrième série, T. I. P. 202.

( ٢ ) ابن فضل الله العمري : بساك الأبيصار ، مخطوطة ، القسم الثاني - الجزء الثاني ، ورقة ٤٩٣ . ( ٣ ) انظر : Wiet: L'Egypte Arabe, PP. 521-524.

( ٤ ) انظر أيضاً : عن القحط والغلاء والوباء :

— المقريري : إغاثة الأمة بكشف اللثة ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٤٠ ، ص ٤١ وما بعدها . — أحمد دواج : الحسبة وأثرها على الحياة الاقتصادية في مصر المملوكية ، مقال مستخرج من المجلة التاريخية المصرية ، العدد الرابع عشر ٦٦ - ١٩٦٧ ، ص ١١٢ ، ١١٣ .

— لإيضاحات جديدة عن التحول التجاري في البحر الأحمر ، ص ٢٠٤ .

( ٥ ) — Budge, E.A.W.: A History of Ethiopia, Vol. I. P. 106.

ولما حانت للدولة المملوكية فترة من فترات القوة والهدوء الداخلي ، في عهد الأشرف شعبان الثاني ( ٧٦٤ - ٧٧٨ هـ / ١٣٦٢ - ١٣٧٦ م ) ، وجهت اهتمامها لتدعيم سيادتها على بلاد النوبة عندما حانت الفرصة لذلك . وجاءت هذه الفرصة حين ضعفت قوة بني الكتر ، بسبب اشتداد النزاع بين أفراد البيت الكتري الحاكم ، وحين لجأ بعض الأمراء الكنوز إلى القاهرة يطلبون مساعدة السلطان ضد البعض الآخر منهم للوصول إلى كرسى الحكم . كذلك لجأ بعض الأمراء الكنوز إلى السلطان طلباً لمساعدتهم على التخلص من الأعداء المائلين من العرب النازحين إلى بلادهم .

ففي سنة ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م وصلت إلى القاهرة سفارة من بني الكتر ، من اثنين من قواد جيوشهم وهما : ركن الدين كرنس ، وياقوت فارس الدين ، وبصحتهما أحد الترجمة ويدعى ياقوت . وقد جاءت هذه السفارة تطلب من سلطان مصر الأشرف شعبان ، أن يساعدهم في التخلص من بني جعد ، وهم من عرب عكرمة ، ومن غيرهم من القبائل العربية النازحة إلى بلادهم<sup>(١)</sup> . وعرضت السفارة أن يدفع بنو الكتر جزية سنوية للسلطان مقابل هذه المساعدة ، وكان بنو الكتر قد توقفوا عن دفع الجزية السنوية في الفترة التي أعقبت وفاة الناصر محمد بن قلاوون<sup>(٢)</sup> .

وكان نفوذ بني جعد قد ازداد في إمارة بني الكتر بسبب المركز الممتاز الذي تحقق لهم نتيجة للنزاع بين أفراد البيت المالك الكتري : ففي السنة السابقة على هذه السفارة دب النزاع بين ملك النوبة الكتري وبين ابن أخيه . وكان ابن الأخ هذا قد ثار على كتر الدولة واستعان بحرب بني جعد في قتله وانتزاع عرش البلاد منه<sup>(٣)</sup> . غير أن أتباع الملك الكتري المقتول أقاموا ابنه خلفاً له على العرش عند قلعة الدو ( ببلدة الدر ) تاركين دنقله تحت رحمة الأمير الثائر ورحمة أتباعه من بني جعد . ولكن سرعان ما عاد الأمير الثائر إلى صوابه وتخلص من زعماء بني جعد بمكيكة - دبرها لهم قتل فيها معظمهم<sup>(٤)</sup> . ثم ذهب

(١) بنجسد ، فرج من مكرية من قيس حيلان ، وهم من الأنصار وينسبون إلى سيد الأوس سعد بن ساذ ابن النسيان ( المقيزي : البيان والأمراء ، ص ٤٧ ، ٤٨ )

(٢) المقيزي : السلوك ، مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٠٠ ، تاريخ ، المجلد السابع ، ورقة ٤٨ أ .

(٣) Mac Michael: Op. Cit., Vol. I, P. 187.

(٤) Budge: The Egyptian Sudan, Vol. II, P. 197.

Greener: High Dam Over Nubia, London 1962, P. 185.

الأمير إلى الدر ليصطلح مع ابن عمه ، وهناك تم الصلح بينهما على أن يصبح الأمير  
التاشر نائباً للملك كتر الدولة . وبعد ذلك أرسل الأميران هذه السفارة إلى القاهرة في سنة  
١٣٦٧/٥ م ، يطليان فيها معاونة سلطان مصر ضد القبائل العربية النازحة إلى  
بلادهم . وكانت فرصة مواتية للسلطان المملوكي ليستعيد نفوذه من جديد على بلاد بني  
الكتز ، فأرسل حملة بقيادة الأمير أكتومر عبد الغني <sup>(١)</sup> ، وجعله من الأمراء إلى بلاد  
النوبة <sup>(٢)</sup> .

وقد قدّم بنو الكتز كل المساعدة لحملة السلطان بعد أن منحهم قائدها الأمان ،  
وتقدمت الحملة جنوباً في أرض النوبة قاصدة قلعة الدول لإيقاد الملك الكتري من  
الحصار الذي فرضه عليه بنو جعد . وعند مدينة ابريم غدر القائد المملوكي بني الكتز  
وقيض على زعمائهم وحث في عهد السلطان لهم . ومن ابريم قصدت فرقة مملوكية لقتال  
بني جعد عند جزائر ميكائيل حيث دارت معركة قتل فيها الكثيرون منهم وفرّ من نجاة  
منهم إلى ابلجبال <sup>(٣)</sup> .

ثم عادت الحملة إلى أسوان ومعها أسرى بني الكتز وبني جعد حيث أودعوا  
السجن بها . وهناك قام وإلى أسوان الأمير حسام الدين ، المعروف « بالدم الأسود » ،  
بقتل هؤلاء الأسرى بعد أن أمر بتسميرهم في ألواح من خشب ، والتشهير بهم  
وهم على هذا الحال . ثم أرسلت بعد ذلك رؤوسهم إلى القاهرة لتعلق على  
أبوابها . غير أن هذه الحملة وما نجم عنها من عنف وأسر وتشهير وتقتيل أثارت  
بني الكتز وبني جعد ، فعزموا على التآمر مما حل بهم وبلادهم ، فسارت ،  
قواتهم في أعداد كبيرة في نفس هذا العام إلى أسوان واشتبكوا هناك في معركة عنيفة  
مع القوات المملوكية . وفي هذه المعركة حلت الهزيمة بالقوات المملوكية ، كما قتل والي  
أسوان الأمير حسام الدين ، كما أعقب ذلك أن أغارت القوات المنتصرة على مدينة

(١) ذكره ابن حجر باسم أقتومر عبد الغني التركي ، انظر : أنباء المر بأبناء السر ، مخطوطة بدار الكتب ،

رقم ٨٨٤٤ ح ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، ص ٢٧٧ .

(٢) المقرئى : السليك ، مخطوطة ، المجلد السابع ، ورقة ٤٩ .

— على مبارك : المخطوطات التطبيقية الجديدة لمصر والقاهرة ، طبعة بولاق ، ١٣٠٥ هـ ، ص ٦٩ .

(٣) المقرئى : نفس المصدر السابق والصفحة .

أسوان فأنزلت بها ويسكانها معاول التخريب والتفتيل<sup>(١)</sup>.

وظلت الأمور على هذا الحال من القوضى ، كما ظلت الغلبة في بلاد النوبة وعند أسوان لبني الكثر ولن حالهم من العرب حتى سنة ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م . ففي هذا العام دب النزاع ثانية بين أمراء بني الكثر ، الأمر الذي أدى إلى انقسامهم على أنفسهم . وأعطى هذا الانقسام الفرصة لأمير أسوان قرط بن عمير للانتقام منهم وإضعاف نفوذهم<sup>(٢)</sup> فقام في نفس السنة بالإغارة على بني الكثر خارج أسوان ، وقبض على أحد عشر زعيماً من زعمائهم وقتلهم ، ثم بعث برؤوسهم إلى القاهرة حيث علقت على باب زويلة . كما أرسل مائتين من أبناء رؤوسائهم مكبلين بالأغلال إلى القاهرة . وفي ٢٥ ذي الحجة من نفس العام أسر قرط بن عمير أميراً من بني الكثر يدعى غلام الله ، كان يعد العدة لمহারبة القوات المملوكية واغتيال السلطان برقوق<sup>(٣)</sup> وعثر معه على عدد كبير من السيوف كان يريد أن يرسلها لبني الكثر . يقول في ذلك ابن حجر المصقلاني : « في خامس عشرين من ذي الحجة من سنة ٧٨٠ هـ ، وجدت ورقة عند برقوق فيها أن غلام الله حشد الشريخاناه يريد أن يكبس عليكم في صلاة الجمعة مع العبيد ، فأمر الخطيب أن يؤخر الخطبة . واتفق حضور قرط من أسوان ومعه كتب من غلام الله إلى أولاد الكثر يحرضهم على الخي . فقبض على غلام الله وسجن »<sup>(٤)</sup>.

كما عاود بنو الكثر الهجوم على أسوان بعد هذه السنة مرات عديدة . ويبدو أنهم في إحدى هجماتهم على أسوان اشتركوا مع قوات حبشية هاجمت أسوان في ذلك الوقت . ففي عام ٧٨٣ هـ / ١٣٨١ م وصل جيش من الحبشة إلى حدود مصر الجنوبية وهاجم منطقة أسوان وعثر فيها . ولم يعد هذا الجيش إلى بلاده إلا بعد تدخل بطريق

(١) المقرئى : نفس المصدر السابق ، ورقة ٥٢ ب .

— Budge: Op. Cit., II, 197.

(٢) ابن حجر المصقلاني : أنباء الفرس ، مخطوطة ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، ص ١٨٢ .

— Budge: Op. Cit., II, P. 198.

(٣) المقرئى : نفس المصدر السابق ، ورقة ٥٢ ب .

— Quatremière: Mémoires Sur L'Egypte, T. II, P. 198.

(٤) أنباء الفرس ، مخطوطة ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، ص ١٨٨ .

— Wiet: Les relations Egypto-Abysines sous Les Sultans Mamlouks, P. 124.

الأقباط وطلبه من ملك الحبشة سحب هذا الجيش<sup>(١)</sup>. وفي سنة ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨ م ، استولى بنو الكتر على أسوان حين كان يليها حسين بن قرط<sup>(٢)</sup> . واستولوا عليها مرة ثانية سنة ٧٩٨ هـ / ١٣٩٦ م بالاشتراك مع عرب هواره<sup>(٣)</sup> الذين ثاروا على السلطان لحبه أميرهم علي بن غريب وأولاده وأخوته وأقاربه وأربعة وثلاثين نفرًا من أكابر عربانه . فوثبوا على قطلوبغا الطشتمري النائب بالوجه القبلي وقتلوه ثم تجمعوا وتوجهوا إلى أسوان وانفقوا مع بني الكتر ، ودخلوا أسوان على حين غفلة من واليها حسين بن قرط . وهرب حسين إلى النوبة فنهب المغيرون بيته ونهبوا مدينة أسوان . فلما بلغ السلطان الظاهر برفوق ذلك ، ولي عمر بن إياض نيابة الوجه القبلي وأمره بالتوجه إلى أسوان والقبض على بني الكتر وعرب هواره . لكن عمر بن إياض لم يوفق في ذلك ، وظلت أسوان في يد بني الكتر حتى سنة ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م<sup>(٤)</sup> .

وعلى هذا النحو يكون بنو الكتر قد استقلوا تماماً عن الدولة المملوكية ، وأدى ذلك إلى صراعهم الشديد معها . ويعبر عن ذلك ابن خلدون - وهو مؤرخ معاصر - بقوله : « إنه منذ ذلك التاريخ ( أواخر القرن الثامن الهجري وأوائل التاسع ) انقطع إرسال ملوك النوبة للجزيرة واليقط إلى حكام مصر »<sup>(٥)</sup> . كما يشير القلقشندي إلى أن مملكة النوبة في ذلك الوقت ( أي في عهده ) أصبحت مملكة مستقلة بذاتها وأنه لهذا السبب أورد مكاتبة صاحبها في جملة الملوك . كما يضيف أنه زيد في مكاتبتهم بعد « جملة عمدة الملوك والسلاطين » جملة « أدام الله سعاده وبلغه في الدارين إرادته »<sup>(٦)</sup> .

غير أن نهاية دولة بني الكتر بدأت في الوقت الذي تحقق لها هذا الاستقلال التام . ففي سنة ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م حانت الفرصة للسلطات المملوكية أن تستعيد أسوان وتبسط نفوذها القديم على بلاد النوبة . ففي ذلك العام لحق نصر الدين ملك

(١) Marcel Jungfleisch: Hassan Suliman, Kaskif of Nubia, S.N.R., XXVII, 1946, P. 239.

(٢) المقرئى : الخطط ، نشرقيت ، الجزء الثالث ، القسم الثانى ، ص ٢٨٥ .

(٣) من عرب هواره ، انظر فيما بعد .

(٤) المقرئى : السلوك ، ضلوة ، المجلد المائى ، ورقة ٢٦٠ .

— الخطط ، نشرقيت ، القسم الثانى — الجزء الثالث ، ص ٢٨٥ .

(٥) الجبر ، ج ٥ ، ص ٤٢٩ .

(٦) صبح الأمل ، ج ٨ ، ص ٧٠٦ .



النوبة إلى القاهرة مستنجداً بالسلطان المملوكي الظاهر برفوق ضد ابن عمه<sup>(١)</sup> . فكلف السلطان وإلى أسوان إبراهيم الشهابي بمساعدة نصر الدين . فسارت الحملة إلى بلاد النوبة لتحقيق ذلك ، ويبدو أنها نجحت في مهمتها واستطاعت أن تعيد النفوذ المملوكي مؤقتاً إلى تلك المنطقة . وظلت الدولة المملوكية تتمتع بالسيادة الفعلية على أسوان وبلاد النوبة ، نتيجة هذه الحملة ، حتى سنة ٨٠٦ هـ / ١٠٤٣ م . ففي هذه السنة جرت بحن مدمرة خربت إقليم الصعيد كله<sup>(٢)</sup> .

(١) المقرئى : السلك ، مخطوطة ، بدار الكتب ، رقم ٤٦٤ تاريخ ، الجزء الثالث ، القسم الأول ، ورقة ١٢ .

— العيني : عقد الجمان ، مخطوطة ، ج ٢٧ ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

— ابن حجر : أنباء الفهر ، مخطوطة ، المجلد الثالث ، الجزء الأول ، ص ٢ .

(٢) يذكّر ابن حجر أن اسمه ناصر النوبى ، صاحب بلاد النوبة .

(٣) المقرئى : الخطوط ، فهرست ، القسم الثاني ، الجزء الثالث ، ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

— أبو الحسن : النجوم الزاهرة ، ج ١٢ ، ص ٣٠١ .

## نهاية دولة بني الكثر سنة ٨١٥ هـ - ١٤١٢ م وضعهم السياسى بعد هذا التاريخ

ازدادت الحالة الاقتصادية في مصر سوءاً في نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع الهجرى بسبب المجاعة الطويلة المتقطعة التي حلت بمصر سنة ٨٧٩٦ هـ / ١٣٩٤ م . وامتدت حتى سنة ٨٨٩ هـ / ١٤٠٦ م . وقد صاحب هذه المجاعة انتشار الوباء الذي مات فيه ألوف مؤلفة من المصريين في السنوات الأخيرة منها ، أى منذ سنة ٨٨٦ هـ / ١٤٠٣ م<sup>(١)</sup> .

وتسببت هذه الضائقة الاقتصادية في زيادة الاضطرابات في البلاد وارتفاع يد السلطنة عن جنوب البلاد ، ودفع أعداد هائلة من قبائل هواره وفزاره وجهينة الموجودة بشمال البلاد إلى الهجرة جنوباً وإلى بلاد النوبة .

وكانت حكومة بني الكثر في بلاد النوبة من الضعف وقتذاك بحيث أنها لم تستطع رد هذه القبائل النازحة أو التغلب عليها ، مما أدى في نهاية الأمر إلى سقوطها وانتقال الحكم من يدها إلى يد هذه القبائل .

فقبيلة هواره<sup>(٢)</sup> التي اضطرت إلى الرحيل من البحيرة ، بسبب تغلب زناته عليها ، زحفت إلى صعيد مصر سنة ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م . ونزل رجالها بالأعمال الأخميمية في جرجا وما حوله أيام السلطان الظاهر بركة<sup>(٣)</sup> ، وهناك قوى أمرهم واشتد بأسهم . وانتشرت بطون هواره في معظم الوجه القبلي بين أعمال قوص إلى غربي الأعمال

(١) يذكر المقرئى أنه بسبب هذه المجاعة مات ما يزيد عن نصف السكان وهلك أهل الصعيد . ويذكر أنه أحصى من مات بمدينة قوص فوجد أنهم بلغوا سبعة عشر ألف إنسان ، ومن مات بمدينة أسوط أحد عشر ألفاً ( المقرئى : إغاثة الأمة ، ص ٤٣ ) .

— انظر : أحمد دراج : الحسبة وأثرها على الحياة الاقتصادية في مصر الملكية ، ص ١٠٩ .

(٢) هواره من قبائل البربر مثل زناته ، وشرية ، وصنهاجة وكثامة ، ولواته ، ومزاته ، ( الإدريسي فزعة المشتاق ، ص ٥٧ — المقرئى : البيان والأحزاب ص ١٥٨ )

(٣) القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ٤٤١ .

اليهناوية<sup>(١)</sup> . ثم زحفت هواره جنوباً سنة ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م حتى وصلت إلى أسوان ، وتحالفت بادي الأمر مع بني الكتر . غير أنها ما لبثت بعد ذلك أن ناصبتها العداء واشتبكت مع قواتها في معركة حامية عند أسوان انتهت بهزيمة بني الكتر وقتل عدد كبير من رجالهم ، فضلاً عن تخريب مدينة أسوان وقتل عدد كبير من أهلها<sup>(٢)</sup> .

وضعف مركز بني الكتر في جنوب البلاد بعد هذه المعركة وتقلص نفوذهم إلى منطقة مريس ، وصاروا أتباعاً لهما أبي يوسف السعدى زعيم هواره ودانوا له بالولاء . وبذلك تكون امتدت سيطرة هواره ، في عهد همام ، على المنطقة الممتدة من جنوب أسوط حتى بلاد النوبة ، واضطر سلاطين الممالك إلى الاعتراف لهم بهذه السيطرة .

غير أن هواره ما لبث أن ضعف نفوذها في منتصف القرن التاسع الهجري بسبب النزاع بين أمرائها وانقسامهم على أنفسهم ، وهذا أدى إلى تدخل السلطنة المملوكية<sup>(٣)</sup> . وقد نجحت السلطنة المملوكية في الاستفادة من هذا النزاع لاستعادة نفوذها على جنوبي البلاد<sup>(٤)</sup> .

أما جهينة<sup>(٥)</sup> فقد نزحت إلى صعيد مصر في النصف الأول من القرن التاسع الهجري ، وملك في عدة جهات انتشرت فيها . وحاول بنو الكتر أن يردوهم عن

(١) بلغت هواره أربع قرى في مطلع القرن التاسع الهجري حين ولي أمراً محمد بن عمر بن عبد العزيز الحواري الذي كان يعرف بأبي السنون (المقريزي : البيان والأعراب ص ٥٨) .

(٢) المقريزي : الخطط لشريفيت ، القسم الثاني ، الجزء الثالث ، ص ٢٨٥ .

(٣) يذكر أبو المحاسن عند ترميزه لأحداث سنة ٨٥٢ هـ أن في هذا العام أرسل السلطان (جقيق) حملة إلى الصعيد بقيادة أمير باني التتر بنادى . قائد القوات وبصحبته إسحاق بن عمر الحواري لقتال العرب الخارجين على الطاعة من هواره . كذلك يذكر أنه في عام ٨٦٥ هـ ورد الخبر بهزيمة أحمد بن عمر الحواري وأخيه يونس من ابن محمد سلاطين بن عيسى (النجوم الزاهرة ، طبعة وإيم بوبره كاليفورنيا ١٩٣٢ ، الجزء السادس ، ص ٢٧ ، ٣٤٧) .

(٤) يذكر ابن أبي إياس أنه في عام ٨٨٣ هـ في عهد السلطان قايتباي المملي قبيض يشيك اللوادار على يوسف ابن عمر الحواري بعد أن طارده إلى بلاد النوبة ، وقطع رأسه . كذلك قبض على أخيه أحمد وعلى جماعة من أقاربه ، وأنه انتصر على بني عمر الحواريين فصره عظيمة ، انظر ، بدائع الزهور في وقائع الدهور . طبعة بولاق ١٣١٢ هـ ، ٢ ، ١٨٢ ، ١٨٣ .

(٥) جهينة من قضاة ، وهم من العرب القحطانية وينسبون إلى ليث بن سويد بن الحارث بن قضاة . (الفلقشتى ، نهاية الأرب ، ص ٢٢١) .

منطقة نفوذهم فعجزوا عن ذلك ، فاضطروا آخر الأمر إلى مصانعتهم ومصاهرتهم .  
وأدى ذلك إلى استقرار عرب جهينة بين بني الكثر والاختلاط بهم ومصاهرتهم ،  
ثم استفادوا من نظام الوراثة عند النوبيين ، كما استفاد منه بنو الكثر من قبل ،  
فأصبح لأبنائهم الحق الشرعي في حكم منطقة نفوذ بني الكثر <sup>(١)</sup> .

غير أن عرب جهينة لم يحسنوا سياسة الملك ، كما دبت الفقرة بينهم — كما حدثنا  
بذلك ابن خلدون — ، فأصبحوا شيعاً وأحزاباً وعادوا إلى ما كانوا عليه من البداءة  
ولم يبق لهم أى مظهر من مظاهر الملك . لذلك فضلوا الهجرة إلى السودان تاركين  
بني الكثر وبني عكرمة وهواره عند أسوان وبلاد النوبة <sup>(٢)</sup> .

وهذا عاد نفوذ بني الكثر ثانية على منطقتهم في منتصف القرن التاسع الهجري ،  
وتفوقوا على باقى القبائل الموجودة معهم ، وحاولت السلطنة المملوكية ، من جديد  
القضاء على نفوذهم ، وهذا أدى إلى دخولها معهم في معارك حامية . ففي سنة ٨٤٨ هـ /  
١٤٤٤ م ، في عهد السلطان جقمق ، هجم عربان الكنوز على الصعيد . فأرسل  
إليهم السلطان حملة عسكرية كبيرة من المماليك لدفعهم عن الفساد . وكان السلطان  
قد سبق أن أرسل ضدهم حملة عسكرية لم يقدر لها أن تحقق نصراً عليهم . ويبدو أن  
الحملة الثانية نجحت بعض الشيء في مهمتها ، ذلك لأن هذه الحملة عادت بعد  
ثلاثة أشهر برؤوس جماعة من عرب الكنوز على الرماح <sup>(٣)</sup> .

وبعد أخبار هذه الحملة لا نجد في المصادر التاريخية المعاصرة أية إشارة أخرى  
عن علاقة بني الكثر بالمماليك ، أو عن أخبار بلاد النوبة بصفة عامة . إلا أن  
هذه المصادر تعود للحديث عن بني الكثر بعد فتح العثمانيين لمصر ( ٩٢٣ هـ /  
١٥١٧ م ) .

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ، ص ٤٢٩ .

— القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٧٨ .

(٢) محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون ، ص ١٥٦ .

(٣) أبو الحسن : النجوم ، طبعة بوير ، الجزء السابع ، ص ١٢ ، ١٣ .

— السخري : التبر المسبك في ذيل السلوك ، طبعة بولاق ، ١٨٩٦ ، ص ٩٣ .

فبعد هذا الفتح أصبحت منطقة جنوب الصعيد وبلاد النوبة منطقة صراع مرير بين البكوات المماليك والأمراء العثمانيين ، كما أصبحت مأوى لكل ثائر هارب من الحكومة ومعه أتباعه ومواليكه<sup>(١)</sup> . لذلك أراد السلطان سليم أن يدعم سلطة الحكومة في هذه البلاد ، فأرسل سنة ٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م أحد قواده ويدعى حسن قوصى لفتح النوبة . ونجح هذا القائد في إنزال المزيمة ببقايا قوة بئى الكتر هناك ، وترك بعد هزيمتهم حاميات من الجند العثمانيين ( الغز ) في أبريم والدر وجزيرة ساي ، بعد أن بئى لم فيها قلاعاً لكي يدعم نفوذ الدولة هناك . وقد عرف رجال تلك الحاميات باسم الكشاف<sup>(٢)</sup> .

واختلط هؤلاء الكشاف ببئى الكتر وتزوجوا من بناتهم ، فتقوى بسبب هذه المصاهرة بنو الكتر ، ووعد لهم بعد وفاة حسن قوصى نفوذهم القديم في البلاد . وباتوا يتمتعون باستقلال شبه تام فيها ، ولم يكن للحكومة المركزية أى سلطان عليهم<sup>(٣)</sup> .

وحاول الفونج بعد وفاة حسن قوصى أن يضموا شمال النوبة إلى مملكتهم وأرسلوا من أجل ذلك جيشاً ، لكن ابن جانبلان رئيس الغز جمع جيشاً كبيراً وتصدى للدفاع عن البلاد . ودارت معركة حامية عند بلدة « حنك » ، هزم فيها الفونج هزيمة ساحقة وانسحبوا مهرولين تاركين قتلاهم وراءهم<sup>(٤)</sup> . وبعد تلك المعركة ساد الأمن البلاد حتى فتح إسماعيل بن محمد على السودان سنة ١٨٢٠ ، وقد أقر إسماعيل الوضع في النوبة على ما كان عليه . واستمر هذا الوضع قائماً حتى قيام الثورة المهدية بالسودان ، تلك الثورة التي قامت بغزو النوبة وأزالت حكم الكشاف عنها<sup>(٥)</sup> .

ولكن ما أن عاد النفوذ المصرى إلى السودان عقب زوال حكم المهديين ، حتى

(١) ابن لياس : بفتح الزعرور ، ج ٣ ، ص ١٨٤ .

(٢) مازالت أمتاد من الكشاف تعيش في أسوان حتى الآن .

نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وبيترافية ، ج ١ ، ص ٦٦ .

(٣) عبد الله حسين : السودان القديم والحديث ، القاهرة ١٩٣٥ ، ص ٥٧ .

M Budge (E.A.W.): A History of Ethiopia, I, PP. 107-108.

— Ibid, P. 108.

(٤)

(٥)

عاد لبني الكثر نفوذهم في المنطقة ما بين كرسكو والشلال . وكف بنو الكثر عن أعمال الشغب والعنف بسبب قوة سلطة الدولة المركزية وقتئذ<sup>(١)</sup> . وأصبح بنو الكثر منذ ذلك الوقت مواطنين مسالمين ، يعملون لخدمة وطن مصر الكبير الذي تمتعوا فيه بكل ما للمواطن من حقوق<sup>(٢)</sup> .

(١) — Mac Michal: A History of the Arabs in the Sudan, Vol. I, P. 150.

(٢) من حالة بني الكثر الآن ، وأهم عاداتهم وتقاليدهم ، انظر الباب الرابع .



## الباب الرابع

### مآثر بني الكنز

- ١ - دور بني الكنز في تنمية موارد إمارتهم .
- ٢ - ازدهار مدينة أسوان في عهد إمارة بني الكنز الأولى .
- ٣ - دور بني الكنز في نشر الإسلام بين قبائل البجة الوثنية وقبائل النوبة المسيحية .
- ٤ - مآثره الكتاب والشعراء في مآثر بني الكنز .
- ٥ - قائمة بأسماء أمراء وملوك بني الكنز التي وردت في المصادر .
- ٦ - قبائل بني الكنز ( الكنوز ) الحالية وأهم عاداتها وتقاليدها .





### دور بنى الكنتز فى تنمية موارد إمارتهم

استطاع بنو الكنتز أن يستغلوا موارد ثروة إمارتهم إستغلالاً طيباً ، الأمر الذى ساعد على زيادة ثرائهم وذبوع صيتهم . وتتمثل هذه الموارد فى إستغلال مناجم العلاق ، والاستفادة من الحركة التجارية بشفر عيذاب وعبر صحراء عيذاب<sup>(١)</sup> . أما عن مناجم العلاق ، فقد تحكم أمراء بنى الكنتز فى مناجم الذهب ومعادن الزمرد فى الصحراء الشرقية منذ أن وطئت أقدامهم أرض العلاق واختلطوا فيها بقبائل البجة . وكان دافع بنى الكنتز الأول للهجرة إلى بلاد البجة هو البحث عن الذهب الذى اشتهرت به هذه البلاد .

هذا وقد اشتهرت أرض البجة من قديم الزمن بوجود كميات كبيرة من الذهب والزمرد فى أرضها . ودلت الأبحاث على أن قدماء المصريين استغلوا مناجم ومعادن تلك البلاد منذ وقت بعيد<sup>(٢)</sup> . فبردية تورين ، وهى أقدم خريطة فى العالم<sup>(٣)</sup> ، تشير إلى أن مناجم العلاق هى أقدم مناطق استخراج الذهب فى وادى النيل . وتشير كذلك إلى أن المناجم القديمة المسماة « داراهيب » Darahib فى وادى العلاق هى أهم مصادر الذهب لمصر منذ أيام قدماء المصريين<sup>(٤)</sup> .

واستمر استغلال هذه المناجم حتى عهد البطالة . ولا نزع العرب إلى بلاد

— Mac Michael: Op. Cit., Vol. II, P. 99.

(١)

(٢) بدأ استغلال مناجم النع فى هذه المنطقة منذ سنة ١٩٨٠ ق . م فصاعداً ( سليم حسن : مصر القديمة ، القاهرة ١٩٤٠ - ١٩٥٠ ، ج ٦ ، ص ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ - بيرس : تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى الفتح الفارسي ، ترجمة حسن كمال ، القاهرة ١٩٢٩ ، ص ٩ ، ٢٧٨ ) .

(٣) بردية تورين ، هى بردية يرجع تاريخها إلى سنة ١٣٥٠ ق . م . محفوظة الآن بمتحف تورين . لقد صور عليها حسب ما وصلت إليه معلوماتنا أقدم مصور جغرافى فى العالم ، وهذا المصور قد مثل عليه الأسفاح الذى يوجد فيها الذهب فى وادى النيل ونشاهد بها لوحة نقش عليها اسم الملك سى الأول بين هذه الإشارة عرفنا أن هذه البردية ترجع إلى عهد سى الأول ، سليم حسن : مصر القديمة ، ج ٦ ، ص ٩٨ ، ٩٩ .

— Thomas, E.S.: The Ancient Mine Plant of Turin Papyrus, Cairo Scientific Journal, ( ٤ ) Vol. 1913, III, PP. 168-160).

البجة ، وخاصة عرب ربيعة ، عرفوا طريقهم إلى هذه المناجم وعملوا فيها ، ولا قويت شوكتهم بالبلاد تملكوها<sup>(١)</sup> .

وقد أجمع المؤرخون المسلمون على استمرار وجود معدن الذهب في بلاد البجة وقت نزول ربيعة بها ، كما أشاروا إلى أن البجة لم تكن تعمل في هذه المعادن بل كان رجال ربيعة هم وحدهم الذين يعملون فيها<sup>(٢)</sup> . ووصفوا لنا أيضاً ، كيف كان عرب ربيعة يستخلصون الثبر من رمال أرض البجة . فذكروا أنهم كانوا يذهبون ليلاً في أول ليالي الشهر العربي وآخره إلى المناطق المحتمل وجود الثبر فيها ويعلمون على المناطق التي يضيئها الثبر ويببتون بها ، وفي الصباح يحملون أكوام الرمل التي علموا عليها ويأخذونها إلى آبار هناك ويفسلونها بالماء ثم يستخرجون الثبر منها ويسبكونه بعد أن يخلطوه بالزيت<sup>(٣)</sup> .

واستمر استغلال بني ربيعة ( بني الكثر ) لهذه المناجم منذ أن نزلوا بأرضها وطوال العهد الفاطمي . وذكر ابن بعمر اهتمام الخليفة الفاطمي الأمر بالله ( ٤٩٥ - ٥٢٤ هـ ) بذهب هذه المناجم وتشجيعه عرب الكثر على استخراج أكبر كمية منها . ويبدو أن بني الكثر استجابوا لطلبه واستخرجوا كميات كبيرة من الذهب حتى أن الخليفة الأمر بني داراً لسك النقود الذهبية بمدينة قوص ( سنة ٥٢٣ - ٥٢٤ هـ ) لتكون بالقرب من موطن استخراج الذهب<sup>(٤)</sup> .

(١) من أماكن مناجم الثبر في الصحراء الشرقية انظر ما كتبه البغدادي في كتاب البلدان ، ص ٣٣٤ ، و انظر الملحق رقم (٦) ، ص ١٥٣ .  
(٢) - ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٦٢ ، المسالك والممالك ، نشر في بحوثه ، لندن ١٨٧٣ ، ص ١٠٧ .

- باقوت : معجم البلدان ، طبعه طهران ١٩٦٥ ، المجلد الثالث ، ص ٧١ .

- الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص ٢٦ ، ٢٧ .

- المقرئ : الخطط ، نشر في طبع ، القسم الثاني من ج ٣ ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(٣) - الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص ٢٦٠ .

- ابن الوردي : خريطة الميقاتين وقرينة الفرائض ، طبعه مصر ، ١٢٨٠ هـ ، ص ٦٥ .

- محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ .  
(٤) ابن بعمر : كشف الأسرار العلية بدار القصر المصرية ، تحقيق عبد الرحمن فهمي ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٤٩ ، ٥٠ .

- Ehrenkreutz: Contributions to the knowledge of the Fiscal administration of Egypt in the Middle Ages. (Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, volume XVI, 1954, P. 508).

وفي أيام الخليفة المعتمد ، آخر الخلفاء الفاطميين ، نضبت موارد الذهب في العلاقي . ولذا زهد بنو الكثر الإقامة في الصحراء ورحلوا عنها إلى بلاد النوبة والسودان في بداية عهد حكم السلطان صلاح الدين لمصر<sup>(١)</sup> .

هذا ولم يقتصر استغلال بنو الكثر للذهب وحده في مناجم العلاقي بل كانوا أيضاً يستغلون معادن أخرى ، هي النحاس والحديد والرصاص وحجر المغنطيس<sup>(٢)</sup> .

أما الزمرد أو الزبرجد<sup>(٣)</sup> ، كما كان يسميه المؤرخون المسلمون<sup>(٤)</sup> ، فقد قام عرب الكثر باستخلاصه أيضاً من معادنه وتصديره إلى خارج بلادهم وقاموا باحتكار تجارته في العالم كله . ويجمع المؤرخون المسلمون على أن منطقة العلاقي هي المنطقة الوحيدة في العالم التي يوجد بها الزمرد<sup>(٥)</sup> .

ويمكان هذا المعدن — على وجه التحديد — عند جبل زبارا ، على البحر

(١) عن نسوب موارد الذهب ، انظر :

— التابلي ( عثمان بن ابراهيم ) : مع القوانين المسببة في دواوين الديار المصرية ، تحقيق كلود كامن : Bulletin D'Études Orientales, 1958-1960, Tome XVI, P. 52.

— ابن بكرة : كشف الأسرار العلمية بدار الغرب المصرية ، ص ٣٩ .

— Ehrenkreutz: Op. Cit., Vol. XVI, P. 510.

— De La Roncière: Op. Cit. I, P. 45.

— Darrağ: L'Égypte sous le règne de Barsbay, P. 91.

(٢) المقريري : الخطط ، نشر في ٣ ، القسم الثالث ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(٣) التيفاشي : أزهار الاتكار في جواهر الأحجار ، مخطوطة بدار الكتب المصرية ، رقم ١٣٦ طبعات ج ١ ، ورقة ٥٧ ، ٥٨ ( يفرق التيفاشي بين الزمرد والزبرجد فيذكر أن الزمرد يتكون في موضع الزمرد ويوجد معه إلا أنه أقل وجوداً من الزمرد . ويذكر أن الزبرجد يتكون من مكونات الزمرد سواء بسواء وكأنه نوع منه ابتداءً ليكون زمرداً ثم قصره عنه في كيانته بسبب الأهراس الداخلة عليه من ضعف ) .

(٤) — ابن الفقيه الحماني : البلدان ، طبعه لندن ١٨٩١ ، ص ٧٨ .

— ابن حوقل : صورة الأرض ، القسم الأول ، ص ١٥٠ .

(٥) — ابن حوقل : نفس المصنف السابق والصفحة .

— الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص ٢٢ .

— أسد بن مالك : قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، القاهرة ١٩٤٣ ، ص ٨١ .

الأحمر وفي صحراء العتاي<sup>(١)</sup> . كما يوجد موضع آخر له عند مدينة قنط يعرف بالخربة<sup>(٢)</sup> .

ويوجد الزمرد في مغارات مظلمة كان يدخل إليها بالمصابيح ويحبال يستدل بها على الرجوع خوف الضلال . ويحفر عليه بالمعاول فيوجد في وسط الحجارة وحوله عشب دونه في اللون والموهر<sup>(٣)</sup> . وهو يوجد إما عروفاً خضراً في طبقات من الحجر الأبيض ، وإما مختلطاً بالتراب<sup>(٤)</sup> . وتعرف العروق في اصطلاح الجوهرين باسم القصب ، أما ما يوجد في التراب فيعرف بالقص<sup>(٥)</sup> .

ويذكر المسعودي أن الزمرد أربعة أنواع ، أجودها وأغلاها ثمناً النوع الذي يعرف باسم « المر » وهو شديد الخضرة . ويأتي بعد النوع ثان يعرف بالبحري ، ثم نوع ثالث يعرف بالمغربي . أما أدنى الأنواع الأربعة وأقلها ثمناً نوع يعرف بالأصم<sup>(٦)</sup> . بينما يذكر التيفاشي أن أجود أنواع الزمرد تعرف باسم الدبابي ، يليه نوع يعرف بالريحاني ، ثم يأتي بعد الريحاني نوع يعرف بالسلي ، أما أدنى أنواعه فهو ما يعرف بالمصابوني<sup>(٧)</sup> .

وقام بنو الكتر ، خلال العصر الفاطمي ، بتصدير أحجار الزمرد إلى سائر بلاد

(١) برست : تاريخ مصر ، ص ٢٧٨ .

Beltoni, G. : Narrative of the Operations and recent discoveries in Egypt and Nubia, London 1922.

(٢) المقري : البلدان ، ص ٣٣٣ - أنظر الملحق رقم (٧) . ص ١٥٢

- المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٢٤٨ - ٢٥٠ .

(٣) الفريزي : الخطط ، نشر فيت ، القسم الثاني ، الجزء الثالث ، ص ٢٦٧

(٤) القلقشنبي : صبح الأمل ، ج ٣ ، ص ٢٨٦ .

(٥) التيفاشي : نفس المصدر ، ج ١ ، ورقة ٤٧ .

(٦) المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٢٥٠ .

(٧) التيفاشي : نفس المصدر السابق ، ورقة ٤٨ ، ٤٩ .

- ( يقول التيفاشي : إن أجود أنواع الزمرد سمي بالدبابي نسبة لونه بالخضرة التي تكون في الكبار من القباب الرمي لاني صفاته الموجد في البيوت ، وأما بقية الأصناف المذكورة من الزمرد غير الدبابي فإنها قاذرة مقصرة عن جميع الخواص الموجودة في الدبابي ) .

العالم<sup>(١)</sup> ، فكان جميع ملوك الأرض وأهل الآفاق تستمد منه<sup>(٢)</sup> .

كذلك أمد بنو الكثر البلاط الفاطمي بكميات كبيرة من الزمرد . فيسحكي ، على سبيل المثال ، أن رجلا من حران قدم على الخليفة الحاكم بأمر الله من أرض البجة و معه غلله مملوءة بالزمرد والجوهر الذي جمعه من أرض البجة<sup>(٣)</sup> .

وقد وجدت كميات هائلة من الزمرد في خزائن الخلفاء الفاطميين ، وأمرائهم وكبار رجال دولتهم<sup>(٤)</sup> . ففي أيام الشدة المستنصرية وجد في خزائن القصر الفاطمي صندوق به سبعة أمداد زمرد قيمتها على الأقل ثلثمائة ألف دينار<sup>(٥)</sup> . ووجد ضمن مخلفات الخليفة العاضد التي استولى عليها صلاح الدين زمرد طوله أربع أصابع في عرض عقد كبير<sup>(٦)</sup> . كما خلقت الأميرة عبدة بنت المزمز لدين الله ، التي توفيت سنة ٤٤٢ هـ ، ثروة طائلة لا تحصى منها إردب من الزمرد<sup>(٧)</sup> . ولما مات جوهر الصقلي وجد عنده من جملة ما وجد ألف قصبية من القصب الزمرد<sup>(٨)</sup> .

(١) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص ٢٢ .

— سليمان التاجر : رحلته — عن كتاب جامع التواريخ ، نشر سوطاجيه ، باريس ، ١٨١١ ، ص ١٤٧ .

— يقول سليمان ( يحصل إلى الهند الزمرد الذي يرد من مصر مركباً في القوارب مصقلاً في الخفاق ) .

(٢) أسعد بن عمال : قوانين النواوين ، ص ٨١ .

— الفلقشنسي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٢٨٧ .

— ( ذكر ابن عمال معدن الزمرد بقوله : « ليس في الدنيا معدن زمرد إلا في مصر » ) .

(٣) ابن حنبل : أخبار ملوك بني عبدة وسيرتهم ، طبعة جول كريبول بالجزائر ١٣٤٦ هـ ، ص ٥٥-٥٧ .

(٤) ابن حنبل : نفس المصدر السابق ، ص ٥٥ .

(٥) ذكر المقرئ أن هذا الصندوق بيع لأحد القواد بثمان مئتي وخمسة دنانير ( انقطعت ، طبعة بولاق ، ج ١ ، ص ٤٢ ) .

(٦) ابن الأثير : الكمل ، ج ٩ ، ص ١٢ .

— ابن خلوف : العبر ، ج ٤ ، ص ٨١ .

— السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، طبعة مصر ١٣٢١ هـ ، ج ٢ ، ص ٢٨ .

(٧) المقرئ : انقطعت ، طبعة بولاق ، ج ١ ، ص ٤١٤ .

— أبو الحسن : التنجيم الزاهرة ، طبعة القاهرة ، ج ٤ ، ص ١٩٣ .

— زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ، القاهرة ١٩٣٧ هـ ، ص ٤٧ .

(٨) كذلك وجد عنده سبائة خاتم بفصوص من الزمرد والياقوت والماس ( ابن لباس : بدائع الزهور في وقائع المحور ، طبعة بولاق ، ١٣٢١ هـ ، ج ١ ، ص ٥١ ) .

واستمر بنو الكنتز في استغلال معدن الزمرد واحتكار تصديره إلى أن بدأ في النضوب في أواخر العهد الفاطمي . وأخيراً انعدم وجوده تماماً في عهد ولاية السلطان الناصر محمد بن قلاوون الثالثة ( ٧٠٩ - ٧٤١ هـ )<sup>(١)</sup> .

وبجانب ما تحقق لبني الكنتز ، أثناء إمارتهم الأولى ، من ثراء بسبب اشتغالهم في استخراج الذهب والزمرد من مناجم العلاق ، فإن إشرافهم على الحركة التجارية بشعر عيذاب وعلى نقل متاجر الشرق من عيذاب عبر الصحراء الشرقية إلى قوص وأسوان كان مصدراً هاماً آخر من مصادر ثرائهم<sup>(٢)</sup> . هذا ومن المعروف أن عيذاب أصبحت المركز الرئيسي لهذه التجارة في أوائل القرن الرابع الهجري<sup>(٣)</sup> .

وفضلاً عن ذلك فإن تحول طريق الحج إلى قوص - عيذاب - جدة ، منذ أيام الشدة المستنصرية ، أضاف إليهم مورداً آخراً من موارد الكسب ، يتمثل فيما كانوا يحصلون عليه من الحجاج نظير نقلهم عبر الصحراء<sup>(٤)</sup> . ومن المحتمل أن بنى الكنتز ، في عهد إمارتهم الأولى ، كانوا يقومون بحماية هذه المكوس والرسوم من الحجاج والتجار لحسابهم الخاص<sup>(٥)</sup> .

(١) الفلقشتي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٢٨٢ .

(٢) يقول الفلقشتي : يوجد معدن الزمرد الذي لا نظير له في سائر الأرض في مفارة في جبل على ثمانية أيام من مدينة قوص ، يوجد عرباً خطراً في تطاييق حبراً أبيض ، وأفضله النبابي ، وهو أقل من القليل ، يل لا يكاد يوجد ، ولم يزل هذا المعدن يستخرج منه الزمرد إلى أثناء الدولة الناصرية . محمد بن قلاوون ، فأهل أمره وترك . (٢) ناصري خسرو : سفرنامه ، ص ٧٢ .

(٣) يحكي لنا ناصري خسرو مشاهداته أثناء مروره بعيذاب فيذكر أن البضائع الواردة من الحبشة وزنجبار واليمن بطريق البحر إلى عيذاب كانت تنقل منها عبر الصحراء الشرقية إلى أسوان ومنها إلى السفن النيلية إلى القسلاط (٣) دراج : عيذاب ، ص ٥٦ .

(٤) مصطفى مشرفة : نظم الحكم في مصر في عصر الفاطميين ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٢٢٠ .

— Newbold: The Crusaders in the Red Sea and the Sudan, S.N.R., XXVI, Part, II, 1945, P. 220.

(٥) لم يرد في المصادر ما يشير إلى ذلك الأمر بصورة قاطعة ، ولكن دخيل ثمر عيذاب داخل نطاق إقطاع إمارة ربيعة الأولى ( بنى الكنتز ) يجعلنا نفترض هذا الاحتمال في العهد الفاطمي - وفي العهد الأيوبي انتزع صلاح الدين إقطاع بني الكنتز منهم وبالتالي فرض سيطرة الدولة على الثروة مما يؤكد حرمان بني الكنتز من أية رسوم أو مكوس تجبي في الثغر . وفي العهد المملوكي يشترك كل من ابن الوردى وابن بطوطة إلى وجود عامل من البيه يشرف على الثغر ويشترك في ذلك مع عامل الدولة . ويقول ابن الوردى ( غرينة المسائب ، ص ٦٦ ) « كان على عامل مصر ( في عيذاب ) القيام بطلب الأرزاق وعلى عامل البيه حساباً من الحبشة » . ويذكر ابن بطوطة ( رحلته ، ص ٣٦ ) أن ثلث مدينة عيذاب ملك الناصر محمد وثلاثها ملك البيه وهو يعرف بالحداري .

## ٢ - ازدهار مدينة أسوان في عهد إمارة بني الكنتز الأولى

انتعشت مدينة أسوان اقتصادياً وازدهرت ثقافياً حين اتخذها بنو الكنتز قاعدة لإمارتهم الأولى .

وكان اختيار بني الكنتز لأسوان قاعدة لإمارتهم اختياراً موفقاً لما كانت تتمتع به هذه المدينة من موقع جغرافي ممتاز يربط بين شمال وادي النيل وجنوبه وينحكم في طرق التجارة المؤدية إلى السودان ووسط أفريقية<sup>(١)</sup> . وقد عمل بنو الكنتز منذ أن استقروا في أسوان على النهوض بها واستغلال موارد ثروتها وتحصينها وحمايتها ضد أي غزو خارجي تتعرض له فشجعوا التجار القادمين إليها وأمنوا الطرق أمامهم ووفروا لهم وسائل الراحة داخل المدينة ، وقاموا بحماية طريق الحج إلى عيذاب الذي كانت تتحكم فيه أسوان<sup>(٢)</sup> . وأقاموا جيشاً قوياً من رجالهم مستعدياً بالسلاح لحماية الثغر من هجوم النوبة والسودان عليه<sup>(٣)</sup> . وقد حكى الرحالة الفارسي ناصري خسرو عن تحصين أسوان وقوة هذا التحصين عند زيارته لها ( في الخامس من ربيع الأول سنة ٨٤٤٢ ) أيام إمارة بني الكنتز ، وكان قد مكث بها واحداً وعشرين يوماً<sup>(٤)</sup> .

وساد أسوان الأمان والرخاء في عهد إمارة بني الكنتز<sup>(٥)</sup> . حتى أننا لم نجد في المصادر أي ذكر لحوادث خرق الأمن أو قطع الطريق ، بل كان صاحب المتجر يترك متجره

(١) أسوان من أقدم المدن المصرية ، ذكرها جوتييه في قاسوسه ، فقال إن اسمها المصري هو Soun أو Sounou ومعناها السوق أو محل التجارة حيث كان تتبادل أنواع التجارة بين القطرين المصري والسوداني ولسمها القبطي Souan ومنه اسمها العربي أسوان ( محمد ريزي : القاموس الجغرافي ، القسم الثاني من ج ٤ ، ص ٢١٦ ) .  
(٢) نعم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجرافيته ، ج ١ ، ص ٧٤ .  
(٣) Mac Michael: The Anglo Egyptian Sudan, London, 1934, P. 28.  
(٤) المقريزي المخطوط ، نشر فيت ، الجزء الثالث ، القسم الثاني ، ص ٢٨٠ .  
(٥) قال ناصري خسرو ( سفرنامه ، ص ٧١ ) : « كانت أسوان حصينة جداً بحيث لا يستطيع أحد أن يفصلها من النوبة وبها جيش دائم للحفاظ عليها » .  
(٦) يذكر المقنسي أسوان بقوله هنا : « أسوان قصبة الصعيد على النيل عامرة كبيرة بها منارة طويلة ولها نخيل وكروم وضرائب وتجارات وهي من الأمهات » .



ويذهب للصلاة أو قضاء حاجته دون أن يفرق أحد على التعدي على متجره .  
كذلك كان الإنسان يسير في شوارع أسوان وطرقها ليلاً ومع ما شاء فلا يجد  
من يعترضه<sup>(١)</sup> .

ومن مظاهر الرخاء الذي ساد أسوان في عهد إمارة بني الكثر الأول أن غلة القديان  
بأسوان بلغت ثلاثين إردباً من القمح وأربعين إردباً من الشعير وأربعة وعشرين إردباً  
من الذرة<sup>(٢)</sup> . وكانت نخيل أسوان تنتج سنوياً ثلاثين ألف إردب من البلح<sup>(٣)</sup> .  
وقال إن نخلة واحدة حصل منها اثني عشر إردباً من التمر<sup>(٤)</sup> .

أما عن الكروم فكان من كثرتها وجودة إنتاجها بأسوان أن الأدفوي يتحدث  
عنها قائلاً : « رأيت قطف عنب جاءت زنته ثمانية أوطال بالليثي ، ووزنت حبة عنب  
جاءت زنتها عشر دراهم »<sup>(٥)</sup> .

وقد أشاد كل من الإدريسي والأدفي بزيادة خيرات أسوان أيام إمارة بني الكثر  
فذكر الإدريسي أن أسوان كانت عامرة كثيرة الحنطة وسائر أنواع الحبوب والفواكه وسائر  
البقول وأن بها اللحوم الكثيرة البالغة في الطيب والسمن . كما أشارت إلى أن أسعار  
أسوان مع الأيام رخيصة<sup>(٦)</sup> . وذكر الأدفي أن فاكهة أسوان كثيرة شديدة الحلاوة  
حسنة المنظر وأن لحوم مرعاها طيبة وأن غلالها كثيرة<sup>(٧)</sup> .

(١) الأدفي : الطالع السعيد ، ص ٢٧ .

(٢) الأدفي : نفس المصدر ، ص ٢٨ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ١٩٢ .

— Quatremère: Mémoires sur L'Egypte, T. II, P. 6.

(٤) ابن عبد السلام : الفقيه المديد في أخبار النيل السعيد ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٤٢٩

جغرافية ، ص ٤٢ .

(٥) الطالع السعيد ، ص ٢٧ .

(٦) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص ٢١ - ( يذكر الإدريسي رخاء أسوان بقوله : أسوان مدينة عامرة

كثيرة الحنطة وسائر أنواع الحبوب والفواكه والدلاع وسائر البقول وبها السموم الكثيرة من البقر والمجان والماعز  
والغرفان وغيرها من صنوف السموم النجبية البالغة في الطيب والسمن وأسماؤها مع الأيام رخيصة ) .

(٧) الأدفي : الطالع السعيد ، ص ٢٦ ، ٢٧ - ( يقول الأدفي : الطالع السعيد ، ص ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٨ -

أسوان أكثر نضجاً من جميع الإقليم . وفاكهة هذا الإقليم شديدة الحلاوة حسنة المنظر ، وذكر ابن زولاقي أنه  
ليس نوع من أنواع التمر بالمراة إلا في أسوان . ومن محاسن هذا الإقليم الطيب لحم الجيوان ولقته وسمن خلاه  
وكثرتها ) .

شهدت أسوان نهضة ثقافية كبيرة في عهد إمارة بني الكثر الأولى ، وذلك لاهتمام بني الكثر بالثقافة والتعليم وبسبب الرأى الذى كانوا ينعمون به . فقد جعل بنو الكثر من أسوان قبلة للعلماء والشعراء وتشبهوا بالخلفاء في تشجيعهم لهم وأجزلوا لهم العطاء<sup>(١)</sup> وأصبح الغالب على إقليم أسوان في عهد بني الكثر العلم والفهم والدين والرياسة وحب العمارة وجمع المال والسماح والبهاء والزينة<sup>(٢)</sup> . ولهذا خرج من أسوان خلّاق كثير من أهل العلم والرواية والأدب<sup>(٣)</sup> . وعلى سبيل المثال ، يذكر لنا الأديب أن قاضى قوص حضر مرة إلى أسوان فخرج للقاءه أربعمائة راكب بغلة - وكان لا يركب البغال إلا العلماء والقضاة - ، كما أضاف بأنه كان بها ثمانون رسولاً من رسل الشرع<sup>(٤)</sup> . وكان قضائهما من بني المفضل ، وهم أهل علم وكرم ورياسة وحشم<sup>(٥)</sup> .

ونسب إلى أسوان في عهد إمارة بني الكثر عدد كبير من العلماء منهم :

١ - القاضي الفاضل أحمد بن على بن الزبير الفسافى الأسوانى الملقب بالرشيد والمتوفى سنة ٥٦٣ هـ<sup>(٦)</sup> .

٢ - الأديب الكاتب إبراهيم بن محمد الأسوانى الملقب بفخر الدولة (ت ٥٥٨١ هـ) ، وهو ابن أخت الرشيد وأول من كتب الإنشاء للسلطان صلاح الدين ، كما كتب لأخيه العادل<sup>(٧)</sup> .

٣ - العالم أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن أبى حاتم الأسوانى<sup>(٨)</sup> .

٤ - العالم الطبيب الماهر هبة الله بن صدقه الأسوانى المتوفى سنة ٦٤٢ هـ<sup>(٩)</sup> .

(١) الأديب : الطالع ، ص ١٣ .

(٢) الأديب : نفس المصدر ، ص ٢٩ .

(٣) ابن دقاق : الانتصار بواسطة عقد الأنصار ، طبعه بولاق ١٣١٠ هـ ، ج ١ ، ص ٣٤ .

(٤) الأديب : الطالع ، ص ٢٩ .

(٥) الأديب : نفس المصدر ، ص ٣٢ .

(٦) ذكره المساد الأصمغاني بقوله إنه كان ذا علم عزيز وفضل كبير ، شاعر ومعلم بالفتنة والمنطق وضرب الأرائل ، ويقول عنه الأديب إنه كان من محاسن الزمان ( الطالع ، ص ٩٨ ، ١٠٢ ) .

(٧) الأديب : نفس المصدر ، ص ٦٤ .

(٨) ياقوت : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ١٩٢ ( توفي في أواخر القرن السادس الهجرى ) .

(٩) كان يعرف بابن الزبير وكان قيساً في فن الطب وفي صناعة اليد ، وكان رئيساً على طبباء مصر وطبيب

لكثيفة الماشد الخافض ( الأديب : الطالع ، ص ٦٩١ ) .

وتخضع فيما بعد عن هذه النهضة الثقافية التي شهدتها أسوان في عهد إمارة بني الكثر تأسيس ثلاثة مدارس كبرى بها ، درس وأعاد بها عدد كبير من العلماء ، والمعبد<sup>(١)</sup> . وهذه المدارس هي : المدرسة النجمية ، والمدرسة السيفية ، والمدرسة البانياسية<sup>(٢)</sup> .

ولا يفوتنا في هذا المجال ، ونحن يصدد ذكر علماء أسوان في عهد إمارة بني الكثر أن نذكر المؤرخ الجغرافي عبد الله بن أحمد بن سليم الأسواني صاحب كتاب « أخبار النوبة والمقرة وعلوه والبيجة والنيل » ، الذي أمدنا بأهم المعلومات عن تاريخ بلاد النوبة ، وكان ابن سليم قد أوفده القائد جوهر الصقلي في سفارة إلى جورج الثاني ملك النوبة ، فكتب لنا كتابه هذا من واقع المشاهدة العينية وما سمعه من النوبيين<sup>(٣)</sup> .

• • •

(١) نظام الإعادة بالمدارس الإسلامية في القرون الوسطى هو بعينه النظام المعروف في المصاحف الحديثة ، فالمعيد أقل درجة من الأستاذ أو من الشيخ وعليه أن يعيد للطلبة ما سبق أن قرره الفقيه وأن يستمع إلى استلهم ويحجب عنها ( حاشية رقم ٢ ) ، ص ٩٣ ، الطالع السيد للأدفي .  
(٢) الأدفي : الطالع السيد ، ص ٢١٠ ، ٢٥٥ ، ٦٥٩ .  
- درس بالمدرسة النجمية : القاضي إسماعيل بن محمد بن حسان بن عززوج المتوفى سنة ٥٥٩٩ . ودرس بالمدرسة السيفية الشيخ شبيب بن يوسف الإسائي المتوفى في القرن السادس الهجري ( انظر الطالع ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، ٧٢٨ ) .  
(٣) المقرري : نماذج من مخطوطة المقرري ، ص ٣٠ .

### ٣- دور بني الكنز في نشر الإسلام بين قبائل البجة الوثنية وقبائل النوبة المسيحية

قام بنو الكنز بدور هام في نشر الإسلام بين قبائل البجة الوثنية وقبائل النوبة المسيحية ، وكان لهم الفضل الأكبر في تحول هذه القبائل عن دياناتها وإيقاها على هذا الدين الخفيف .

أما عن البجة فلقد أدى استقرار القبائل العربية التي تدين بالإسلام . ومنها قبيلة ربيعة ، بين قبائلها إلى تسرب الإسلام إليها<sup>(١)</sup> . وشاهد ذلك تلك المساجد التي بنيت في بلادهم والتي نصت المعاهدة الموقعة سنة ٢١٦ هـ بين ابن الجهم وكنون بن عبد العزيز رئيس البجة على حمايتها ورعايتها<sup>(٢)</sup> . كما أن هجرة ربيعة الكبرى إلى بلادهم سنة ٢٣٨ هـ ، وما ترتب على ذلك من اندماج بني ربيعة بين البجة ومصاهرةهم لم أدت إلى أن أسلم على أيديهم الفرع المعروف بينهم باسم الحدارب . ونتيجة لهذه المصاهرة بين بني ربيعة والحدارب ، فضلا عن وحدة العقيدة ، سيطر الحدارب على الفرع الآخر الذي لم يسلم والمسمى بالزنافج<sup>(٣)</sup> .

ويبدو أن الوضع الممتاز الذي وصل إليه الحدارب دون بقية البجة ، بسبب إسلامهم ، أدى ببقية القبائل الأخرى إلى أن تسارع إلى اعتناق الإسلام حتى تصبح لها نفس امتيازات الحدارب ، وأدى كل ذلك إلى انتشار الإسلام بين قبائل البجة . فتجدد القبائل البجاوية تتحول جميعها بمرور الوقت إلى الإسلام ، وخاصة حين استقر بينهم بنو كاهل أصحاب ربيعة الذين ورثوا عنهم حكم قبائل البجة في الصحراء الشرقية<sup>(٤)</sup> .

(١) يشير المقرئ إلى أن جماعات من عرب هوازن المسلمين نزحوا إلى أرض البجة في أعقاب فتح مصر ونسب لهم نشر الإسلام على نطاق ضيق بين قبائل البجة ( المخطط ، طبعة فيث ، القسم الثاني ، ج ٣ ، ص ٢١٢ ) .

(٢) عن نص المعاهدة ، انظر خطط المقرئ ، طبعة بولاق ، ج ١ ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٣) المقرئ : المخطط نشرقيث ، القسم الثاني ، ج ٣ ، ص ٢١٢ .

(٤) تحدث ابن بطوطة عن بني كاهل واستقرارهم في ثغر عيذاب واشتغالهم بالبجة ، أثناء رحلته الأولى إليها سنة ٧٢٦ هـ . ومن بقايا قبائل البجة المسيحية الآن بالصحراء الشرقية والتي تنسب إلى بني كاهل : البشاريون وأصحابهم الميابة ، وجميعهم مسلمون ، انظر رحلة ابن بطوطة ، ج ١ ، ص ٣٥ - ٣٧ .

أما عن منطقة مريس في بلاد النوبة فإن الإسلام بدأ يتشرب بين أهلها منذ أن أخذ العرب يرحلون إليها في أعقاب فتح مصر . والدليل على دخول الإسلام بلاد النوبة في هذه الفترة المبكرة أن عقد عبد الله بن سعد بن أبي السرح مع النوبة سنة ٣١ هـ نص على رعاية المسجد الذي كان العرب قد بنوه هناك والحفاظة عليه<sup>(١)</sup> .

غير أن المصادر تصمت عن الإشارة عن مدى تحول النوبيين إلى الإسلام حتى أواخر حكم الإخشيديين لمصر . وفي العصر الفاطمي يذكر لنا ابن سليم الأسواني أن كثيراً من النوبيين اعتنقوا الإسلام على الرغم من جهلهم باللغة العربية<sup>(٢)</sup> . وليس هناك من سبيل إلى تحقيق ذلك إلا أن يكون عرب ربيعة تعلموا لهجة النوبيين واستطاعوا بذلك إقناعهم بالدخول في الإسلام ونشر ثقافتهم الإسلامية في منطقة المريس . وعلى هذا النحو يكون غالبية أهل مريس قد تحولت إلى الإسلام على يد بني الكتر مع بداية قيام الدولة الفاطمية في مصر<sup>(٣)</sup> .

وكان لبني الكتر الفضل في انهيار المسيحية في مملكة مقره ونهاية دولتها حين استطاعوا الوصول سنة ٧٢٣ هـ إلى عرش دنقلة<sup>(٤)</sup> . وليس نعمة شك أن تولى ملك مسلم عرش دنقلة أدى إلى الإسراع بتحويل بقية أهالي النوبة المسيحية إلى الإسلام ، كما أدى ذلك أيضاً إلى ازدياد انتشار الإسلام في ربوع السودان<sup>(٥)</sup> .

ويكفي لإبراز هذا التحول لغالبية النوبيين من المسيحية إلى الإسلام أن كثر الدولة نصر بن شجاع الدين قام ، في أوائل القرن الثامن الهجري ، بإنشاء المسجد الجامع

(١) المقرئ : الخطط ، طبعه بولاق ، ج ١ ، ص ١٩٩ .

(٢) يقول ابن سليم : « ولها ( مريس ) جماعة من المسلمين قاطنين لا يفصح أحدهم بالعربية ( المقرئ : الخطط ، بولاق ، ج ١ ، ص ١٩٠ ) .

(٣) مصطفى سمح : الإسلام والنوبة ، ص ١٣٤ .

(٤) Trimingham, J., Spencer: Islam in the Sudan, London 1949, P. 68.

(٥) ابن خلدون : العبر ، ج ٢ ، ص ٤٢٩ .

— Arkell: History of the Sudan, P. 198.

— Budge: The Egyptian Sudan, Vol. I, P. 107.

في دنقلة على أنقاض كنيسة دنقلة الشهيرة<sup>(١)</sup> .  
ويمكن القول أنه ما كاد القرن الثامن الهجري يتتصف حتى كانت الغالبية الغالبة  
من النوبيين قد اعتنقت الإسلام<sup>(٢)</sup> .

— Budge, E.A. Wallis: The Egyptian Sudan, Vol. II, P. 130.

(١)

( يقول بلنج : المراجع أن كنز النوبة حبل الطابق الثاني لكنيسة دنقلة إلى جلع وظل الطابق الأرضي  
يمثل دار عبادة يندل قبل المقريري : إنه كان يأوي إليه الغرباء ، ولم يذكر تاريخ إنشاء هذا الجناح غير أنه  
يقال إنه أُنشئ حوالي سنة ١٣١٨ م في حكم كنز النوبة نصر الأول لقنوة ) .

— المقريري : الخطوط ، طبعة بولاق ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

(٢) مصطلح مسند : الإسلام والنوبة ، ص ١٧٤ ، ١٨٢ .

#### ٤ - ما ذكره الكتاب والشعراء في مآثر بني الكنز

نعم بنو الكنز بالإستقرار أيام إمارتهم الأولى في ظل الخلافة الفاطمية ، وكسبوا السمعة الطيبة في العالم الإسلامي ، كما جمعوا الثروة الطائلة وعاشوا عيشة الترف والذخ . وهذا شجع الشعراء والكتاب على أن يقدوا إلى بلادهم من الأماكن البعيدة ويشيدوا بذكرهم ويكثروا من مدحهم ، وذلك بعد أن عرفوا ما يتمتع به هؤلاء الأمراء من كرم زائد وحب للعلم والعلماء .

يقول الشاعر عمارة البني في رسالة ، وجدت في مخطوطة مجهولة<sup>(١)</sup> . أرسلها إلى الشيخ كمال الدين بن شكر قاضي أسوان في عهد خلافة الخليفة العاضد الفاطمي ويتحدث فيها عن مآثر بني الكنز : « إلى الكنز تنتهي رئاسة أسوان وأعلامها وسياسة أعلامها وبهم تحلت بسيفها وضيئها ورحلتا شتائها وصيفها . وخذ إليك واحسب على يدك كم هناك من راسخ أسباب وشامخ أحساب وصحة أديم ومجد قديم وفخر عميم وكرم صميم . أوليس أسوان بهم مأوى الطريد ومقر الشريد وأمان الخائف والذمة من الدهر الخائف . ثم هي سداد الثغر إذ انفتح وسداد الأمر إذا فدح وعنوان الصدق لمن مدح . العادلون إلا على الوفر والفاصلون بين الإسلام الكفر »<sup>(٢)</sup> .

ويشيد الأدقوي ببني الكنز فيذكر أنهم أمراء أصائل ، أهل فتوة وكرام ، ممدوحون مقصودون من البلاد الشاسعة والأماكن المتباعدة<sup>(٣)</sup> . ويضيف عنهم قوله ، أنه لما هزمهم صلاح الدين في معركة طود ونزحوا من أسوان إلى بلاد النوبة دخل جند صلاح الدين بيوتهم فوجدوا بها قصائد في مدحهم ، منها قصيدة وضعها الشاعر أبو محمد الحسن ابن الزبير أجازها عليها الأمير كثر الدولة بن المتوج بألف دينار كما أوقف عليه ساقية

(١) هذه الرسالة وردت خطأ في نهاية مخطوطة : « مقامات الجزائر ورسائله وقاماته ورقاه وتريفاته . وهي مخطوطة بمكتبة أبا صليبا بأستانبول تحت رقم ٤٢٩٩ ، وصورت نسخة منها بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، مخطوطة رقم ٧٩٦ .

(٢) الجزائر : مقاماته ، مخطوطة ، ص ١٩٤ .

(٣) الطالع السيد ، ص ٣١ .

تساوى ألف دينار<sup>(١)</sup> . وأوقف عليه أيضاً ما تحت الساقية من قصب وبهاشم وغير ذلك<sup>(٢)</sup> .

وتحدث الأديب عن أميرين من بني الكثر كانا معاصرين له وهما : الأمير فخر الدين مالك ، وابن أخيه الأمير نجم الدين عمر ، وذكر أنهما كانا مشهورين بالمكارم والإحسان وأضاف بأن لنجم الدين ولأولاده بأسوان آثاراً جميلة وأوقافاً على وجوه البر جزيلة<sup>(٣)</sup> . ويدلل على كرم الأمير نجم الدين بما قام به من مجهودات وقدمه من مساعدات لأهالي أسوان حين تعرضت للغلاء سنة ٧٩٤ هـ فيقول : إنه « أعطى الغلال حتى نفدت ثم التار حتى فرغت ثم ذبح النعم حتى خرج الغلاء »<sup>(٤)</sup> .

ويشيد السخاوي ببني الكثر في حديثه عنهم ، فيذكر أنهم كانوا رؤساء أسوان وكان كل رئيس منهم ممن يضيف ويهب ويحير<sup>(٥)</sup> .

هذا وقد مدح شجاعة وكرم بني الكثر كثير من الشعراء ، ونظموا في مدحهم القصائد الطوال . وكان من أهم من مدحهم وذكر مناقبهم وجمع أسماء من مدحهم من أهل أسوان ومن رد عليهم وكتب عليهم سيرة الشاعر أبو الحسن علي بن عرام<sup>(٦)</sup> . وما يوسف له أن ديوان ابن عرام فقد ولم يعثر عليه حتى الآن . وكل ما تعلمه عن هذا

(١) من أبيات هذه القصيدة ، قوله في مدح بني الكثر :  
ويتجدد أن غاته النهر أو سطاً أناس إذا ما أتجد الفل أتجوا  
آجاروا فما تحت الكواكب غالتفا ويادوا فما فوق البسطة مسدداً

(الأديب : الطالع ، ص ٣١) .

(٢) السخاوي : النبر المسبوك في ذيل السلوك ، ص ٩٣ .

(٣) الطالع السعيد : ص ٣١ (توفي الأديب سنة ٧٤٨ هـ) .

(٤) الطالع السعيد : نفس الصفحة السابقة .

(٥) السخاوي : النبر المسبوك ، ص ٩٣ .

(٦) يقول الأديب عن ابن عرام ( الطالع ، ص ٣٧١ ) : « ذكره العاد في الخريطة ، بقوله عنه إنه شيخ من أهل الأدب بأسوان سألت بمصر سنة ثلاث وسبعين وخمسة مائة فقلت إنني بأسوان وطلبت شعره فأحضر لي بعض أشعاره من أهلها ديوانه فوجدته حاكياً في ساء السحر كيوانه فجمعت شارب حسنه وقيلت عليه أسواله » .  
- هذا ولم يذكر الأديب تاريخ وفاة ابن عرام ، لكن السيوطي ذكر أنه توفي في حدود سنة ٥٨٠ هـ .  
ورافقه على هذا التاريخ كل من الزركلي وكماشة ، انظر السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، طبعه بولاق ١٣٢٧ هـ ، ج ١ ، ص ٢٥٩ - الزركلي : الأعلام ، طبعه مصر ١٩٢٧ هـ ، ج ٥ ، ص ١٤ -  
عر رضاء كماشة : معجم المؤلفين ، طبعه دمشق ١٩٥٩ هـ ، ج ٧ ، ص ٢٠ .



الديوان أنه كان سنة ٥٧٣ هـ في حوزة قاضي أسوان<sup>(١)</sup>، وأن صاحب الخريدة وحماد الدين الأصفهاني، اطلع عليه ونقل منه بعض أشعار ابن عرام وخاصة في مدح بني الكثر<sup>(٢)</sup>. وعلى رأس الشعراء الذين مدحوا بني الكثر الشاعر المهذب أبو محمد الحسن بن الزبير (ت ٥٦١ هـ) الذي يعتبر من أعظم شعراء مصر في عهده<sup>(٣)</sup>. كما أمدنا ابن عرام في ديوانه بعدد من الشعراء ممن مدحوا بني الكثر، ومن هؤلاء:

- ١ - الشاعر أبو إسحق بن شعيب الأسواني :  
(عاش في أوائل القرن السادس الهجري)<sup>(٤)</sup>.
- ٢ - الشاعر أحمد بن محمد الروزي أبو جعفر الأسواني :  
(عاش في المائة السادسة)<sup>(٥)</sup>.
- ٣ - الشاعر علي بن محمد بن النضر الأسواني :  
(المتوفى في منتصف القرن السادس الهجري)<sup>(٦)</sup>.
- ٤ - الشاعر أحمد بن محمد الأسواني البولاقى :  
(وهو معاصر للأمير كثر الدولة بن المتوج المتوفى سنة ٥٧٠ هـ)<sup>(٧)</sup>.
- ٥ - الشاعر عبد الله أحمد بن سلامة الأسواني :  
(وهو معاصر أيضًا للأمير كثر الدولة بن المتوج)<sup>(٨)</sup>.
- ٦ - الشاعر محمد بن علي بن القمر الأمستاني :  
(توفى سنة ٥٧٤ هـ)<sup>(٩)</sup>.

(١) عن شرايين عرام، انظر: خريطة القصر للأصفهاني، الجزء الخامس من شعراء مصر، تحقيق أحمد أمين وشوقي ضيف، القاهرة ١٩٥٠، ج ٢، ص ١٦٥ - ١٨٢.

(٢) الأصفهاني: خريطة القصر، قسم شعراء مصر، ج ١، ص ٢٠٠ - ٢٠٢.

- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ١٤٥.

(٣) الأدهي: الطالع، ص ٧٣٦.

(٤) نفس المصدر: ص ١٢٨.

(٥) نفس المصدر: ص ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٤.

(٦) محمد كامل حسين: دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين، القاهرة ١٩٥٧، ص ٢٢.

(٧) الأدهي: الطالع، ص ٢٧٧ (نقل إلينا بعض أبيات من قصيدة له في منح كثر الدولة بن المتوج).

(٨) الأدهي: الطالع، ص ٥٥٧، ٥٥٨.

- ٧ - الشاعر محمد بن رائق أبو عبد الله الأسواني :  
 (المتوفى في أواخر المائة السادسة) <sup>(١)</sup>  
 ٨ - الشاعر سهل الأسواني <sup>(٢)</sup> .  
 ٩ - الشاعر عبد الله محمد بن رزيق الأسواني <sup>(٣)</sup> .

• •

(١) الأديب : الطالع ، ص ٥٦٠ ، ٥٢١ .  
 (٢) الأديب : الطالع ، ص ٢٥٧ ( أورد بعض أبيات من قصيدة له في مدح بني النكر . ولم يذكر  
 سنة وفاته ) .  
 (٣) لم يذكر الأديب سنة وفاته ، انظر الطالع ، ص ٢٨٠ .

## ٥ - قائمة بأسماء أمراء بني الكنتز التي وردت في المصادر

أشير في هذا الفصل إلى ما سبق أن أشرت إليه من قبل في مقدمة هذا البحث من أنني حاولت جهدي أن أضع قائمة بأسماء أمراء بني الكنتز ، وأحدد سنوات حكم كل منهم مقرونة بأهم أعمال كل منهم على حدة . غير أن المصادر التي في متناول يدي لم تساعدني على تحقيق هذا الأمر ، وذلك لعلبة لقب كنتز الدولة على كل أمير منهم واكتفاء معظم المؤرخين بذكر اللقب دون الاسم .

هذا فضلاً عن أن تاريخ بني الكنتز لم يجتذب إلى دراسته - حتى الآن - القدر الكافي من اهتمام المؤرخين . لهذا جاءت هذه القائمة ناقصة ، وآمل أن يتم من يبحث بعدى في تاريخ بني الكنتز هذه القائمة إذا ما حالفه الحظ يوماً ما في التوصل إلى مصادر جديدة توضح الثغرات القائمة في حياة بني الكنتز وفي تاريخ إمارتهم .

### ١ - كنتز الدولة أبو المكارم هبة الله

هو أبو المكارم هبة الله بن أبي يزيد بن إسحق ، ويعرف بالأهوج المطاع . ويرجع نسبه إلى ربيعة الفرس وهو المؤسس الحقيقي لإمارة بني الكنتز<sup>(١)</sup> . تولى رئاسة الإمارة بعد وفاة أبيه أبي يزيد بن إسحق ، وهو الذي ظفر بأبي ركونة الخارج على الخليفة الحاكم بأمر الله وحصل بسبب ذلك منه على لقب كنتز الدولة<sup>(٢)</sup> . هذا ولم تذكر المصادر سنة وفاته أو مدة توليه رئاسة الإمارة .

### ٢ - كنتز الدولة محمد

اكتفت المصادر بذكر اسمه محمد مقروناً بلقب كنتز الدولة ، وذكرت عنه أنه استقل استقلالاً تاماً عن الدولة الفاطمية لمدة ثلاث سنوات فيما بين سنتي ٤٦٦ و ٤٦٩ هـ .

(١) راجع شجرة نسبه بالملحق رقم (١) ، ما بين ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٢) القفريزي : البيان والأعراب ، ص ١٥ ، ١٦ .

واقترن إعلان استقلاله بالاضطرابات التي عمت مصر في أعقاب الشدة العظمى التي وقعت في عهد الخليفة المستنصر بالله واستمرت سبع سنوات من سنة ٤٥٧ حتى ٤٦٤ هـ . وأضاف المصادر بأنه قتل سنة ٤٦٩ هـ بعد أن هزمه بدر الجمالي عند بلدة إسماعيلية<sup>(١)</sup> ، وأن جسده صلبت على باب الحديد فيما بين القاهرة ومصر<sup>(٢)</sup> .

• • •

### ٣ - كثر الدولة سعد الدولة سارديكين القواسي

ورد اسمه دون أن يقرن بلقب كثر الدولة على اللوحة التذكارية لإنشاء مثذنة جامع إسماعيلية سنة ٤٧٤ هـ<sup>(٣)</sup> . وذكر عنه بأنه عامل الفاطميين على صعيد مصر في عهد الخليفة المستنصر بالله ، وأنه توفي سنة ٤٩٤ هـ خلال إحدى المعارك ضد الصليبيين بالقرب من عسقلان حيث دفن هناك<sup>(٤)</sup> .

وانفق كل من ساويرس بن المقفع وأبو صالح الأرميني على أنه ابن أحد إخوة الأمير كثر الدولة محمد الذي قتله بدر الجمالي سنة ٤٦٩ هـ وأنه تولى إمارة بني الكثر وأصبح والياً على أسوان بعد أن عفى عنه بدر الجمالي بسبب وساطة مالك النوبة سالمون<sup>(٥)</sup> .

### ٤ - كثر الدولة بن المتوج

أجمعت المصادر على أنه هو الذي ثار ضد السلطان صلاح الدين بقصد إعادة الخلافة الفاطمية بعد أن ألغاه سنة ٥٦٧ هـ . وأجمعت معظم المصادر على أنه هُزم وقُتل

(١) ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٢٥ .

- النويري : نهاية الأرب ، مخطوطة ، ج ٢٦ ، ورقة ٧٠ .

- ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٦٤ .

- Quatremère: Mémoires sur L'Egypte T. II, P. 87.

(٢) - ساويرس بن المقفع : سير الآباء البطركية ، مخطوطة ، الجزء الثالث ، ورقة ٨٧ ب .

(٣) - انظر نص القرعة في الملحق رقم (٢) ، ص ١٤٦ .

(٤) - أبو الحسن : النجوم الزاهرة ، طبعة القاهرة ، ج ٥ ، ص ١٥٢ .

- Wiet: Nouvelles Inscriptions Fatimides, Extrait du Bulletin De L'Institut. D'Egypte, T. XXIV Session 1941-1942, PP. 146-147 .

(٥) ساويرس بن المقفع : سير أبيه الفتنسة ، مخطوطة ، ج ٣ ، ورقة ١٩٠ .

- أبو صالح الأرميني ، تاريخه ، ص ١٢٤ .

عند بلدة طود في السابع من صفر سنة ٥٧٠ هـ على يد قوات صلاح الدين التي أرسلها لقتاله بقيادة أخيه الملك العادل<sup>(١)</sup>.

وكان جواداً كريماً محباً للشعر والشعراء ، أجزل لم العطاء فأكثرُوا من مديحه في قصائدهم<sup>(٢)</sup> . وذكر ابن خلدون عنه أنه كان شيعياً للعلوية بمصر وأن أيامه طالت واشتهر<sup>(٣)</sup>.

#### ٥ - كثر الدولة نصر

هو كثر الدولة نصر بن شجاع الدين بن فخر الدين مالك ، وهو ابن أخت كرنيس ملك النوبة . أرسله كرنيس سنة ٧١٦ هـ إلى الأبواب السلطانية ليطالب بحقه الشرعي في عرش دنقله<sup>(٤)</sup> . واستطاع كثر الدولة نصر أن يغتصب عرش دنقله سنة ٧١٧ هـ ، ويعتبر مؤسس الإمارة الثانية لبني الكثر وأول ملوكهم في دنقله<sup>(٥)</sup>.

واضطرب السلطان الناصر إلى الاعتراف به ملكاً على النوبة على كُره منه بعد أن أرسل أكثر من حملة لتنجيته عن العرش<sup>(٦)</sup> . وكان يتمتع في إمارته بالاستقلال شبه التام ولا يربطه بالدولة الحاكمة في مصر إلا رابطة الولاء الروحي<sup>(٧)</sup>.

(١) - ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٣٠ .

- ابن شداد : النوادر ، ص ٢٦٩ .

- ابن خلدون : المعبر ، ج ٥ ، ص ٢٨٨ .

- الأدهفي : الطالع ، ص ٣١ .

(٢) - الأدهفي : الطالع ، ص ٢٧٧ .

(٣) - ابن خلدون : المعبر ، ج ٥ ، ص ٢٨٨ .

(٤) - النويري : نهاية الأرب ، مخطوطة ج ٣٠ ، ورقة ٩٥ .

(٥) - المقرئزي : السلوك ، ج ٢ ، القسم الأول ، ص ١٦١ .

(٦) - ابن فضل الله العمري : التبريف بالمصطلح الشريف ، ص ٢٩ .

(٧) - ابن بطوطة : رحلته ، ج ١ ، ص ٣٦ .

## ٦ - كثر الدولة فخر الدين مالك

هو كثر الدولة فخر الدين مالك بن نصر بن شجاع الدين ، ولي إمارة بني الكثر بعد وفاة أبيه في النصف الأول من القرن الثامن الهجري ، وكان معاصراً للأدفي (١) الذي توفي سنة ٧٤٨ هـ . كان مشهوراً بالكرام والإحسان والشجاعة ، مدحه الأدفي كثيراً وأشاد بكرمه ورواه (٢) .

## ٧ - كثر الدولة نجم الدين عمر

هو ابن أخ الأمير فخر الدين مالك السابق الذكر ، ولي إمارة بني الكثر في إمارتهم الثانية في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري بعد عمه فخر الدين مالك ، تحدث الأدفي كثيراً عن شجاعته وكرمه وقال إنه كان له ولأخيه ولأولاده بأسوان آثار جميلة وأوقاف على وجوه البر جزيلة (٣) .

هذا وقد عثر الأستاذ عبد الرحمن عيد بالتواب مدير إدارة التفتيش والحفائر الإسلامية والقيطية بمصلحة الآثار على شاهد قبر غير مكتمل في جبانة أسوان ( في الجزء الذي يطلق عليه الآن اسم جبانة العتاف ) عند مدخل أحد القباب يحمل اسم « عمر بن الكثر » ، ويبدو أنه شاهد قبر هذا الأمير (٤) .

(١) ذكر الأدفي أنه كان معاصراً له ، انظر الطالع ، ص ١٠٤ .

(٢) أدفي : شرح ، ص ٣١ ، ٣٢ .

(٣) الأدفي : الطالع ، ص ٣١ .

(٤) حفائر مصلحة الآثار بأسوان ، الموسم الأول ، ديسمبر ١٩٦٠ - إلى فبراير ١٩٦١ ، يوبيات الحفائر للأستاذ عبد الرحمن عيد التواب .

## ٨ - كثر الدولة خلام الله مطر

يحدثنا المقرئ عن أنه وصل إلى السلطان المملوكي بالقاهرة في المحرم سنة ٧٨١ هـ يطلب مساعدة السلطان ضد أعدائه<sup>(١)</sup>. ويذكر أيضاً أن حاكم أسوان المدعو «قرط» قبض عليه بناء على أمر السلطان المنصور علاء الدين على وسجنه بالقلعة<sup>(٢)</sup>، عبر أنه بصمت بعد ذلك عن ذكر أى شيء عن هذا الأمير، كما تصمت بقية المصادر عن ذكر أخباره.

## ٩ - كثر الدولة نصر الدين

أطلق عليه العيني اسم الملك ناصر صاحب بلاد النوبة<sup>(٣)</sup>. ويحدثنا عن المقرئ بأنه بلغا إلى القاهرة سنة ٨٠٠ هـ مستنجداً بالسلطان المملوكي فرج بن برقوق ضد ابن عمه الناصر عليه، ويضيف بأن السلطان ساعده في الرجوع إلى عرشه إلا أنه لم يعطنا أية تفصيلات أخرى عن حياة هذا الأمير<sup>(٤)</sup>.

(١) - المقرئ: السلوك، مخطوطة، المجلد السابع، ورقة ٢٢ ب.

— Budge: The Egyptian Sudan, Vol. II, P. 198.

— Quatremère: Mém. Sur L'Egypte, II, P. 198.

(٢) حكم المنصور علاء الدين على من سنة ٧٧٨ إلى سنة ٧٨٣ هـ. (زليانور مجيم الانتساب، ص ١٦٢).

(٣) يقول العيني عند حديثه عن أحداث سنة ٨٠٠ هـ في عصر السلطان برقوق: «في يوم الثلاثاء، ثاني المحرم حضر إلى القاهرة الملك ناصر صاحب بلاد النوبة هارباً من ابن عمه فأقبل عليه السلطان وشغل عليه».

(عند الجبان، مخطوطة، ج ٧، ص ٢٧، ٢٨).

(٤) - المقرئ: السلوك، مخطوطة، بدار الكتب المصرية، رقم ٦٤، تاريخ، الجزء الثالث، القسم الأول، ورقة ٢ أ.

— Arkell: A History of the Sudan, P. 200.

— Budge: The Egyptian Sudan, II, P. 198.

## ١٠ - كثر الدولة نصر الله

هو ابن الأمير نصر الدين السابق الذكر ، ولّى إمارة بني الكثر بعد أبيه في النصف الأول من القرن التاسع الهجري . وليست لدينا معلومات عن هذا الأمير سوى ما ذكره ماكايكل مستنداً على كتب النسب من أن قبيلة النصرلاب الكثرية الكبرى تنسب إليه <sup>(١)</sup> .



### قبائل الكنوز الحالية وعاداتها وتقاليدها

في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، اكتمل تكوين المجموعات النوبية المستعربة التي يتسبب إليها أبناء النوبة الآن، وهم لا يختلفون في صفاتهم الطبيعية وسلوكهم الاجتماعي عن النوبيين الحاليين وعن سكان الوجه القبلي في مصر. وإتنا لنجد بينهم في كثير من الأحيان أشخاصاً يمتازون باللامح الوسيمة<sup>(١)</sup>.

وبنوا الكتر أو - الكنوز - وفقاً للتسمية الحديثة لهم، أحد هذه المجموعات النوبية. ومن هذه المجموعات أيضاً: المحس، والسكوت، والفديجة، والدناقلة. وهذه المجموعات تسكن المنطقة ما بين أسوان شمالاً إلى الدبة جنوباً، ويطلق على الشماليين منهم اسم البرابرة وعلى الجنوبيين اسم الدناقلة<sup>(٢)</sup>. وينتمي إلى البرابرة<sup>(٣)</sup>: الكنوز ويسكنون المنطقة ما بين أسوان وكركسو، والسكوت ويسكنون المنطقة التي تليهم جنوباً، ثم المحس في المنطقة الممتدة من وادي حلفا إلى دنقلة. أما الدناقلة فيتركزون حول مدينة دنقلة<sup>(٤)</sup>.

هذا وتضم السكوت والمحس مجموعة واحدة، بينما تضم الكنوز والدناقلة، مجموعة واحدة أيضاً. وتنفق قبائل كل مجموعة مع بعضها في اللغة والطباع والعادات<sup>(٥)</sup>. وكل النوبة مسلمون يجرى فيهم الدم العربي، غير أن العروبة تتمثل في الكنوز والدناقلة أكثر مما تتمثل في المحس والسكوت، ولهذا يتمسك الكنوز بأصلهم العربي ويفخرون به.

(١) محمد عوض محمد: السودان الشمالي، ص ٣٠٤.

(٢) Mac Michael: History of the Arabs in the Sudan, Vol. I, P. 13.

(٣) رحلت بعض هذه الجماعات عن ديارها بسبب إغراق مياه السد العالي لأراضيها.

(٤) يرجع بركهاردت تسمية البرابرة إلى سكنهم حول بلدة بربر (رحلات في بلاد النوبة، ترجمة فزاد أندرايس، القاهرة ١٩٥٩، ص ٢٣)، بينما يرى بيكيت أنه من الجائز أن يكون أصل الكلمة ريباني وهو Barbani وإن كان دوزي يرى أن أصل الكلمة مشتق من كلمة Barbaro وهو اسم لبعض قبائل النوبة في عهد الأسرة الخامسة عشرة في التاريخ المصري القديم - انظر:

Bockett: Nubia and Berberine, P. 200.

— Encyclopaedia Britannica, London 1960, Vol. III, P. 93.

(٥) سشرح سبب ذلك عند التكلم عن لغة الكنوز.

ويسكن الكنوز بالتحديد المنطقة الممتدة من أسوان إلى بلدة المصيق التي تقع شمال وادي السبوع بقليل بالقرب من كرسكو. وتقع بلادهم على النيل من الشمال الأول إلى كرسكو بالترتيب الآتي :

دايود ، دهميت ، الأميركاب ، كلايشة ،  
أبوهور ، مرواو ، ماربه ، جرف حسين ،  
قرشه ، كشتيه ، الدكنه ، العلاق ،  
قورته ، المحرقه ، سيالة ، والمصيق<sup>(١)</sup> ،

ولقد أطلقت بعض العشائر الكثرية أسماءها على المناطق التي استقرت فيها ، فأطلقت عشائر النصر لاب اسمها على وادي النصر لاب ، كما أطلقت عشائر أبي هور اسمها على وادي أبي هور<sup>(٢)</sup> .

وتنقسم الكنوز فيما بينهم إلى جماعات صغيرة كثيرة العدد ، ترح بعضها شمالاً حتى أدفو واستقروا في القرى المختلفة<sup>(٣)</sup> .

هذا وقد أورد ماكايكل قائمة بأسماء مجموعات قبائل الكنوز الحالية ، أخذها - كما يذكر - من أحد كتب النسب الذي كتبه الشيخ الصادق عيسى أحد زعماء الكنوز في أم درمان سنة ١٩١٤ . ونظراً لأن كتب النسب التي يحتفظ بها رؤساء القبائل في السودان تعتبر من أهم مصادر كتابة تاريخ القبائل العربية في السودان ، فقد أثرت أن أنقل عن ماكايكل هذه القائمة لأهميتها في مجال بحثي خاصة<sup>(٤)</sup> .  
فقبائل الكنوز - حسباً ورد في هذه القائمة - ، تنقسم إلى مجموعتين كبيرتين :  
المجموعة الأولى منها تضم قبيلتين كبيرتين هما :

(١) بركهاردت : رحلات في بلاد النوبة ، ص ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .

(٢) بركهاردت : نفس المصدر ، ص ٢٣ .

(٣) عبد المنعم أبو بكر : بلاد النوبة ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٣٢ .

(٤) Mac Michael: A History of the Arabs in the Sudan, Vol. II, PP. 99-100.

(١) قبيلة أولاد السيد ونس بن رحمة بن الحسن، الذي تتصل سلسلة نسبه بالفضل بن عبد الله ابن العباس « وكان للأمير محمد ونس ستة أولاد ، ومات ودفن في جبانة أسوان . وأولاد الأمير محمد ونس هم كالأتي :

- ١ - إدريس الأكبر : وهو جد الملك طنبل حاكم جزيرة اركو الذي عرفت أسرته فيما بعد باسم ملوك دنقله .
- ٢ - حمد الله : وكان أتباعه قلة ، وكانت سكناتهم عند كلايشة ويعرفون بالنوناب والحمد لاب .
- ٣ - أرشي ... Arkhi : ويوجد أتباعه في إقليم الجزيرة في السودان ، وتسمى قبيلتهم باسم « الأرخياب » .
- ٤ - آدم : وتوجد سلالة عند بلدة الخطارة (بالقرب من أسوان ) ، وجزيرة أسوان ، وتوجد غالبيتهم في السودان . وهناك فرع آخر منهم يعرفون باسم « البللاب » ، وهـ المسلماب .
- ٥ - عدلان : وتوجد سلالة عند أسوان وفي السودان ، وهي تشمل قبائل « العدلاناب » التي تسكن بين قبائل الشايقية .
- ٦ - خير الله : وسلالة هم « الحيرلاب » ويسكنون عند أسوان لكن غالبيتهم تسكن السودان .

(ب) قبيلة الأشراف الرؤساء ويسمون بأولاد تميم الدار الأنصاري، وهم :

- ١ - الأمير شرف الدين : دفن بالقاهرة عند باب النصر وخلف من بعده ولدين هما : قذتاب وتسمى قبيلة باسم « القذتاب » وهم يسكنون عند أبي هور وفي السودان . وابنه الثاني هو : « يحو » وتتسب إليه قبيلته التي تسمى باسم « البجواب » وهم يسكنون عند أبي هور وفي السودان أيضا .
- ٢ - نصر الدين تميم الدار : وكان له ابن يسمى « نصر الله » وتتسب إليه قبيلة « النصرلاب » التي تسكن مع قبائل الشايقية عند كاستنجار .





### لغة الكنوز

يتكلم النوبيون جميعهم العربية ، بيد أنهم لم يجانبها لغتهم الأصلية ، وهى لغة غير مكتوبة يسمونها : « الرطان » ويعرفها جميع النوبيين<sup>(١)</sup> . غير أن لهجاتها تختلف من إقليم لآخر ، فبينما تؤلف لهجات الكنوز والднаقلة مجموعة واحدة متشابهة ، تؤلف لهجات المحس والسكوت والفديجة مجموعة أخرى تختلف عن الأولى . ومن العجيب أن تتفق لهجة الكنوز سكان أقصى الشمال مع لهجة الднаقلة فى أقصى الجنوب على الرغم من بعد المسافة بينهما . وقد قيل فى تفسير ذلك أن الاتصال بين إقليم الكنوز والднаقلة كان كثيراً ومطرداً بحكم العلاقات التجارية بين الجنوب والشمال . وكان الднаقلة والكنوز يتولون نقل التجارة بحكم بعد أوطانهم عن الإقليم النهري الكثير الجنادل الذى كان يتجنب التجار السير فيه وكان تسكن عنده بقية قبائل النوبة . أى أن التجارة بين مصر والسودان هى التى قاربت بين الднаقلة والكنوز ، وكانت إحدى هذه النتائج تشابه لهجاتهم<sup>(٢)</sup> . وتسمى لهجة الكنوز باسم « المتوكى » ومعناها : الشمال<sup>(٣)</sup> .

(١) محمد حميد الصياد : النيل الخالد - العدد رقم ٥٣ من المكتبة الثقافية ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٦٧٠ .

(٢) محمد عوض محمد : السودان الشمال ، ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

- صلاح الدين الشامي : دراسات فى النيل ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ١٦٦ .

(٣) عبد المنعم أبوبكر : بلاد النوبة ، ص ٣٥ .

### الصفات العامة للكنوز

لا يختلف كنوز اليوم في أخلاقهم وطباعهم وعاداتهم وتقاليدهم عن أجدادهم ، ذلك أن النوبيين عموماً يقدسون كل ما هو موروث ، ويحتفظون بعادات وطباع أجدادهم ، ويحرصون على الخلق القويم<sup>(١)</sup> . ويعرف النوبيون عموماً وخاصة الكنوز بالأمانة والصراحة والصدق والمزاج الهادئ والبساطة والتعاون مع بعضهم البعض وحديثهم على أقاربهم القاطنين في أرض الوطن<sup>(٢)</sup> . ويتصفون أيضاً بالجرأة وشدة التعاطف بأرضهم<sup>(٣)</sup> . وهم يحبون النظافة والأمانة والمسألة ، وهم متدينون بعنتون بمساجدهم عناية طيبة ويحافظون على أداء فرائض الدين . وهم عموماً أهل صلاح ، كذلك الأمر بالنسبة لسائر النوبيين ، وقد قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يكن له أخ فليأخذ أخاً من النوبة »<sup>(٤)</sup> .

ويسكن الكنوز بيوتاً يبنونها من اللبن ، وقليل منها يبنى بالحجر . وهي تتألف عادةً من بناءين متجاورين مستديرين من طابق واحد ، أحدهما للرجل والآخر للنساء وأقمية هذه المساكن تغطي يسبقان الذرة أو بسعف النخيل<sup>(٥)</sup> . وتعلق على جدران المنازل أطباق للزينة ، والأدوات التي تستخدم في المنزل هي : القدور ، وهي من الفخار الخشن ، وصحاف من الفخار ، وطاحونة يد ، ونول صغير<sup>(٦)</sup> .

وطعام الكنوز قوامه الخبز ، وهو من الذرة الرفيعة التي تخلط أحياناً بالكشربيج ( ثمر اللبلاب ) ، وفاكهتهم التمر والدوم والشمام والبطيخ<sup>(٧)</sup> .

- (١) بركهاردت : رحلته ، ص ١٢٨ .
- (٢) عبد المنعم أبوبكر : بلاد النوبة ، ص ٣٦ .
- (٣) بركهاردت : رحلته ، ص ١٢٨ .
- (٤) ابن القتيبة : البلدان ، ص ٧٦ .
- ياقوت : معجم البلدان ، المجلد الرابع ، ص ٨٢٠ .
- (٥) بركهاردت : رحلته ، ص ١٢٢ .
- (٦) عبد المنعم أبوبكر : بلاد النوبة ، ص ٩٥ .
- (٧) عبد المنعم أبوبكر : نفس المصدر السابق ، ص ٣٥ .

أما عن عاداتهم وتقاليدهم ، فتمثل بوضوح في مآتمهم و مراسم زواجهم .  
ففي حالة وفاة أى فرد منهم يقف جميع أهل البلدة مع أهل الميت باعتبارهم أسرة  
واحدة . ويتلقى الجميع العزاء من بعضهم البعض ، كما يقدمون المعونات المختلفة لأهل  
الميت ويتكفلون بالإئفاق على من يتركهم بعده<sup>(١)</sup> .

وعند الزواج يطلب الكنزى يد زوجته من والديها ، وهو يفضل الزواج المبكر ، كما  
يفضل الزواج من ابنة عمه . ولا بد للشاب من أن يرى الفتاة التى يروم خطبتها فإذا  
أعجبهته قام باسترضاء أمها قبل أن يخطبها من أبيها<sup>(٢)</sup> .

ويورد لنا «نعم شقير» تفاصيل مشروع الزواج عند الكنوز . وفي هذه المناسبة تقام  
حفلات متعددة يحضرها أهل العروسين . ويتم الزواج في منزل أهل الزوجة ، ويمكن  
الزواج شهراً أو أكثر حسب الاتفاق بينهما ، وبعد ذلك ينتقلان إلى منزل الزوجة .  
وتعيش الزوجة الكنزية مخلصه لزوجها حتى الممات ، وتعامله في احترام شديد يصل  
إلى درجة التقديس حتى إنها تعيش طيلة عمرها معه دون أن تنطق اسمه مجرداً<sup>(٣)</sup> .



عائل كنزى حديث

(١) Mac Diarmid: Nuba Customs, S.N.R., 1927, Vol. X, P. 228.

(٢) بركهاردت : رسالته ، ص ٢٦ .

(٣) Bruce, G. Trigger: History and Settlement in lower Nubia, Yale University 1965, P. 17.

(٤) نعم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ، ج ١ ، ص ١٩٧ ، ١٩٨ .





## الملاحق

تاريخ دولة الكويت

## ملحق ( ٢ )

نص كتابة بالخط الكوفي للوحة تذكارية من الرخام - لإنشاء جامع إسنا الذى بناه بدر الجمالى سنة ٤٦٩ هـ عقب انتصاره على كثر الدولة . وجدت على يمين محراب هذا الجامع العتيق (١)

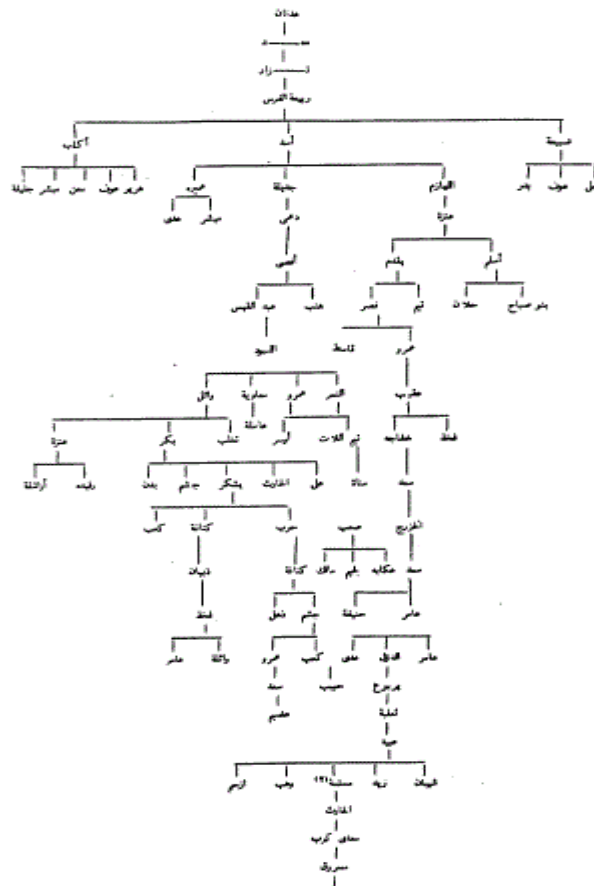
• • •

- ١ - بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله وباليوم الآخر
- ٢ - وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله .
- ٣ - فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين .
- ٤ - صلوات الله وبركاته على مولانا وسيدنا الإمام
- ٥ - المستنصر بالله أمير المؤمنين وعلى آيائه الطاهرين
- ٦ - وأبنائه المكرمين . أمر بعمارة هذا الجامع المبارك
- ٧ - السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر
- ٨ - الإمام أبو النجم بدر المستنصرى أدام الله قدرته
- ٩ - وأعلى كلمته القاضى أبا الحسين على بن
- ١٠ - محمد بن جعفر بن أحمد بن محمد بن
- ١١ - النضر بعمارة هذا الجامع فأسس فى النصف
- ١٢ - من ذى الحجة سنة تسع وتسعين وأربعمائة
- ١٣ - وسقف فى النصف من شهر ربيع الأول سنة
- ١٤ - سبعين وأربعمائة وفقه الله لمرضاته وأعانه
- ١٥ - على طاعته كما أصرف اهتمامه إلى عمارته .

• • •

( ١ ) Van Berchem: Corpus Inscriptionum Arabicarum, première partie, Egypte, Paris, 1903, PP. 699-700.

شجرة نسب كثر الدولة أبو المكارم هبة الله<sup>(١)</sup>





## الملحق ( ٣ )

صورة للنص المكتوب بالخط الكوفي الجميل للوحة التذكارية لإنشاء مئذنة جامع النصر  
بإستان وهي مثبتة على يسار المحراب <sup>(١)</sup>.

• •

- ١ - بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله
- ٢ - من آمن بالله وباليوم الآخر وأقام الصلاة
- ٣ - وآتى الزكاة لم يخش إلا الله
- ٤ - فعمى أولئك أن يكونوا من المهتدين
- ٥ - هذا مما أمر بإنشاء هذه المئذنة
- ٦ - الأجل المنتخب فخر الملك سعد الدولة تاج
- ٧ - المعالي ذو العزيم حسام أمير المؤمنين أبو منصور
- ٨ - ساردين القواسي نصره الله وظفره ووقفه
- ٩ - وأحسن عونه في شهر سنة أربع وسبعين وأربع مائة
- ١٠ - ابتغاء مرضاة الله تعالى وثوابه ورجاء الدار الآخرة و
- ١١ - الأمن من عقابه رحمه الله تعالى وحشره مع مواليه الطاهرين صلوات الله
- ١٢ - عليهم أجمعين ورحم من ترحم عليهم آمين يارب العالمين .

Wiet, G., Nouvelles Inscriptions Fatimides), Extrait du Bulletin de L'Institut  
D'Egypte, T. XXIV, Session 1941-1942, P. 146).

## ملحق ( ٤ )

قائمة ملوك النوبة النشائية «مقدرة» عن :

( ١ ) Storia Della Nubia Cristiana, Orientalia Christiana Analecta, ( ١ )

P. 223.

( ٢ ) مصطفى محمد مسعد : الإسلام والنوبة في المصور للوسطى ، ص ٢٨١ ،

٢٨٢

. . .

رقم مسلسل	اسم الملك	سنوات حكمه	ميلادية
١	سيلكو	٥٣٦	
٢	أريانونم	من سنة ٥٧٤ - ٥٥٩	
٣	قيلدروث	٦٥٢ - ٦٥١	
٤	زكريا	٦٥٥ - ٦٥٤	
٥	مرقور يوس	٧١٠ - ٦٩٧	
٦	زكريا	}	٧٦٨ - ٧٤٤
٧	سيمون		
٨	أبرام		
٩	ماركو		
١٠	كرياكوس		
١١	ميكانيل	}	نهاية القرن الثامن الميلادي
١٢	جيوفاني ( يوحنا )		
١٣	زكريا لإسرائيل بن يوحنا	سنة ٨٢٢	
١٤	جورج بن زكريا	من سنة ٨٩٢ - ٨٧٢	
١٥	زكريا بن جورج		

رقم مسلسل	اسم الملك	سنوات حكمه	ميلادية
١٦	كبرى بن سرور	سنة ٩٤٣	١
١٧	جورجيوس الثاني	من سنة ٩٧٩-١٠٠٢	٢
١٨	روثايل	من سنة ١٠٠٥-١٠٠٦	٣
١٩	سالمون	سنة ١٠٨٠	٤
٢٠	باسيليوس	١٠٨٩	٥
٢١	جورج الثالث	من سنة ١١٣٠-١١٥٨	٦
٢٢	داود (الأول)	١٢٧٢-١٢٧٣	٧
٢٣	داود (الثاني) بن داود (الأول)	١٢٧٤-١٢٧٧	٨
٢٤	شكنديه	١٢٧٥-١٢٧٦	٩
٢٥	مسكديت	١	١٠
٢٦	برك	١٢٧٩-١٢٩٠	١١
٢٧	سيامون	سنة ١٢٨٦	١٢
٢٨	عودة سيامون للمرة الثانية	١٢٩٠	١٣
٢٩	عودة داود (الثاني)	١٢٩٠	١٤
٣٠	عودة سيامون للمرة الثالثة	من سنة ١٢٩٠-١٢٩٣	١٥
٣١	آني		١٦
٣٢	بوديما		١٧
٣٣	آماي	١٣٠٤-١٣٠٥	١٨
٣٤	كرنيس	سنة ١٣١٢	١٩
٣٥	عبدالله بن سمجو (برشمجو)	١٣١٦	٢٠
٣٦	كتر الدولة	١٣١٧	٢١
٣٧	أبرام (خال كتر الدولة)	حكم ثلاثة أيام فقط	٢٢
٣٨	عودة كرنيس	سنة ١٣٢٣	٢٣
٣٩	عودة كتر الدولة ثانية	١٣٢٣	٢٤

ونهاية دولة النوبة المسيحية على يد بني الكتر



## ملحق ( ٥ )

## شاهد قبر

شاهد قبر الأمير نجم الدين عمر بن الكثر

عثر على شاهد قبر خاص بالأمير نجم الدين عمر بن الكثر<sup>(١)</sup> في جبانة أسوان (الجزء الذي يطلق عليه اسم جبانة العتاني) عند مدخل أحد القباب التي ترجع إلى العصر المملوكي. وصورة هذا الشاهد موجودة ضمن مجموعة صور حفائر مصلحة الآثار بأسوان التي أشرف عليها الأستاذ عبد الرحمن عبد التواب<sup>(٢)</sup>.

• • •

(١) راجع : الباب الرابع ، ص ١٣٣ ، ترجمة حياة الأمير نجم الدين عمر بن الكثر .

(٢) عبد الرحمن عبد التواب : يوبيات حفائر مصلحة الآثار بأسوان ، الموسم الأول - ديسمبر ١٩٦٠ - فبراير ١٩٦١ .

## ملحق ( ٦ )

أماكن معادن التبر في الصحراء الشرقية طريق أسوان<sup>(١)</sup>

ومن أراد المعادن معادن التبر خرج من أسوان إلى موضع يقال له الضيقة بين جبليين ، ثم اليريب ، ثم البيضاء ، ثم بيت أبي زياد ، ثم عديفر ، ثم جبل الأحمر ، ثم جبل البياض ، ثم قبر أبي مسعود ، ثم عفار ، ثم وادي العلاقي . وكل هذه المواضع معادن التبر يقصدها أصحاب المطالب . وبها أسواق وتجارات . وشربهم من آبار تحفر في وادي العلاقي . وأكثر من بالعلاقي قوم من ربيعة من بني حنيفة من أهل الهامة انتقلوا إليها بالعيالات والفرية . ووادي العلاقي وما حواله معادن للتبر . وكل ما قرب منه يعمل فيه الناس لكل قوم من التجار وغير التجار عبيد سودان يعملون في الحفر ثم يخرجون التبر كالزرنج الأصفر ، ثم يسبك ، ومن العلاقي إلى موضع يقال له وادي الجبل مرحلة ، ثم إلى موضع يقال له عست ، ثم إلى موضع يقال له كمار يجتمع الناس به لطلب التبر وبه قوم من أهل الهامة من ربيعة ، ومن العلاقي إلى معدن يقال له بطن واحد مرحلة ، ومن العلاقي إلى موضع يقال له أعماق مرحلتان ، وإلى معدن يقال له ماء الصخرة مرحلة ، وإلى معدن يقال له الأخشاب مرحلتان ، وإلى معدن يقال له ميزاب تنزله بلى وجهته أربع مراحل وإلى معدن يقال له عربة بطحا مرحلتان .

ومن العلاقي إلى عذاب أربع مراحل . وعذاب ساحل البحر المالح يركب الناس منه إلى مكة والحجاز واليمن ويأتيه التجار فيحملون التبر والعاج وغير ذلك في المراكب . ومن العلاقي إلى بركان وهي آخر معادن التبر التي يصير إليها المسلمون ثلاثين مرحلة . ومن العلاقي إلى موضع يقال له دح يتزله قوم من بني سليم وغيرهم من مضر عشر مراحل . ومن العلاقي إلى معدن يقال له السنطة وبه قوم من مضر وغيرهم عشر مراحل . ومن العلاقي إلى معدن يقال له الرفق عشر مراحل . ومن العلاقي إلى معدن يقال له سخيت عشر مراحل . فهذه المعادن التي يصل إليها المسلمون ويقصدونها لطلب التبر .

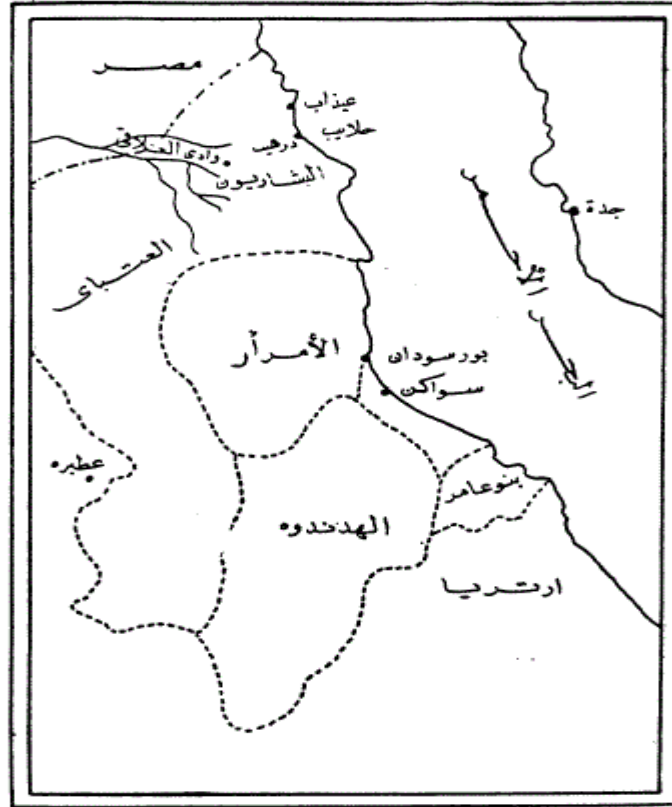
(١) المقوق : البلدان ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

## ملحق ( ٧ )

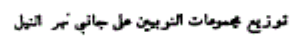
ذكر أماكن الزمرد في الصحراء الشرقية طريق قفط <sup>(١)</sup>

من قفط تسلك إلى معادن الزمرد وهو معدن يقال له خربة الملك على ثمان رحلات من مدينة قفط . وفيه جيلان يقال لأحدهما العروس وللآخر الخصوم فيها معادن الزمرد . وفيه موضع يقال له كوم الصابني ، وكوم مهران ، ومكاير ، وسفيد . وكل هذه معادن يوجد فيها الجواهر . وتسمى الحفائر التي يخرج منها الجواهر شيم . وكان بها معدن قديم يقال له ( بيروميط ) وهو معدن كان في الجاهلية وكذلك معدن مكابر . ومن المعدن الذي يقال له خربة الملك إلى جبل صاعد وهو معدن تير مرحلة . وإلى الموضع الذي يقال له الكاكي وموضع يقال له الشكري موضع يقال له المعجلى ، وموضع يقال له الملاقى الأدنى . وموضع يقال له الريفة وهو ساحل بحر خربة الملك . وكل هذه معادن تير ، ومن الخربة إلى معدن يقال له رسم معدن تير ثلاث مراحل . ويرحم قوم من بلقي وجهينة وغيرهم من أغلاط الناس يقصدون للتجارات . فهذه معادن الجواهر وما يتصا بها من معادن التبر القريبة .

(١) المخطوط : البلدان ، ص ٣٢٣ .



مجموعات قبائل البجة في الصحراء الشرقية



## المصادر والمراجع



## المصادر العربية

### المصادر الخطية

- ١ - إبراهيم الحنبلى : (عاش فى القرن السابع الهجرى) :  
«شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب»  
مخطوطة مصورة بمكتبة جامعة القاهرة ،  
رقم ٢٤٠٣١
- ٢ - ابن أبيكاز الأرينى : (أبكار يوس بن يعقوب) ت ١٨٨٥ :  
«نهاية الأرب فى أخبار العرب»  
مخطوطة بدار الكتب المصرية ، رقم ٨٤٩٠ ح.
- ٣ - ابن أبيك (أبو بكر عبد الله) : من علماء القرن الثامن الهجرى :  
«الدر المطلوب فى أخبار بنى أيوب»  
مخطوطة مصورة بمكتبة جامعة القاهرة ،  
رقم ٢٦٠٩١
- ٤ - ابن حجر العسقلانى : (شهاب الدين أحمد بن على) ت ٨٥٢ هـ :  
«أنباء الغمر بأبناء العمر»  
مخطوطة بدار الكتب المصرية ، رقم ٨٨٤٤ ح.
- ٥ - ابن الحنبلى (رضى الدين محمد بن إبراهيم) ت ٩٧١ هـ :  
«الآثار الرفيعة فى مآثر بنى ربيعة»  
مخطوطة مصورة بمعهد المخطوطات العربية ،  
فهرس المخطوطات المصورة ، الجزء الثانى  
(تاريخ) ، القسم الأول ، ميكروفيلم رقم ٢ .
- ٦ - ابن عبد السلام (أحمد بن محمد بن محمد) ت ٩٣١ هـ :  
«الفيض المديد فى أخبار النبل السعيد» ، مخطوطة  
بدار الكتب المصرية رقم ٤٢٩ جغرافية .



- ٧- ابن فضل الله العمري : (شهاب الدين أحمد بن يحيى) ت ٧٤٩ هـ :  
«مسالك الأبيصار في ممالك الأمصار»  
مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية ،  
رقم ٥٥٩ معارف عامة .  
٨- ييبرس الدوادار : (ركن الدولة المنصورى المصرى )  
ت ٧٢٥ هـ :  
«زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة» ،  
مخطوطة مصورة بمكتبة جامعة القاهرة ،  
تحت أرقام ٢٤٠٢٦ ، ٢٤٠٢٧ ، ٢٤٠٢٨ .  
٩- اثيفاشى : (أبو العباس أحمد بن يوسف) ت ٦٥١ هـ :  
«أزهار الأفكار في جواهر الأحجار» ،  
مخطوطة بدار الكتب ، رقم ١٣٦ طبيعيات .  
١٠- ساويرس بن المقفع : (أسقف الأشمونين ) توفى في أواخر القرن  
الرابع الهجرى .  
«سير الآباء البطارقة » المعروف «سير البيعة  
المقدمة» ، مخطوطة بدار الكتب المصرية ،  
رقم ٦٤٣٤ ح ، مصورة عن النسخة الأصلية  
المحفوظة بالمكتبة الأهلية ببغداد .  
١١- سبط ابن الجوزى : (يوسف بن قزوين) ت ٦٥٤ هـ :  
«مرآة الزمان في تاريخ الأعيان» مخطوطة  
بدار الكتب المصرية ، رقم ٩٢٧٦ ح .  
١٢- العيني (بدر الدين محمود بن أحمد) ت ٨٥٥ هـ :  
«عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان»  
مخطوطة بدار الكتب المصرية ، رقم ٨٢٠٣ ح  
١٣- المقرئى (تقى الدين أحمد بن على) ت ٨٤٥ هـ :  
«السلوك لمعرفة دول الملوك» مخطوطة مصورة  
بدار الكتب المصرية ، رقم ٤٦٤ تاريخ ،

عن النسخة الخطية بالمكتبة الأهلية بباريس ،  
الجزء الثالث ، القسم الأول .

١٤ - النويرى ( شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ) ت ٧٣٣ هـ :  
« نهاية الأرب فى فنون الأدب » مخطوطة  
بدار الكتب المصرية ، رقم ٥٤٩ معارف  
عامة ، الأجزاء من ٢٧ - ٣٠ .

١٥ - الهمرانى ( ركن الدين محمد بن محمد بن محرز ) ت ٥٧٥ هـ :  
« مقامات الهمرانى ورسائله وثنائاته » مخطوطة  
مصورة بمعهد المخطوطات العربية ، رقم ٧٩٦ ،  
مصورة عن النسخة الخطية الموجودة بمكتبة  
أيا صوفيا برقم ٤٢٩٩ .

• • •

### المصادر الأصلية المطبوعة

- ١- ابن الأثير (على بن أحمد بن أبي الكرم) ت ٦٣٠ هـ :  
«الكامل في التاريخ»، طبعة مصر ١٣٠١ هـ
- ٢- ابن اياس (أبو البركات محمد بن أحمد) ت ٩٣٠ هـ :  
«بدائع الزهور في وقائع الدهور»، طبعة بولاق ١٣١٢ هـ .
- ٣- ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) ت ٧٧٩ هـ :  
«تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، طبعة مصر ١٣٢٢ هـ .
- ٤- ابن يعرب (منصور الذهبي الكامل) توفي في النصف الأول من القرن السابع الهجري :  
«كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية»  
تحقيق عبد الرحمن فهمي ، القاهرة ١٩٦٦ د
- ٥- ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد) ت ٦١٤ :  
«تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار»  
تحقيق حسين نصار ، القاهرة ١٩٥٥ د
- ٦- ابن حماد (أبو عبد الله محمد بن علي) ت ٦٢٨ هـ :  
«أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم»، طبعة جول كريونيل ، بالجزائر ١٣٤٦ هـ .
- ٧- ابن حوقل (أبو القاسم أحمد التصيري) توفي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري :  
«صورة الأرض»، نشر كرامرز ، لندن ١٩٣٨ .
- ٨- ابن حوقل :  
«المسالك والممالك»، نشر دي جويه ، لندن ١٨٧٣ .
- ٩- ابن خردادبه (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله) ت ٣٠٠ هـ :  
١٦٠

- ١٠ - ابن خرداذبة : « المسالك والممالك » ، نشر دى جويه ،  
لندن ١٨٨٩ .
- ١١ - ابن خلدون ( عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن جابر ) ت ٨٠٨ هـ :  
« العبر وديوان المبتدأ والخبر » ، طبعة بولاق  
١٢٨٤ هـ .
- ١٢ - ابن خلكان ( شمس الدين أبو العباس أحمد إبراهيم ) ت ٦٨١ هـ :  
« وفيات الأعيان » ، تحقيق محمد محيى  
الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٨ .
- ١٣ - ابن دقماق ( إبراهيم بن محمد بن أحمد بن أيمن ) ت ٨٠٩ هـ :  
« الانتصار بواسطة عقد الأمصار » ، طبعة  
بولاق ١٣١٠ هـ .
- ١٤ - ابن شداد ( القاضي بهاء الدين ) ت ٦٣٢ هـ :  
« النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية » ، طبعة  
بولاق ١٢٨٧ هـ .
- ١٥ - ابن عبد الحكم ( أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ) ت ٢٥٧ هـ :  
« فتوح مصر » ، نشر هنرى ماسيه ، لندن  
١٩٢٠ .
- ١٦ - ابن عبد ربه ( أحمد بن محمد الأندلسي ) ت ٣٢٨ هـ :  
« العقد الفريد » ، تحقيق محمد سعيد  
الريان ، القاهرة ١٩٥٣ .
- ١٧ - ابن عبد الظاهر ( محيى الدين ) توفى في أوائل القرن الثامن الهجرى :  
« الألفاظ الخفية من السيرة الشريفة السلطانية  
الملكية الأشرفية » ، نشر أكمل موبرج ،  
لينز ١٩٠٢ .

- ١٨ - ابن عبد الظاهر : « تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور » ، تحقيق مراد كامل ، طبعة وزارة الثقافة ، القاهرة ١٩٦١ .
- ١٩ - ابن فضل الله العمري ( شهاب الدين أحمد بن يحيى ) ت ٧٤٩ هـ : « التعريف بالمصطلح الشريف » ، القاهرة ١٣١٢ هـ .
- ٢٠ - ابن الفقيه الممداني ( أبو بكر أحمد بن إبراهيم ) توفي في أواخر القرن الثالث الهجري : « البلدان » ، طبعة لندن ١٨٩١ .
- ٢١ - ابن القلاسي ( أبو يعلى حمزة ) ت ٥٥٥ هـ : « ذيل تاريخ دمشق » ، طبعة بيروت ١٩٠٨ .
- ٢٢ - ابن مماتي ( أسعد بن المهلب بن أبي مليح ) ت ٦٠٦ هـ : « قوانين الدواوين » ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، القاهرة ١٩٤٣ .
- ٢٣ - ابن ميسر ( محمد بن علي بن يوسف ) ت ٦٧٧ هـ : « تاريخ مصر » ، نشر هنري ماسيه ، طبعة المعهد العلمي الفرنسي ، القاهرة ١٩١٩ .
- ٢٤ - ابن واصل ( جمال الدين محمد بن سالم الحموي ) ت ٦٩٧ هـ : « مفرج الكروب في أخبار بني أيوب » ، نشر جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٣ .
- ٢٥ - ابن الوردي ( زين الدين أبو حفص عمر ) ت ٧٣٩ هـ : « خريدة العجائب وفريدة الغرائب » ، طبعة مصر ١٢٨٠ هـ .
- ٢٦ - أبو شامة ( شهاب الدين أبو محمد ) ت ٦٦٥ هـ : « الروضتين في أخبار الدولتين » ، طبعة بولاق ١٢٨٨ هـ .

- ٢٧ - أبو صالح الأرمي - توفى سنة ٦٠٥ هـ :  
«كنائس وأديرة مصر» ، الشبير ، بتاريخ  
أبي صالح الأرمي ، نشر إيفيتس ،  
أكسفورد ١٨٩٥ .
- ٢٨ - أبو القدا (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل) ت ٧٣٢ هـ :  
«البداية والنهاية في التاريخ» ، القاهرة ١٩٣٩ .
- ٢٩ - أبو الحسن (جمال الدين يوسف بن تغرى بردى) ت ٨٧٤ هـ :  
«النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» ،  
طبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٣٣ ، وطبعة  
وليم بوبر ، كاليفرنيا ، ١٩٣٢ .
- ٣٠ - الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد العزيز) ت ٥٦٠ هـ :  
«نزعة المشتاق في اختراق الآفاق» ، طبعة  
ليدن ١٨٦٦ .
- ٣١ - الأذفرى (كمال الدين جعفر بن ثعلب) ت ٧٤٨ هـ :  
«العالم السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد» ،  
تحقيق سعد محمد حسن ، القاهرة ١٩٦٦ .
- ٣٢ - الإصطخرى (أبو القاسم إبراهيم بن محمد) توفى في النصف الأول من القرن الرابع  
الهجري : «مسالك الممالك» ، نشر دي جوييه ،  
ليدن ١٩٢٧ .
- ٣٣ - البكرى (أبو عبيد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧ هـ :  
«معجم ما استعجم» ، نشر مصطفى السقا ،  
القاهرة ١٩٤٥ .
- ٣٤ - البلاذرى (أحمد بن يحيى بن جابر) ت ٢٧٩ هـ :  
«فتوح البلدان» ، القاهرة ١٩٠١ .
- ٣٥ - البلوى (عبد الله بن عمير بن محفوظ) توفى في النصف الأول من القرن الرابع الهجري :  
«سيرة إبن طولون» ، نشر محمد كرد علي ،  
طبعة دمشق ١٣٥٨ هـ .

- ٣٦ - ساويرس بن المقفع (أسقف الأشمونين) توفي في أواخر القرن الرابع الهجري :  
« تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية » ، نشر  
عزيز سوريال عطية ، القاهرة ١٩٤٣ -  
١٩٤٨ ، الجزء الأول والثاني .
- ٣٧ - السخاوي ( محمد بن عبد الرحمن بن محمد ) ت ٩٠٢ هـ :  
« التبر المسبوك في ذيل السلوك » ، طبعة بولاق ١٨٩٦
- ٣٨ - سليمان التاجر - ( توفي ٥٩٩ هـ تقريباً ) : رحلة سليمان التاجر - عن كتاب جامع  
التواريخ ، نشر سوافجي ، باريس ١٨١١ .
- ٣٩ - السيوطي ( جلال الدين عبد الرحمن ) ت ٩٠١ هـ :  
« حسن المناصرة في أخبار مصر والقاهرة » ، طبعة  
بولاق ١٣٢١ هـ .
- ٤٠ - الطبري ( محمد بن جرير ) ت ٣١٠ هـ :  
« تاريخ الرسل والملوك » ، نشر دي جويه ، لندن  
١٨٧٩ - ١٨٩٣ .
- ٤١ - عبد اللطيف البغدادي ( موفق الدين بن يوسف ) ت ٦٢٩ هـ :  
« الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث  
المعانية » ، طبعة مصر ١٢٨٦ هـ .
- ٤٢ - عماد الدين الأصفهاني ( محمد بن محمد بن أبي الرجاء ) ت ٥٩٧ هـ :  
« خريدة القصر وجريدة أهل العصر » ، قسم شعراء  
مصر ، نشر أحمد أمين وشوقي ضيف ، القاهرة  
١٩٥١ .
- ٤٣ - القلقشندي ( شهاب الدين أحمد بن علي ) ت ٨٢١ هـ :  
« صبح الأعشى في صناعة الإنشاء » ، طبعة  
دار الكتب ، القاهرة ١٩١٥ .
- ٤٤ - القلقشندي :  
« نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب » ، تحقيق  
إبراهيم الأبياري ، القاهرة ١٩٥٩ .

- ٤٥ - الكندي (محمد بن يوسف بن يعقوب) ت ٣٥٠ هـ :  
« ولاية مصر » ، تحقيق حسين نصار ، بيروت  
١٩٥٩ .
- ٤٦ - المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين) ت ٣٤٦ هـ :  
« التنبيه والإشراف » ، نشردي جويه ، لندن ١٨٩٧ .
- ٤٧ - المسعودي :  
« مروج الذهب ومعادن الدرر » ، تحقيق محمد  
محبي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٨ .
- ٤٨ - المقرئ (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي) ت ٨٤٥ هـ :  
« إغاثة الأمة بكشف الغمة » ، تحقيق محمد مصطفى  
زيادة وجمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٤٠ .
- ٤٩ - المقرئ :  
« البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب »  
تحقيق عبد الحميد عابدين ، القاهرة ١٩٧١ .
- ٥٠ - المقرئ :  
« التاريخ المقتضب » ، حقق نماذج منه : خليل عساكر  
ومصطفى أحمد مسعد ، القاهرة ١٩٦٤ .
- ٥١ - المقرئ :  
« السلوك لمعرفة دول الملوك » ، نشر محمد مصطفى  
زيادة ، الجزء الأول والثاني ، طبعة القاهرة ١٩٣٤ -  
١٩٤١ .
- ٥٢ - المقرئ :  
« المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » ، نشر  
جاستون فيث ، المعهد العلمي الفرنسي ، القاهرة  
١٩٢٢ ، وطبعة بولاق ١٢٧٠ هـ .
- ٥٣ - التابلسي (علاء أبو عمر عثمان بن إبراهيم) ت ٦٦٠ هـ :  
« ملح القوانين المضية في دواوين الديار المصرية » :  
تحقيق كلود كاهن ٥٨ - ١٩٦٠ .  
(Bulletin D'Etudes Orientales, Damas 1958-1960).



- ٥٤ - ناصري خسرو (علوى الفارسي) ت ٤٧٦ هـ :  
 « سفرنامه » ، تحقيق يحيى الخشاب ، القاهرة  
 ١٩٤٥ هـ
- ٥٥ - التويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت ٧٣٢ هـ .  
 « نهاية الأرب في فنون الأدب » ، القاهرة  
 ١٩٢٣ .
- ٥٦ - ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الروي) ت ٦٢٦ هـ :  
 « معجم البلدان » ، طبعة طهران ١٩٦٥ .
- ٥٧ - اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر) ت ٢٨٤ هـ :  
 « البلدان » ، طبعة لندن ١٨٩١ .
- ٥٨ - اليعقوبي : « تاريخ اليعقوبي » ، طبعة بيروت ١٩٦٠ هـ

• • •

## المراجع العربية

- ١- إبراهيم على إبراهيم طرخان : « نظام الإقطاع الإسلامى فى العصور الوسطى إلى نهاية عصر الأيوبيين » ، رسالة ماجستير بمكتبة جامعة القاهرة ، رقم ١٠٢ .
- ٢- أحمد السيد دراج : « إيضاحات جديدة عن التحول فى تجارة البحر الأحمر منذ مطلع القرن التاسع الهجرى » ، نشر الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ١٩٦٨ .
- ٣- أحمد السيد دراج : « الحسبة وأثرها على الحياة الاقتصادية فى مصر المملوكية » ، مقال بالعدد الرابع عشر من مجلة الجمعية المصرية التاريخية ، القاهرة ٦٦ - ١٩٦٧ .
- ٤- أحمد السيد دراج : « عذاب » ، مقال بمجلة نهضة أفريقية ، وزارة الثقافة ، القاهرة ١٩٥٨ ، العدد التاسع والعدد العاشر يوليو - أغسطس .
- ٥- أحمد السيد دراج : « المماليك والفرنج » ، القاهرة ١٩٦٢ .
- ٦- أحمد السيد دراج : « وثائق دير صهيون بالقدس الشريف » ، القاهرة ١٩٦٨ .
- ٧- السيد الباز العرينى : « الإقطاع فى الشرق الأوسط » ، فصله من حوليات كلية الآداب - جامعة القاهرة ، العدد الرابع ، يناير ١٩٥٧ .
- ٨- السيد الباز العرينى : « مصر فى عصر الأيوبيين » ، القاهرة ١٩٦٠ .
- ٩- حسن إبراهيم حسن : « انتشار الإسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى » ، القاهرة ١٩٥٧ .
- ١٠- حسن الباشا : « الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار » ، القاهرة ١٩٥٧ .

- ١١- حسن عبد الوهاب : « تاريخ المساجد الأثرية » ، طبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٤٦ .
- ١٢- محير الدين الزركلي : « الأعلام » ، طبعة مصر ١٩٢٧ .
- ١٣- راشد البراوي : « حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين » ، القاهرة ١٩٥٥ .
- ١٤- رونسيان ( ستيفن ) : « تاريخ الحروب الصليبية » ، ترجمة السيد الباز العريبي ، بيروت ١٩٦٨ ، الأجزاء الأول والثاني .
- ١٥- زكي محمد حسن : « كنوز الفاطميين » ، القاهرة ١٩٣٧ .
- ١٦- سيدة إسماعيل كاشف : « مصري فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية » ، القاهرة ١٩٤٧ .
- ١٧- سيدة كاشف : « مصري عهد الإخشيديين » ، القاهرة ١٩٥٠ .
- ١٨- صلاح الدين الشامي : « دراسات في النيل » ، القاهرة ١٩٦٧ .
- ١٩- عبد الرحمن عبد التواب : « يوميات حفائر جبانة أسوان » ، حفائر مصلحة الآثار بأسوان ، الموسم الأول ، ديسمبر ١٩٦٠ - فبراير ١٩٦١ .
- ٢٠- عبد الله حسين : « السودان القديم والحديث » ، القاهرة ١٩٣٥ .
- ٢١- عبد المجيد مجايد : « دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل » ، بحث ملحق بكتاب البيان والإعراب للمقريري ، القاهرة ١٩٦١ .
- ٢٢- عبد المنعم أبوبكر : « بلاد النوبة » ، كتاب وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ١٩٦٠ .
- ٢٣- عطية مصطفى مشرفة : « نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين » ، القاهرة ١٩٤٨ .
- ٢٤- علي مبارك ( باشا ) : « الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة » ، طبعة بولاق ١٣٠٥ هـ .
- ٢٥- عمر رضا كحالة : « معجم قبائل العرب » ، طبعة دمشق ١٩٤٩ .
- ٢٦- عمر رضا كحالة : « معجم المؤلفين » ، طبعة دمشق ١٩٥٩ .

- ٢٧- محمد جمال الدين سرور : « تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق » ، القاهرة ١٩٦٥ .
- ٢٨- محمد جمال الدين سرور : « الدولة الفاطمية في مصر » ، القاهرة ١٩٦٦ .
- ٢٩- محمد جمال الدين سرور : « سياسة الفاطميين الخارجية » ، القاهرة ١٩٦٧ .
- ٣٠- محمد جمال الدين سرور : « دولة الظاهر بيبرس في مصر » ، القاهرة ١٩٦٠ .
- ٣١- محمد جمال الدين سرور : « دولة بني قلاوون في مصر » ، القاهرة ١٩٤٧ .
- ٣٢- محمد الخفصرى : « محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية » ، القاهرة ١٩٢٢ .
- ٣٣- محمد رمزي : « القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٥٤ » ، القاهرة ١٩٦٣ .
- ٣٤- محمد عبد الله عنان : « الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوى الفاطمية » ، القاهرة ١٩٥٩ .
- ٣٥- محمد عوض محمد : « السودان الشمالى ، سكانه وقيادته » ، القاهرة ١٩٥١ .
- ٣٦- محمد كامل حته : « أسوان في الماضي والحاضر والمستقبل » ، القاهرة ( بدون تاريخ ) .
- ٣٧- محمد كامل حسين : « دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين » ، القاهرة ١٩٥٧ .
- ٣٨- محمد مصطفى مسعد : « الإسلام والنوبة في المصور الوسطى » ، القاهرة ١٩٦٠ .
- ٣٩- محمد مصطفى مسعد : « البجة والعرب في المصور الوسطى » ، مقال بمجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، المجلد ٢١ - العدد الثانى - ديسمبر ١٩٥٩ .
- ٤٠- مكى شيبكه : « السودان عبر القرون » ، القاهرة ١٩٦٤ .
- ٤١- نعم شقير : « تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته » ، القاهرة ١٩٠٣ .
- ٤٢- يوسف فضل : « المعالم الرئيسية في الهجرة العربية إلى السودان » ، مقال في مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية العدد ١٣ ، القاهرة ١٩٦٧ .



## المصادر الأوربية

- 1 — ARKELL, A. J., : History of Soudan from the earliest times to 1821, London 1961.
- 2 — ATIYA, A. S., : A History of Eastern Christianity, London 1968.
- 3 — BECKETT, H. W., : Nubia and the Berberine, Cairo Scientific Journal, August 1911.
- 4 — BELZONI, G., : Narrative of the Operations and recent discoveries in Egypt and Nubia, London 1922, Vol. II.
- 5 — BLOCHET, E., : Moufazzal Ibn Abil-Fazail, Histoire Des Sultans Mamlouks, Patrologia Orientalis, T. XII, Paris 1919.
- 6 — BRUCE, G. TIGGER : History and settlement in Lower Nubia, Yale University 1965.
- 7 — BUDGE, E. A. WALLIS : The Egyptian Sudan, Its History and Mounments, London 1907.
- 8 — . . . . . : A History of Elthiopia, Nubia and Abyssinia — London 1928.
- 9 — BURKHARDT, JOHN LOUIS : Travels in Nubia.  
ترجمة فؤاد أندراوس ، القاهرة ١٩٥٩
- 10 — CASANOVA, P., : Les Derniers Fatimides - Mémoires de La Mission d'Archeologique du Caire, Paris 1890, T. III.
- 11 — CRESWELL (K.A.G.) : The Muslim Architecture of Egypt, vol. II. Ayyubides and Early Bahrite Mamloukes, Oxford 1959.
- 12 — DARRAG, (AHMED) : L'Egypte sous le règne du Barsbay (825-841) — (éd de L'Institut Français de Damas, Damas, 1961).
- 13 — DE LE RONCIERE (CHARLES) : La Decouverte de L'afrique au Moyen Age, (éd. Societé de Géographie D'Egypte, Le Caire 1925).

- 14 — DE SLANE (MAC GUCKIN) : Voyage dans le Sudan, par Ibn Batouta, Journal Asiatique, Mars 1843, Quatrième série, Paris 1843, Tome I.
- 15 — ELMOND (PAUTY) : Notes sur quelques Monuments Muslmans et Coptes en Haute Egypte, Le Caire 1929.
- 16 — EHRENKREUTZ, A.S., : Contributions to the knowledge of the Fiscal administration of Egypt in the Middle Ages, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London 1954, Volume XVI.
- 17 — Evetts, B. T., : The Churches and Monasteries of Egypt and Some Neighbouring Countries, Oxford 1895.
- 18 — GAUDEFROY DE MOMBYNE : Ibn Fadl Allah Al Omari, Masalik elabsar Fi Mamalik al-amsar, L'Afr-ique, Moins L'Egypt, Paris 1927.
- 19 — GEORGES SALMON : Notes D'Epigraphie Arabe, II. Les Stèles funéraires D'Assouan, L'Institut Français, Le Caire 1902.
- 20 — GREENER, LESLIE : High Dam Over Nubia, London 1962.
- 21 — HAMILTON, J. A. : The Anglo-Egyptian Sudan from withen, London 1935.
- 22 — HASSAN EL-HAWARY : Trois Minarets Fatimides à la Front-ière Nubienne, (Bulletin de L'Institut Egyptien, 4 Mars 1935, XVII).
- 23 — KAMMARER, M. ALBERT, : La Mer Rouge, L'Abyssinie et L'Arabia aux XVIe et XVII Siècles, (S.R.G.E, Le Caire 1937).
- 24 — MAC DIARMIL : Notes on Nuba — Customs and Language, (S.N.R., Vol. XX, Part I, 1927).
- 25 — MAC MICHAEL : A History of the Arabs in the Sudan, New York 1967.
- 26 — . . . : The Anglo-Egyptian Sudan, London 1934.

- 27 — MARCEL JUNGFLISCH : Hassan Suliman, Kashif of Nubia, S.N.R., Vol. XXVII, 1946.
- 28 — MILEHAM, S. GEOFFREY : Churches in Lower Nubia, Philadelphia 1910.
- 29 — MURRAY, G. W., : The Abadba, Lecture at the Sudanic Institute of Cairo, March, 8th. 1950. Cairo, 1950.
- 30 — NEWBOLD, D., : The Crusaders in the Red Sea and the Sudan, S.N.R., XXVI, 1945, Part II.
- 31 — ORIENTALIA CHRISTIANE ANALECTA : Storia Della Nubia Cristiane, Rome 1938.
- 32 — PAUL, A., : A History of the Beja Tribes of the Sudan, Cambridge 1954.
- 33 — . . . . . : Aidhab: A Medieval Red Sea Port, S.N.R., XXXVI, 1955.
- 34 — QUATREMERE, E. : Histoire des Sultans Mamlouks de L'Egypte, Paris 1828, T. I, II.
- 35 — . . . . . : Mémoires Géographiques et Historique sur L'Egypte, II, Paris 1811.
- 36 — ROSS, E. DENSON : Prester John and the Empire of Eithiopia, Newton (A.P.) : Travel and Travellers of the Middle Ages, The History of Civilization, Ed. by Ogden, London 1949).
- 37 — THOMAS, E.S., : The Ancient Mine Plan of Turin Papyrus, Cairo Scientific Journal, 1913.
- 38 — TRIMMINGHAM, J. S., : Islam in the Sudan, London 1949.
- 39 — VAN BERCHEM, MAX : Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, I, Egypte (M.I.F.A.O.), Le Caire 1903.
- 40 — WIET, GASTON : L'Egypte Arabe de la Conquête Arabe (G. Hanotaux), Histoire de la Nation Egyptienne, Paris 1937, Vol. IV.
- 41 — . . . . . : Nouvelles Inscriptions Fatimides, (Extrait du Bulletin De L'Institut



- 42 — WIET, GASTON : D'Egypte, T. XXIV, Session 1941 (1942).  
: Les Relations Egypto-Abyssines sous Les Sultans Mamlouks, (Extrait du Bulletin De la Société D'Archéologie Copte, T. IV, Le Caire 1938).
- 43 — : Une Nouvelle inscription Fatimide au Caire, Journal Asiatique, T. CCXLIX, année 1961, Fan. No.1.
- 44 — ZETTERSTEEN, K. V., : Beitrage zur Geschichte Der Mamlukensultane in Den Jahren 690-741 Der Hagra, Leiden. 1919.

#### ABBREVIATIONS

- B. S. O. A. S., : Bulletin of the School of Oriental and African Studies.
- J. R. A. S., : Journal of the Royal Asiatic Society.
- M. I. F. A. O., : Mémoires de L'Institut Français d'Archéologie Orientale.
- S. N. R., : Sudan Notes and Records.
- S. R. G. E., : Société Royal De Géographie D'Egypte.

١٩٨١/٢٣٩٤	رقم الإيداع
ISBN ٩٧٧-٧٣٤٩-٢٧-١	الترقيم الدولي
٣/٨١/٢٤	

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

